أ.د. عبدالله بن حسين الموجان

ⓒ عبدالله بن حسين الموجان، ١٤٢٧ هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الموجان، عبدالله بن حسين
الحوار في الإسلام / عبدالله بن حسين الموجان - جدّة، ١٤٢٧ هـ
٣٢٠ ص، ١٧×٢٤ سم
ردمك ٠ - ٩٧٧ - ٥٢ - ٩٩٦٠
١ - الدعوة الاسلامية ٢ - الحوار أ - العنوان
ديوي ٢١٣ ٣٤٦٧ / ١٤٢٧

رقم الإيداع: ٣٤٦٧ / ١٤٢٧
ردمك ٠ - ٩٧٧ - ٥٢ - ٩٩٦٠

الطبعة الأولى
١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م

هاتف: ٠٠٩٦٦٢٥٦٦٤٣٤٧
ص. ب: ٦٨٥٩ - مكة المكرمة

الناشــــر

مركز الكون

هاتف: ٠٢٦٥٢٩٢٢٧ - ٠٢٦٥٠٣٢٥٥
فاكس: ٠٠٩٦٦٢٦٥١١٦٤٨
ص. ب: ٩٠٧٥ - جدة ٢١٤١٣

الحوار في الإسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى مقام خادم الحرمين الشريفين

الملك/ عبد الله بن عبد العزيز آل سعود حفظه الله

ملك المملكة العربية السعودية

أول من نادى بضرورة الحوار وأرسى له الدعائم وفتح له الأبواب

إلى المليك الذي لا يدخر وسعاً في سبيل حماية جناب التوحيد

فيبذل الجهد والوقت والمال لينشر الإسلام في كل بقاع الأرض

كي تظل راية ((لا إله إلا الله)) عاليةً خفاقة

حتى يرث الله الأرض ومن عليها

المؤلف

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين، حمداً يليق بجلاله وكماله وعظمته وسلطانه، والصلاة والسلام على نبينا محمد ﷺ الذي آتاه الله عظيم فضله، وكريم هدايته؛ فشرح به الصدور، وأنار به الأفئدة، وزكّى به أولي الألباب، وعلى آله وصحبه ذوي البصائر الأطهار.

أما بعد

فإن العمل في الدعوة إلى الإسلام يشتمل على النشاط القولي والعملي والحركي والزماني والمكاني للأفراد في كل شؤون حياتهم، ولا تجد أمراً صغيراً ولا كبيراً تحتاجُهُ الدعوةُ إلا وقد فصله هذا الدينُ العظيمُ الذي أكمله الله لنا، وأتم به النعمة، وارتضاه لهذه الأمة.

ومن نافلة القول أن نؤكد على أن الدعوة بالحوار قد عُنِيَ بها الإسلام سواء في أدب التخاطب، أو أدب التحدث، أو أدب التعبير، أو أدب الحوار، وأيضاً أدب الرد على الناس بعامة، وأدب الرد على الخصوم بخاصة.

وهذا المنهج التأديبي التعليمي إنما هدانا إليه القرآن الكريم، حيث علمنا كيف نتحاور، وكيف نتفق، وكيف نختلف، وعلمه لنا الرسول الكريم ﷺ، وصحابته الكرام رضي الله عنهم أجمعين. ثم اتسع الأمر لأكثر من هذا في كيفية التحاور مع الأمم الأخرى، وفي التبادل الفكري والعلمي، وفي التواصل الإنساني من خلال التعارف والتلاقي حول مفاهيم إنسانية؛ تحقيقاً لمبادئ التحاب والتواد والتواصي بالخير والتسامح.

وقد دعانا الإسلام إلى التعايش والتعارف مع الآخرين، وله في ذلك دواع وأسبابٌ كثيرةٌ يمكن إجمالها في ما يلي:

أولاً: أن الإسلام لا يرضى بالتعصب سواء كان للجنس، أو للأرض، لقيامه على اتباع الهوى، وحب الذات.

ثانياً: أنه يدعو إلى التعارف، وتبادل المنافع والمصالح، وإلى التعايش وهو بذلك لا يرى فضلاً لأحد على الآخر إلا بالتقوى. يقول عز وجل ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (الحجرات: ١٣). والتقوى تعني طلب الوقاية من كل ما قد يصيبك من ضرر أو مكروه.

ثالثاً: أنه ينطلق من أن الإختلاف كامن في طبيعة الحياة، فقد خلق الله تعالى الكون ومن فيه على أساسٍ من الإختلاف الظاهر في النوع والعدد.

يقول تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ (آل عمران: ١٩)، ويقول تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴾ (الروم: ٢٢).

ويؤكد الله عز وجل هذه الحقيقة التي لا تبديل فيها فيقول: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴾ (هود: ١٨، ١٩) أي أن سنة الله في الأرض تقوم على تباين البشر سواء أكان هذا التباين يتعلق بالجنس أم اللغة أم الدين.

فالإسلام لا يقاطع الآخر مقاطعة شاملة، ولا يحرسسم أصل التعامل مع غير المسلمين حتى تتحقق مصالح المجتمع الإسلامي من خلال تلك العلاقات.

وإن دعوة الإسلام تنطلق من نظرة شاملة للإنسان، وهذه النظرة تبقى أساسية وصالحة للبشر في كل زمان ومكان.

إن القرن الذي نحن فيه هو قرن يزيد فيه التواصل والتحاور البشري، ويمكن القول: إنه قرن التدافع الثقافي، وهذا توجه مهم ومفيد؛ يلزم المسلمين استقباله والتعامل معه بإيجابية، لأن منهجية الحوار بالبيان والحكمة إنما هو منطلق أساسي في منهج القرآن الكريم وأدبيات الدعوة إلى الإسلام.

والمسلمون مطالبون بالسعي للحوار مع غيرهم بما يحقق وضوح الرؤية، ويجمع الكلمة على المبادئ والقيم الربانية الخالدة.

وإذا كانت الحضارة تمثل كل مظهر من مظاهر الإنتاج البشرى. وغالباً ما يحدوها سلوك الإنسان وطرق معيشته وتفاعله مع البيئة، فإنه من البدهي أن تختلف كل حضارة في مظاهرها عن الحضارات الأخرى، فلكل حضارة من الحضارات قديمها وحديثها مظاهر مميزة.

والعقل البشرى استطاع بما اكتسب من خبرة، وَدُربة أن يصنف المعارف الإنسانية، وأن يحكم ما بينها من وشائج، وأن يستفيد بما بينها من صلات وروابط. لذلك نجد أن النتائج العلمية متصلٌ بعضُها ببعض، ويعتمد بعضها على بعض. وأيضا فإن الحضارات ليست ملكاً لأمة بعينها، ولا هي وقف على جماعة من الناس؛ لأنها صرح هائل قد أسهمت فيه كلٌّ أمة بنصيب.

والحضارات قد تتشابه في مظاهرها، وفي عناصرها، وفي أسلوبها لا سيما إذا تعايشت في جهات متقاربة، وهي سلسة محكمة متينة الحلقات يؤثر سابقها في لاحقها، ويتأثر حاضرها بماضيها؛ وينتفع بعضها من بعض.

والأمة الإسلامية تحكم علاقاتها وتحاوراتها قواعدُ تقوم على أساسها صحةُ كل علاقة وسلامةُ كل حوار، قال تعالى: ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴾ (المائدة: ٤٩).

والمسلمون وهم يعرضون مبادئ وتعاليم الإسلام على الناس، تحكمهم قيم وآداب لا ينبغي تجاوزها ومخالفتها، ولا يصح معها التنقيص من معتقدات الآخرين، وهذا صريح في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ (الأنعام: ١٠٨).

والمجتمعات الإسلامية وفق تعاليم الإسلامِ وقيمِهِ مأمورةٌ بالتزام العدل وإنصاف الناس مع وجود الاختلاف في العقيدة وقيامِ الخصومة والشحناء بينهم، حيث يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (المائدة: ٨).

والتدافع بين الناس حقيقة أوضحها القرآن، وهو قائم على أساس التنافس في جلب المصالح، ودرء المفاسد، وهو كفيل بتحقيق الحياة الأفضل لهم جميعاً، وتوفير الأمن والاستقرار، وصرف الفساد عن الأرض.

ومن جهة أخرى فإن التدافع بين الناس جدير بحماية حرية الناس في معتقداتهم وأنماط حياتهم، وصيانة معابدهم على اختلاف مللهم. قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ (الحج: ٤٠).

إن مبادئَ الإسلام وقيمهَ تُعلِم المسلمين وتؤكد عليهم ألا يبخسوا الناس أشياءهم وألا يحتقروا كدحهم وجهدهم في كل عمل بَناء، يحقق الإعمار والإبداع الحضاري. وتلزمنا تعاليمُ الإسلام احترامَ وتقديرَ كلِّ عطاء خَيِّر في ميادين القيم والسلوكيات وفي ميادين الماديات والوسائل والمهارات، وهذا يلتقى مع قيم وتوجيهاتِ منهجِ الاستخلاف الربانيّ في عمارةِ الأرضِ؛ لأن القرآن الكريم يَعْتَبِرُ احتقارَ سعيِ الناسِ وبخسَ دَوْرِهم الإيجابيِ الفعالِ المثمرِ في الأرض من العبث والإفساد الذي يمقته الإسلام، وينهي عنه.

والمسلمون وفق هذا المنهج الرباني العادل، وموروثه التشريعي، وفي ضوء قدراتهم المادية والسياسية، يجدون أنفسهم مؤهَّلين كل التأهيل لأداء مهمتهم وَإسهاماتِهم الإيجابية الفعالة في معترك التدافع البشري لإقامة نظام عادل يُنْهِي حالة القلق والذعر التي تحيق بالناس، ويصرفُ أسباب الفساد عن الأرض، ويضع حداً لتدهور العلاقات في أكثرَ مِنْ موقعٍ، ويزيلُ عواملَ الاضطرابِ، والصراع السياسي والاقتصادي بين الأمم، ويُقيمُ موازينَ القسطِ للتعايشِ، والتعاون البشري، ويرتقي بمنهج التبادل والتكامل الثقافي، بما يحقق للناس تطلعاتهم لحياة آمنة مطمئنة تنعم بالأمن والاستقرار والعدل.

أهم المعالم الإسلامية في قضية الحوار:

أولاً: إن حوار الحضارات الذي ندعوا إليه ينبغي أن يجنبنا عمليات فرض التجارب والنماذج الوافدة من بلدان وحضارات معينة، تِلْكَ التي يتم إسقاطها على واقع مغاير للواقع الذي بُعثت فيه. فإن نقل التجارب ونشر المفاهيم التي أفرزتها سياقات تاريخية واجتماعية معينة وتصدير البرامج؛ لا يمكن أن ينجح إلا في سياقٍ من التواصل، والرؤية المتبادلة التي تحترم خصوصية الآخر وذاتيته الحضارية.

ثانياً: أن مفهوم المسلمين للحوار الحضاري لا ينفصل عن الأبعاد الخلفية للقيم العلمية والشرعية. فثقافة المسلمين انبثقت تاريخيا عبر منظومة القيم التي كانت ولا تزال تمثل جزءا من رصيدنا الحضاري، وهي منظومة تميز نسيج الأمة الاجتماعي بمختلف خلاياه. وإبراز البعد الخلقي في الحوار نابع من إحساس المسلمين وقلقهم؛ مما يهدد وجودهم الحضاري من انحرافات تجسدها المنافسة الشرسة التي باتت محكومة بمنطق الربح والخسارة، فضلاً عن الكثير من الظواهر التي أبرزتها ظروف العصر، وباتت تهدد المجتمع. ومع هذه المحاذير يتعين كذلك تبيُّن طبيعة المعوقات التي تعترض طريقَ هذا الحوار، خصوصاً الحوار الإسلامي - الغربي، وفي مقدمتها ما يشوب الصورة الغربية من سلبيات وتشويهات. المسلمون غيرُ مسؤولين عنها.

ثالثاً: إن صورة المسلمين الحضارية في غالب وسائل الإعلام الغربية، لا تعكس صورة المسلمين الصحيحة.

فقد تشكلت صورةُ الشخصية الإسلامية في سياق سلبي لدى الرأي العام الغربي، فغلب على ملامحها الانغلاق والتعصب والجهل والعدوانية. إنها الصورة القائمة للأسف في ذهن الإنسان الغربي العادي الذي يتلقى معلوماته عن الإسلام والمسلمين من وسائلِ إعلامٍ موجهةٍ غالباً من مراكزَ وقوى ضغطٍ ليست محايدةً.

ويمثل اعتماد مبدأ الاستماع إلى الآخر فرصة لإجلاء صورة الحضارة الإسلامية لدى الغرب ؛ الذي نطمح إلى توصيل الدعوة إليه في صورتها الصحيحة.

لقد آن الأوان للكف عن النظر إلى الحوار الحضاري باعتباره وسيلةً لتحقيقِ المنافع، واكتسابِ الأسواق، وبات من الضروري تصحيحُ صورةِ الحضارةِ الإسلاميةِ المشوهةِ والمنقوصةِ لدى العالم الغربي. ويجب أن نعترف بوجود جهل بنا أو تجاهل لنا على الرغم مِنْ أننا نعرف مِنْ تاريخ الغرب وحضارته ولغاته أكثر مما يعرف هو عنا. حتى أبناؤنا المهاجرون، على رغم أهميتهم الحضارية في بعض المجتمعات الغربية، لا يحظَوْن في مجتمعات المهجر بالقدر الكافي من تعليم اللغة العربية، وكثيراً ما يؤدي التهميش اللغوي والقيود المفروضةُ على أولئك الأبناء المهاجرين إلى إبعاد الأجيال الجديدة في بعض الجاليات العربية والإسلامية عن جوهر القيم الإسلامية الحقيقية.

والحق أن الحوار الحقيقي بين الحضارات يشكل أبرز التحديات التي يواجهها العالم اليوم، فهو شرط أساسى من شروط التعايش السلمي بين الشعوب.

ونحن نعتقد أن الحضارة العربية الإسلامية قادرةٌ في ظل التحولات الدولية والتحديات المستجدة بفضل تجاربها الثرية ؛ على أن تؤدي دوراً إيجابياً في تعميق مبادئ الحوار بين الأمم والشعوب.

وللوصول إلى هذا الهدف كان هذا الكتاب الذي احتوى على مقدمة وخمسة أبواب وخاتمة.

اشتمل الباب الأول على ثمانية فصول بدأت بتعريفاتٍ ومفاهيمَ حول الحوار، ثم الحوار والمعاني المشابهة له، ثم الحوار في القرآن الكريم، ثم الحوار في السنة النبوية، ثم الحوار بين الصحابة ﷺ، ثم أنواع الحوار من محمود ومذموم، ثم أصناف مَنْ يمتنعُ الحوارُ معهم، ثم أدب الحوار في الإسلام.

ثم عرض الباب الثاني تاريخَ الحوار في مختلف العصور من خلال مقدمة تاريخية، ثم التأريخ للحوار من خلال ثمانية فصول تناولت تطور الحوار قديماً وحديثاً، وفق صفات المخاطبين وطبيعتهم.

وفي الباب الثالث عَرْضٌ لصور الحوار مع الذات من خلال محاسبة النفس، ثم التأمل والتدبر، وكذلك الحوار مع الآخر من خلال المناظرة ومحاورة غير المسلم.

وأما الباب الرابع فقد تناول قضية حوار الحضارات من خلال ستة فصول تناولت كلَّ أطراف القضية بتفصيل شديد من حيث الخلفية التاريخية، ثم رصدها حديثاً، وتقديم رؤية واضحة لحوار الحضارات.

وجاء الباب الخامس والأخير تطبيقياً؛ حيث عرض لثمرات الحوار من خلال ثلاثة فصول: تناولت ثمرات الحوار في مجال الدعوة إلى الله، وثمرات الحوار في المجال العلمي والتربوي، وثمرات الحوار في مجال التعامل الحضاري مع الأمم الأخرى.

ونأمل أن يكون هذا التناول جامعاً لأطراف الموضوع، وملماً بجزئياته؛ وَمُوَصِّلاً إلى الهدف الذي من أجله وضع هذا الكتاب.

وما كان من تقصير أو نسيان أو عجز فإننا نسأل الله عز وجل أن يتجاوز عنه، وما كان من فضل وإجادة فذلك بعونه وهدايته وتثبيته عز وجل.

اللهم علمنا علماً ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، واكتب لنا الخير كلَّه وللمسلمين في الدنيا والآخرة.

اللهم أخلص قلوبنا، وأعمالنا لك، واجعلنا نخشاك كأنا نراك.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

المؤلف

الباب الأول

مدخل إلى الحوار

- الفصل الأول: تعريفات ومفاهيم
- الفصل الثاني: الحوار والمعاني المشابهة له.
- الفصل الثالث: الحوار في القرآن الكريم.
- الفصل الرابع: الحوار في السنة النبوية.
- الفصل الخامس: الحوار بين الصحابة ﷺ.
- الفصل السادس: آداب الحوار في الإسلام.

الفصل الأول

تعريفات ومفاهيم

لكي نعرف المقصود من كلمة «الحوار» نعرض لمفهوم هذه الكلمة لغة واصطلاحاً، ثم نستعرض المفاهيم الأخرى المشابهة له: كالجدال، والمحاجة، والمناظرة، والمراء، والخصومة، واللَّجاج.

أولاً: تعريف الحوار:

الحوار في اللغة: أصله من الحَوْر - بفتح الحاء وسكون الواو- وهو الرجوع عن الشيء، وإلى الشيء. قال لبيد بن ربيعة:

وما المرء إلا كالشهاب وضوئِهِ ... يحورُ رماداً بعد إذ هو ساطعُ

ويقال: حار بمعنى رجع. وهم يتحاورون أي يتراجعون، وحاورته: راجعته الكلام، والمحاورة: مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة، وكلمته فما حار جواباً[1].

قال الأخطل:

هلا ربعتَ فتسأل الأطلالا ... ولقد سألتُ فما أحرنْ سؤالاً[2]

فالحوار هو المراجعة في الكلام. قال القرطبي: ﴿ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ﴾ تحاورك أي تراجُعك الكلام[3].

ويقول الإمام الزمخشري: يحاوره أي يراجعه الكلام من حار يحور إذا رجع. وسألته فما أحار كلمةً[4]. ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴾ (الانشقاق: ١٤) أي يرجع إلى ربه.

---

(١) لسان العرب (٤/ ٢١٧)، والقاموس المحيط (٢/ ١٥).

(٢) أساس البلاغة (ص: ١٤٦).

(٣) تفسير القرطبي(١٧/ ٢٧٢)، والآية من سورة المجادلة، آية: (١).

(٤) تفسير الكشاف (٤/ ٤٨٤).

ويأتي الحوار بمعنى المجاوبة. والتحاور التجاوب. ويقال كلمته فما أحار إليَّ جواباً، وما رجع إلى حويراء ولا محورة ولا حواراً. أي ما رَدَّ جوابا[١].

وفي القاموس المحيط: المحاورة: الجواب، وتحاوروا: تراجعوا الكلامَ بينهم، والتحاوُر التجاوُب[٢].

ويأتي الحوار بمعنى المخاطبة، ويقول الطبري: قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ ﴾ (الكهف: ٣٧)، وهو يخاطبه ويكلمه[٣].

الحوار في الاصطلاح: هو الحديث بين اثنين أو أكثر، يتم فيه تبادل الكلام بينهما بطريقة متكافئة فلا يستأثر به أحدهما دون الأخر. ويغلب عليه الهدوء والبعد عن الخصومة والتعصب.[٤]

وهو ضَرْبٌ من الأدب وأسلوبٌ من أساليبه، وحالةٌ من التفاعُلِ والتجاوُبِ

ثانياً: تعريف الجدال:

الجدال في اللغة: جادله مجادلة وجدالاً: يعني خاصمه، والاسم: الجدل وهو شدةُ الخصومةِ.

وقيل مشتق من الجَدْل وهو الفتل، ومنه زمام مجدول. ويقال: جدلت الحبل أجدله جدلاً إذا شددتَ فَتْلَهُ، وفتلته فتلاً محكماً. ومنه قيل لزمام الناقة: الجديل. فالجديل هو الزمام المجدول من أدم، ومنه قول امرئ القيس:

وكَشحٍ لطيفٍ كالجديل مُخَصَّرٍ   وساقٍ كأُنبوبِ السَقِيِّ المُذلَّلِ

والجَدل: اللَّدَدُ في الخصومة، والقدرةُ عليها[٥].

---

(١) الصحاح للجوهري (٢/ ٦٣٨).

(٢) القاموس المحيط (٢/ ١٦).

(٣) جامع البيان للطبري (١٥/ ٤٧).

(٤) في أصول الحِوار (ص: ١١).

(٥) الصحاح (٤/ ١٦٥٣)، .

الجدال في الاصطلاح: هو دفع المرء خصمهَ قصْدَ إفسادِ قولِهِ بحجة، أو شبهة، أو بقصد تصحيح كلامه، وهو الخصومة في الحقيقة[(١)].

وقال صاحب المصباح المنير بعد أن عرفه لغة: ثم استعمل على لسان حملة الشرع في مقابلةِ الأدلة لظهور أرجحها[(٢)].

قال الإمام النووي: الجدل والجدال والمجادلة مقابلة الحجة بالحجة، وتكون بحق وباطل، فإن كان للوقوف على الحق كان محموداً، قال تعالى: ﴿ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾ (النحل: ١٢٥). وإن كان جدالاً بغير علم كان مذموماً، قال تعالى: ﴿ مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ (غافر: ٣). وأصله الخصومةُ الشديدةُ. وسُمي جدلاً لأن كل واحد منهما يُحْكِمُ خصومتَهُ وحجتَهُ إحكاماً بليغاً على قدر طاقته، تشبهاً بجدْل الحبل، وهو إحكامُ فَتْلِهِ. اهـ[(٣)]

ثالثاً: تعريف المناظرة:

المناظرة في اللغة: مشتقة من النظر يعني: تأمل الشيء بالعين، والنظر أيضاً الانتظار، وأنظره: أَخَّره، واستنظره: استمهله.

المناظرة في الاصطلاح: هي حوار بين اثنين متكافئين بلوغاً إلى الحق أو جَلاءً للصواب. ويقول ابن منظور في لسان العرب: المناظرة أن تناظر أخاك في أمرٍ إذا نظرتما فيه معاً كيف تأتيانِهِ. اهـ[(٤)].

وتختلف المناظرة عن المجادلة بنوعيها المحمود والمذموم في أن النظر يصح من طرف واحد، أما الجدل فلا يصح إلا بين اثنين، قال الخطيب البغدادي: ولا يصح الجدل إلا من اثنين، ويصح النظر من واحد. اهـ[(٥)] وتختلف المناظرة عن المجادلة

---

(١) التعريفات للجرجاني (ص: ٧٨).
(٢) المصباح المنير (ص: ٣٦)، (مادة: جدل).
(٣) تهذيب الأسماء واللغات (٤٨/٢).
(٤) لسان العرب: (١٩٣/١٤)، مادة: نظر.
(٥) الفقيه والمتفقه (٢٣٠/١).

باعتبار النية، فالمقصود من المناظرة هو ظهور الحق في المطلوب، أما مقصود المجادلة المذمومة فهو رجوع الخصم إلى قول المجادِل[١].

رابعاً: تعريف المحاجَّة:

التحاجُّ في اللغة: التخاصمُ، والحجةُ هي البرهان، وقيل: الحجةُ ما دُوفع به الخصمُ، وقال الأزهري: الحجةُ الوجه الذي يكون به الظَّفَرُ عند الخصومةِ، وهو رجل مِحْجاجٌ أي جَدِلٌ، وفي قوله تعالى: ﴿ فإن حاجوك فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعن ﴾، قال المفسرون: حاجوك: خاصموك بالباطل[٢].

التحاج في الاصطلاح: هو مجاذبةُ الحجةِ بالحجةِ بين طرفين، وفي الحديث: « **فحج آدمُ موسى**[٣]» أي غَلَبَهُ بالحجة.

وقد يفرَّق بين الحجةِ والمحاجةِ، وذلك لأن الحجة تطلق على البرهان الصحيح، كما تطلق على الشبهة الفاسدة، وأما المحاجة فإنها في الغالب مذمومة؛ إذ القصد منها دفعُ الخصمِ وردُّه، لا بيانُ الحقِّ[٤].

خامساً: تعريف المِراءِ

المراء في اللغة: من ماراه حَقَّه: أي جحده. وماراه مِراءً ومماراة أي جادله. والمِرية: الشك والافتراء.

المراء في الاصطلاح: هو الجدال بين طرفين على مذهبِ الشكِ والريبةِ ليستخرج كلُّ واحدٍ منهما ما عند صاحبه ويمتريَهُ. قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾ (مريم: ٣٤). قال أبو حامد الغزالي: المِراءُ طَعْنٌ في

---

(١) تفسير القرآن للسمعاني (٢/٤٢٥).

(٢) تفسير الطبري، (٣/٢١٤) ونحوه لابن كثير (١/٣٥٤)، وزاد المسير (١/٣٦٣).

(٣) الحديث أخرجه البخاري كتاب أحاديث الأنبياء، باب: وفاة موسى، وذكره بعد – حديث (٣٤٠٩) وكذا هو في مسلم (٢٦٥٢) كتاب القدر، باب: حِجَاج آدم وموسى عليهما السلام.

(٤) الحِوار آدابه وضوابطه في الكتاب والسنة، ليحيى بن محمد بن رمزي ص: ٣١.

كلام الغير بإظهار خلل فيه، من غير أن يرتبط به غرضٌ سوى تحقيرِ الغيرِ، وإظهارِ مَزِيَّةِ الكِياسةِ. اهـ.[1]

سادساً: تعريف الخصومة:

الخصومة في اللغة: هي المنازعةُ، والجدلُ، والغلبةُ بالحجة.[2]

الخصومة اصطلاحاً: لا يخرج عن المعنى اللغوي، وتطلق على الجدال بطريقة المتكلمين، وهؤلاء يُسَمَّوْنَ بأهل الخصومات. قال الإمام أحمد في وصف الجهم بن صفوان: كان مما بلغنا من أمر الجهم عدو الله أنه كان من أهل خراسان، من أهل ترمذ، وكان صاحبَ خصوماتٍ وكلام. اهـ.[3]

سابعاً: تعريف اللجاج:

اللَّجاج في اللغة: هو تردد الشيءِ بعضِه على بعضٍ، ومنه اللَّجة بالفتح لتردد الصوت، ولجة البحر تردد أمواجه، ولجة الليل تردد ظلامه.

اللجاج اصطلاحاً: اللجاج هو ما كان على باطل، وهو التمادي في العناد، والإصرار على جهل، مع رفع الصوت، والخروج عن حد الاعتدال. قال تعالى: ﴿ وَلَوْ رَحِمْنَـٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّواْ فِي طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ (المؤمنون: ٧٥). قال الشوكاني: في طغيانهم، وضلالهم، وأصل اللَّجاج التمادي في العناد. اهـ.[4]

(١) إحياء علوم الدين (٣/١١٥).

(٢) لسان العرب (٤/١١٤) مادة: (خصم)، والمعجم الوسيط (١/٢٣٨) مادة: (خصم).

(٣) الرد على الجهمية والزنادقة (ص: ١٩)..

(٤) فتح القدير (٣/٤٩٤)..

الفصل الثاني
الحـوار والمفاهيم المشابهة له
في القرآن الكريم

إن الحوار لا يكتمل معناه في الأذهان ولا تتفتح صورته حتى نقف على المفاهيم المتشابهة معه كالجَدَلِ والتَّحاجّ والمناظرةِ والمِراءِ، تلك التي تتحد معه في أشياء وتختلف معه في أشياء أُخَرَ، ولا توجد صورةٌ أمثلُ من استعراض هذه الألفاظ في القرآن الكريم حتى يتبين لنا معنى كلِّ لفظٍ بجلاءٍ ووضوحٍ.

أولاً: الحوار:

ورد لفظ الحوار في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع كلها بالمعنى المحمود:

١- في قوله تعالى: ﴿ فَقَالَ لِصَاحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا ﴾ (الكهف: ٣٤).

٢- وفي قوله تعالى: ﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرۡتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلٗا ﴾ (سورة الكهف: ٣٧).

٣- وفي قوله تعالى: ﴿ قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ﴾ (المجادلة: ١).

ثانياً: الجدال:

ورد لفظ الجدال في القرآن باشتقاقات مختلفة، فقد ورد فعلاً ماضياً، ومضارعاً، وأمراً، واستفهاماً، وورد مصدراً بصيغ مختلفة مثل: جَدَلاً، وَجِدالاً، ولم يَرِدْ

بصيغة «مجادلة»[1] (مفاعلة). وغالب استعمالات القرآن الكريم لهذا اللفظ يأتي في سياق الذم.

الجدال بالمعنى المذموم:

- ﴿ وَجَٰدَلُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴾ (غافر: ٥).
- ﴿ وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ﴾ (النساء: ١٠٧).
- ﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ (النساء: ١٠٩).
- ﴿ وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (الحج: ٦٨).
- ﴿ أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم ﴾ (الأعراف: ٧١).
- ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ ﴾ (الأنعام: ٢٥).
- ﴿ يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ ﴾ (الأنفال: ٦).
- ﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ﴾ (الأنعام: ١٢١).
- ﴿ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴾ (الرعد: ١٣).
- ﴿ وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴾ (الشورى: ٣).
- ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ﴾ (الحج: ٣).

---

(١) انظر: سورة المجادلة.

- ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ﴾ (الحج : ٨).
- ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ﴾ (لقمان : ٢٠).
- ﴿ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّۗ ﴾ (البقرة : ١٩٧).
- ﴿ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَكۡثَرَ شَيۡءٖ جَدَلٗا ﴾ (الكهف : ٥٤).
- ﴿ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا ﴾ (هود : ٣٢).
- ﴿ يَوۡمَ تَأۡتِي كُلُّ نَفۡسٖ تُجَٰدِلُ عَن نَّفۡسِهَا ﴾ (النحل : ١١١).
- أما قوله تعالى : ﴿ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّۗ ﴾. فقد اختلف العلماء في المراد بالجِدال في هذه الآية، لكنهم متفقون على أنه أتى في سياق الذم[1].

الجدال بالمعنى المحمود :

- ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنۡ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلرَّوۡعُ وَجَآءَتۡهُ ٱلۡبُشۡرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِي قَوۡمِ لُوطٍ ۝٧٤ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٞ مُّنِيبٞ ﴾ (هود ٧٤ - ٧٥).
- ﴿ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾ (النحل : ١٢٥).
- ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ (العنكبوت : ٤٦).

وأما الجدال في قوله تعالى : ﴿ قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ ﴾ (المجادلة : ١). فقد ورد بمعنى المحاورة فأطلق الجدال والحوار على شيءٍ واحدٍ وهو مراجعةُ الكلامِ بين النبيِّ ﷺ، وبين خولةَ بنتِ ثعلبةَ –رضي الله عنها–.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٢/ ٤١٠).

والجدال في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ جاء قَيْداً على الجدالِ المحمود، لتمييزه عن الجدال المذموم من ناحية، ولبيان أنه لَيْسَ جدال تقبيح حتى يطمئن المدعو إلى الداعى، ويشعر أن هدفه ليس الغلبة في الجدال، ولكن هدفه الوصول إلى الحق[١].

الجدال في السنة النبوية:

بَوَّب أئمة الحديث في كتبهم ما يؤكد على كراهة الجدل؛ لأنه في الأصل: الشدة في الخصومة.

ومن ذلك ما جاء في سنن أبي داود في كتاب السنة قال: باب النهي عن الجدال في القرآن. ثم روى من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **«المراء في القرآن كفر»**[٢].

وعن عائشة (رضي الله عنها) قالت: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٌ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ فقال: **«يا عائشة إذا رأيتم الذين يجادلون فيه فهم الذين عَنَاهم الله فاحذروهم»**[٣].

---

(١) في ظلال القرآن (١٤/ ٢٠ – ٢٢).

(٢) **صحيحٌ**. رواه أبو داود في كتاب السنن، حديث [٤٦٠٣] باب النهي عن الجدال في القرآن، ، وأحمد [٧٧٨٩]، وصححه الألباني في صحيح أبي داود [٣٨٧٤]، والروض النضير [١١٢١، ١١٢٥]، والمشكاة [٢٣٦]، والتعليق الرغيب (١/ ٨٢) صحيح الجامع الصغير [٦٦٨٧].

(٣) رواه البخاري [٤٥٤٧] كتاب التفسير، باب: [منه آياتٌ محكمات]، ومسلم [٢٦٦٥] ومسلم كتاب العلم، باب: النهي عن اتباع متشابه القرآن، وابن ماجه [٤٧]، وهذا لفظه، في المقدمة، باب اجتناب البدع والجدل، وأحمد [٢٣٦٩٠].

وعن أبي أمامةَ ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**ما ضل قوم بعد هُدًى إلا أُوتُوا الجدَلَ**» ثم تلا هذه الآية: ﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾[1].

فهذه الأحاديث تدل على معنى الجدالِ بالباطلِ واللَّدَدِ في الخُصومةِ.

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**ما مجادلةُ أَحَدِكم في الحق يكون له في الدنيا بأشدَّ مجادلةً من المؤمنين لربهم في إخوانهم الذين أُدْخِلُوا النارَ**»[2].

فالحديث يبين أن المجادلة قد تكون أحياناً في الحق وهي أيضاً مذمومة[3].

فالجدال لم نُؤْمَرْ به، ولم يُمْدَحْ في القرآن الكريم أو السنةِ على إطلاقِهِ. وإنما المحمودُ منه ما قُيِّدَ بالحسنى، كما في قوله تعالى: ﴿ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ (النحل: ١٢٥)، وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُجَـٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ (العنكبوت: ٤٦) وأن الأصل في الجدلِ أنه مذمومٌ ما لم يُقَيَّدْ.

الفرق بين الجِدال والحِوار:

الحوار والجدال يلتقيان في أنهما حديثٌ أو مناقشةٌ بين طرفين، ولكنهما يفترقان بعد ذلك. فالجدالُ في الأغلبِ هو اللَّدَدُ في الخصومةِ، وما يتصلُ بذلك، من العنادِ والتمسكِ بالرأيِ والتعصبِ، بخلافِ الحِوارِ، فهو مراجعةُ الكلامِ من خلالِ الحديثِ بين طرفين.

---

(١) **صحيحٌ**. رواه الترمذي [٣٢٥٣] في تفسير القرآن باب ومن سورة الزخرف، وقال عنه حسن صحيحٌ، ورواه ابن ماجه [٤٨]، في المقدمة باب اجتناب البدع والجدل، والحديث صححه الألباني في: صحيح ابن ماجه [٤٥] وصحيح الترغيب [١٣٧]، والآية من سورة الزخرف، آية: [٥٨].

(٢) **صحيحٌ**. رواه النَّسائي [ح ٥٠٢٥]، [١١٢/١] في كتاب الإيمان، باب زيادة الإيمان، ، وابن ماجه [٦٠]، في المقدمة باب في الإيمان، وأحمد [١١٤٨٨]، والحديث صححه الألباني في صحيح ابن ماجه [٥١]، وصحيح النَّسائي [٤٦٣٧]، وأصله في البخاري [٧٣٩].

(٣) الحِوار في ضوء الكتاب والسنة (ص: ٢٦، ٢٥).

ينتقلُ من الأولِ إلى الثاني ثم يعودُ إلى الأول وهكذا. دون أن يكون بين هذين الطرفين ما يدلُّ بالضرورةِ على وجودِ الخصومةِ[1] فالحوارُ والجدالُ بينهما عمومٌ وخصوصٌ"[2].

وفي القرآن الكريم ما يدل على الفرق بينهما، حيث ذَكَرَ الجدالَ في مواضعَ غيرِ محمودةٍ كقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (العنكبوت: ٤٦) وقوله: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴾ (الحج: ٨). بخلافِ المحاورةِ التي وردت في القرآن الكريم محمودةً في كل المواضع.

ثالثاً: التحاجُّ:

ورد هذا اللفظُ في القرآن باشتقاقاتٍ كثيرةٍ في اثنتي عشرةَ آيةً:

١- ﴿ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ﴾ (البقرة: ٧٦).

٢- ﴿ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ﴾ (البقرة: ١٣٩).

٣- ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ ﴾ (البقرة: ٢٥٨).

٤- ﴿ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ ﴾ (آل عمران: ٢٠).

٥- ﴿ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ﴾ (آل عمران: ٦١).

٦- ﴿ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ﴾ (آل عمران: ٦٥).

٧- ﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ (آل عمران: ٦٦).

٨- ﴿ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ (آل عمران: ٦٦).

---

(١) في أصول الحِوار (ص: ١٢).

(٢) الحِوار في القرآن (ص: ٣٠).

٩- ﴿ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ﴾ (آل عمران: ٧٣).

١٠- ﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ﴾ (الأنعام: ٨٠).

١١- ﴿ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ ﴾ (غافر: ٤٧).

١٢- ﴿ وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ ﴾ (الشورى: ١٦).

يقول الإمام القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ ﴾ (البقرة: ٢٥٨): تدل على إثباتِ المناظرةِ والمجادلةِ وإقامةِ الحجةِ، وفي القرآن والسنة من هذا كثيرٌ لمن تأمله، قال الله تعالى: ﴿ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ (البقرة ١١١)، وقوله تعالى: ﴿ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ ﴾ (يونس ٦٨) أي من حجة. وقال في قصة نوح ﷺ: ﴿ قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا ﴾. الآيات إلى قوله: ﴿ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴾ (هود: ٣٢ - ٣٥)، وكذلك مُجادلةُ موسى مع فرعونَ إلى غير ذلك.

فهذا تعليم من الله عز وجل لنا عن طريقِ السؤالِ والجوابِ والمجادلةِ في الدينِ، لأن الفرقَ بين الحقِّ والباطلِ لا يظهرُ إلا بظهورِ حجةِ الحقِّ وَدَحْضِ حجةِ الباطلِ.

وجادل رسولُ الله ﷺ أهلَ الكتاب وبادلهم الحجةَ بالحجةِ. وتحاجَّ آدمُ وموسى فغلبه آدم بالحجة.

وتجادلَ أصحابُ رسولِ الله ﷺ يومَ السقيفةِ، وتناظروا حتى ظهر الحقُّ لهم.

وتناظر الصحابةُ بعد مبايعةِ أبي بكر ﷺ في محاربةِ أهل الردةِ، إلى غير ذلك.

وفي قول الله عز وجل: ﴿ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ (آل عمران: ٦٦) دليل على أن التحاجج بالعلم مباحٌ شائعٌ لمن تَدَبَّرَ.

ولا تصح المناظرة، حتى يكون المتناظران متقاربين في الدين والعقل والإنصاف، وإلا فهو مِراءٌ أو مكابرةٌ.

واستعمالُ لفظِ «التحاج» جاء قريباً من استعمال الجدالِ فقد غلب استعمالُهُ في الآيات الكريمة بالمعنى المذموم عدا قوله تعالى: ﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (آل عمران: ٦٦).

والمحاجةُ بمعنى الجدالِ المحمودِ جاءت هنا من قبيل المشاكلة التي يستعملها القرآن مثل قوله: ﴿ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ (آل عمران: ٥٤). فمكرهم مكر سيئ ومكر الله حَسَنٌ. وقوله: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ ﴾ (النساء: ١٤٢). وقوله: ﴿ وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ۝ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ (البقرة: ١٤- ١٥) وغيرُهُ كثيرٌ.

رابعاً: المراءُ:

وَرَدَ المِراءُ في القرآن باشتقاقات كثيرة في ثمانِيَ عشرة آية:

١- ﴿ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾ (البقرة: ١٤٧).

٢- ﴿ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾ (آل عمران: ٦٠).

٣- ﴿ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴾ (الأنعام: ٢).

٤- ﴿ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾ (الأنعام: ١١٤).

٥- ﴿ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾ (يونس: ٩٤).

٦- ﴿ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ﴾ (هود: ١٧).

٧- ﴿ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ (هود: ١٠٩).

٨- ﴿ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴾ (الكهف: ٢٢).

٩- ﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾ (مريم: ٣٤).

١٠- ﴿ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ﴾ (الحج: ٥٥).

١١- ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ﴾ (السجدة: ٢٣).

١٢- ﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ﴾ (فصلت: ٥٤).

١٣- ﴿ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴾ (الشورى: ١٨).

١٤- ﴿ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ﴾ (الزخرف: ٦١).

١٥- ﴿ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ ﴾ (الدخان: ٥٠).

١٦- ﴿ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴾ (النجم: ١٢).

١٧- ﴿ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴾ (النجم: ٥٥).

١٨- ﴿ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا۟ بِٱلنُّذُرِ ﴾ (القمر: ٣٦).

وهي تتردد بين: الجحودِ، والشكِ، والجدلِ المذمومِ. لكنه لم يأتِ بمعنى الجدلِ المحمود، وعندما وردت قريباً من ذلك في قوله تعالى: ﴿ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا ﴾ (الكهف: ٢٢) جاءت على طريقةِ المشاكلةِ، فضلاً عن القيدِ الذي جاء مصاحباً لكلمةِ "ظاهراً" مما يؤكدُ المعنى. ولذا ذهب المفسرون إلى أنه لم يُبحْ له ﷺ في

هذه الآية أن يماريَ، ولكنَّ قولَهُ تعالى: ﴿ إِلَّا مِرَآءً ﴾ استعارة مِنْ حيثُ يُماريهِ أهلُ الكتاب، سُمّيَتْ مراجعتهُ لهم مِراءً، ثم قُيّدَ بأنه ظاهرٌ ففارقَ المراءَ المذمومَ.

وفي الحديث عن أبي أمامة ﷺ مرفوعاً: «**أنا زعيم بيت في ربض الجنة لمن ترك المِراءَ وإن كان مُحِقّاً، وببيت في وسط الجنةِ لمن تَرَكَ الكذبَ وإن كان مازحاً، وببيت في أعلى الجنةِ لمن حَسُنَ خُلُقُه**»(١).

خامساً: الخصام:

ورد الخصامُ في القرآنِ باشتقاقاتٍ كثيرةٍ في ستَّ عشرةَ آيةً:

١- ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴾ (البقرة: ٢٠٤).

٢- ﴿ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ (آل عمران: ٤٤).

٣- ﴿ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴾ (النساء: ١٠٥).

٤- ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾ (النحل: ٤).

٥- ﴿ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ﴾ (الحج: ١٩).

٦- ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴾ (النمل: ٤٥).

٧- ﴿ قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴾ (الشعراء: ٩٧).

---

(١) **حسنٌ**. رواه أبو داود في كتاب الأدب، بابٌ في حسن الخلق [٤٨٠٠]، والطبراني في الأوسط [٤٦٩٣]، والبيهقي في الكبرى (١٠/٢٤٩)، وحسنه الألباني في: صحيح أبي داود [٤٠١٥] والسلسلة الصحيحة [٢٧٣].

٨- ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾ (يس: ٧٧).

٩- ﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴾ (ص: ٢١).

١٠- ﴿ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ (ص: ٢٢).

١١- ﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ﴾ (ص: ٦٤).

١٢- ﴿ مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ (ص: ٦٩).

١٣- ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴾ (الزمر: ٣١).

١٤- ﴿ أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴾ (الزخرف: ١٨).

١٥- ﴿ وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ (الزخرف: ٥٨).

١٦- ﴿ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴾ (ق: ٢٨).

سادساً: اللَّجاجُ:

ورد لفظُ لَجُّوا في القرآنِ في موضعين:

١- ﴿ وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا۟ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ (المؤمنون: ٧٥).

٢- ﴿ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴾ (تبارك: ٢١).

الفصل الثالث

صُوَرُ الحِوار في القرآن الكريم

إن الحوارَ في القرآن الكريم تعددت أساليبُهُ، وتنوعت صورُهُ وأشكالُهُ، ففي بعض الآيات نجد الدعوةَ إلى الحوار، أو إلى شيء من مستلزماته وأصوله، وفي نصوص أخرى حثٌّ على التزامِ آدابٍ عامةٍ للحوارِ، وفي أخرى بيانٌ لبعض آدابه، وفي آياتٍ أخرى نماذجُ وأمثلةٌ للحوار.

فمن النصوص العامة التي وَضَعَتْ مقوماتِ الحوار، وأصولهَ، وشروطَ الانتفاعِ به قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾ (سبأ: ٤٦).

تأتي هذه الآية رداً على المشركين الذين طعنوا في النبي ﷺ دون تدبر أو تفكير فاتهموه بالكذب تارة وبالسحر تارة أخرى كما في الآيات قبلها: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ (سبأ: ٤٣).

فأقام الله عز وجل هذه الموعظة العظيمة التي مَنْ أَخَذَ بجميعِ مقوماتِها فإنه يصلُ إلى الحق بلاشك، وهذه المقومات هي:

١- الإخلاص والتجرد في طلب الحق، وهذا شرط أساسي لكل عمل، وبدونه يفسد العمل ولا يوفق صاحبه ولا يبارك له فيه، فالإخلاص في البحث عن الحق والصدق في طلبه شرط للوصول إلى ذلك الحق.

وعندما يغيب الإخلاص ينعدم الانقياد إلي الحق. ولو كان مِثْلَ فَلَقِ الصبح؛ لأن مَنْ تعلق قصدُهُ بغير الله ثَقُلَ عليه الانقياد للحق وقصرت همته عن بلوغ العمل به، وعندما يوجد الإخلاص في القصد والصفاءُ في النية والتجردُ لاتباع الحق، يسهل على صاحبه الانقيادُ له عند ظهوره، ولو على لسان مُخَالِفِهِ؛ لأنه يعلم أن الرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل.

وهذا الأصل يدخل تحته عدد من الآداب مثل تصحيح النية، وحسن الاستماع، والتسليم بالخطأ، والرجوع إلى الحق والتواضع، وتجنب الكذب والمراوغة، والقيام بأداء الأمانة، والإنصاف والعدل، والهدوء، وضبط النفس، وعدم الغضب، وتجنب الاستهزاء، والسخرية بالطرف الآخر، وغير ذلك.

٢- مراجعة النفس على انفراد أو مع الآخرين: ﴿ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ﴾ (سبأ: ٤٦)، والالتزام بهذا الشرط يقضي على عامل مهم من العوامل التي تبعدنا عن الحق، وهو يحدث عادة في الأجواء الجماعية والجماهير الجاهلة، التي غالباً ما تتصف بالغوغائية والتقليد الأعمى، مما يؤدي بطالب الحق إلى اتباع الأكثرية من الناس، ظاناً أن الحق معهم. وهذا الأصل أيضاً يدخل تحته عدة أمور يجب مراعاتها، مثل مراعاة الجو المحيط بالحوار، والظروف النفسية والاجتماعية للطرفين، والتعارف قبل الحوار، والمحافظة على هدف الحوار والوصول إلى نتيجته مما سيأتي تفصيله بمشيئة الله تعالى.

٣- التفكر فيما يقوله المخالفُ: ﴿ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ ﴾ (سبأ: ٤٦) وهو من الأمور التي تعين على الوصول إلى الحق بعد الالتزام بما سبق، فالتفكير والعلم وإمعان النظر هو المتمم لهذا المنهج الإلهي للوصول إلى الحق، وَتَبيُّنِ الهدى من الضلال، لأن أداة التفكر الأساسية هي العلم بحال القضية المختلَفِ فيها ومعرفة ملابساتها، والمقصود بالتفكر هو البحث عن الأدلة الشرعية العلمية والتحقق من ثبوتها ودلالتها على المراد، والجاهل بذلك كله لا يستطيع الوصول إلى الحق فيواجه التقليد الأعمى دون فكر أو نظر[١].

---

(١) سيأتي بيان هذين الأصلين (مراجعة النفس، والتفكر والتأمل) في الباب الثالث: الحِوار مع النفس.

ويدخل تحت هذا الأصل عدد من الآداب العلمية مثل البيان وحسن العرض والتثبت والتوثيق، والبدء بالمتفق عليه، وطلب الدليل والمبادرة به، والتسليم بالحق والبدء بالأهم، وغير ذلك مما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

وتظهر أهمية تلك المقومات والأصول في كلام علماء التفسير عن هذه الآية، فيقول الطبري -رحمه الله-: وقيل: إنما قيل ﴿ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ﴾ وتلك الواحدة أن تقوموا لله بالنصيحة وترك الهوى، ﴿ مَثْنَىٰ ﴾ يقول: يقوم الرجل منكم مع آخر فيتصادقان على المناظرة، هل علمتم بمحمد ﷺ جنوناً قط، ثم ينفرد كل واحد منكم، فيفكر ويعتبر فَرْداً هل كان ذلك به، فتعلمون حينئذ أنه نذير لكم[1].

ويقول الزمخشري: والمعنى: إنما أعظكم بواحدة إن فعلتموها أصبتم الحق وتخلصتم من الباطل وهي أن تقوموا لوجه الله خالصاً متفرقين اثنين وواحداً واحداً ﴿ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ ﴾ في أمر محمد ﷺ وما جاء به. أما الاثنان فيفكران ويعرض كل واحد منهما محصول فكره على صاحبه، وينظران فيه نظر متصادقين متناصفين، لا يميلان إلى اتباع الهوى، ولا ينبض لهما عرقُ عصبيةٍ، حتى يهجم بهما الفكر الصالح، والنظر الصحيح على جادة الحق وسننه، وكذلك الفرد يفكر في نفسه بعدل وإنصاف من غير أن يكابر، ويعرض فكره على عقله وذهنه وما استقر عنده من عادات العقلاء ومجاري أحوالهم. والذي أوجب تفرقهم مثنى وفرادى: وبذلك عُلِمَ أن الاجتماع مما يشوش الخواطر، ويعمى البصائر، ويمنع من الرؤية ويخلط القول، وَمع ذلك يقل الإنصاف ويكثر الاعتساف ويثور عجاج التعصب ولا يسمع إلا نصرة المذهب[2].

فظاهر من كلام الطبري، وكذلك الزمخشري: أن الآية فيها دعوة وإشارة إلى المناظرة والمحاورة مع مراعاة الأصول والمقومات التي تحقق الهدف، وتثمر النتيجة،

---

(١) تفسير الطبري (٢٢ / ١٠٤ - ١٠٥).

(٢) تفسير الكشاف (٢/ ٢٩٤).

كما أشار غيرهما إلى المعنى نفسه. والمعنى: أن التي أعظكم بها: قيامكم وتشميركم لطلب الحق. والمراد بقوله: «مثنى» أي يجتمع اثنان فيتناظران في أمر رسول الله ﷺ والمراد بـ «فرادى» بأن يتفكر الرجل وحده.

فإنني بخصلة واحدة أشير عليكم بها، وأنصح لكم في سلوكها؛ ولست أدعوكم بها إلى اتباع قولي، ولا إلى ترك قولكم من دون موجب لذلك وهي: ﴿ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ﴾ أي: تنهضوا بهمة ونشاط وقصدٍ لاتباع الصواب وإخلاصٍ لله، مجتمعين ومتباحثين في ذلك، ومتناظرين، وفرادى كلٌّ واحد يخاطب نفسه بذلك حيث يدعوكم دعوة خالصة إلى منهج البحث عن الحق، ومعرفة الافتراء من الصدق، وتقدير الواقع الذي يواجهه من غير زيف أو خلل.

إنها دعوة للقيام لله بعيداً عن الهوى، بعيداً عن المصلحة، بعيداً عن ملابسات الأرض، بعيداً عن الهواتف والدوافع التي في القلب، فتبعد به التأثر بالتيارات السائدة في البيئة، والمؤثرات الشائعة في الجماعة، دعوة إلى التعامل مع الواقع البسيط، لا مع القضايا والدعاوى الرائجة، ولا مع العبارات المطاطة، التي تُبْعِدُ القلبَ والعقلَ عن مواجهةِ الحقيقةِ في بساطِتها.

دعوة إلى منطق الفطرة الهادئ الصافي، بعيداً عن الضجيج والخلط واللبس، والرؤية المضطربة والغبش الذي يحجب صفاء الحقيقة، وهي في الوقت ذاته منهجٌ في البحث عن الحقيقة. منهجٌ بسيط يعتمد على التجرد من الرواسب والغواشي والمؤثرات، وعلى مراقبة الله وتقواه.

وهي: «واحدة» إن تحققت صح المنهج واستقام الطريق، القيام لله.. لا لهوى ولا لمصلحة ولا لنتيجة ... التجرد.. الخلوص.. ثم التفكر والتدبر بلا مؤثر خارج عن الواقع الذي يواجهه القائمون لله المتجردون.

﴿ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ﴾ ... مثنى ليراجع أحدهما الآخر، ويأخذ معه ويعطى من غير تأثر بعقلية الجماهير التي تتبع الانفعال الطارئ، ولا تتلبث لتتبع الحجة في هدوء.. وفرادى مع النفس وجهاً لوجه في تمحيص هادئ عميق. ﴿ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ ﴾ فما عرفتم به إلا العقل والتدبر والرزانة. وما يقول شيئاً يدعو إلى التظنن بعقله ورشده إن هو إلا القول المحكم القوي المبين[١].

إن أقوال هؤلاء المفسرين رحمهم الله تبين لنا أن القرآن عُني بموضوع الحوار، وأنه يحتوى على أصول ومقومات عامة ينطلق من خلالها كل باحث عن الحق.

وقريب من هذا ما قاله المفسرون في قوله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُۚ ﴾. (النحل: ١٢٥) حيث قال الطبري -رحمه الله-: ﴿ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُۚ ﴾ يقول: وخاصمهم بالخصومة التي هي أحسنُ من غيرها، أن تصفحَ عما نالوا به عِرْضَك من الأذى، ولا تعصه في القيام بالواجب عليك من تبليغهم رسالة ربك[٢].

وقال الزمخشري: ﴿ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُۚ ﴾ بالطريقة التي هي أحسنُ طرقِ المجادلةِ من الرفقِ واللينِ من غيرِ فظاظةٍ ولا تعنيفٍ[٣].

وقال الشوكاني - رحمه الله-: ثم أمر سبحانه رسولَه أن يدعو أمته إلى الإسلام فقال: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ ﴾، وحذف المفعول للتعميم لكونه بُعِثَ إلى الناس كافةً، وسبيلُ اللهِ هو الإسلامُ ﴿ بِٱلْحِكْمَةِ ﴾: أي بالمقالةِ المحكمةِ الصحيحةِ. قيل: هي الحجج القطعية المفيدة لليقين، ﴿ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِۖ ﴾: وهي المقالة المشتملة

---

(١) في ظلال القرآن (٥/ ٢٩١٤).
(٢) الطبري (١٤/ ٤٣٥).
(٣) الكشاف: (٢/ ٤٣٥).

على الموعظة الحسنة التي يستحسنها المستمع وتكون في نفسه حسنة باعتبار انتفاع السامع بها.

قيل: الحجج الظنية الموجبة للتصديق بمقدمات مقبولة وهما سبيلا الدعوة، ولكن الداعيَ قد يحتاج مع الخصمِ الألدِّ إلى استعمالِ المعارضةِ والمناقضةِ ونحو ذلك من الجدل. ولهذا قال سبحانه ﴿ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ أي: بالطريق التي هي أحسنُ طرقِ المجادلةِ. وإنما أمر سبحانه بالمجادلة الحسنة لكون الداعي مُحِقّاً وغرضُهُ صحيحاً، وكان خصمُهُ مبطلاً وغرضُهُ فاسداً[1].

إذن لا تخلو هذه الآية من إشارة عامة إلى قضية الحوار، وتنبيهٍ على ضرورةِ مراعاةِ الأدبِ فيه، وهنا يقول صاحبُ الظلال في بيان الآية ما نصه: والدعوةُ بالحكمةِ والنظرُ في أحوال المخاطبين وظروفِهم، والقَدْرُ الذي يبينه لهم في كل مرة حتى لا يثقلَ عليهم ولا يشقُّ بالتكاليفِ قبل استعدادِ النفوسِ لها، والطريقة التي يخاطبهم بها، والتنوير في هذه الطريقة حسب مقتضياتها، فلا تستبد به الحماسةُ والإندفاعُ والغيرةُ، فيتجاوز الحكمةُ في هذا كله وفي سواه، وفي الموعظة الحسنة التي تدخلُ إلى القلوب برفق، وتتعمقُ بلطف، لا بالزجرِ والتأنيبِ في غير موجب، ولا بفضحُ الأخطاء التي قد تقع عن جهل أو حُسْنِ نية، فإن الرفق والموعظة كثيراً ما تهديان القلوبَ الشاردةَ، وتؤلفان القلوبَ النافرةَ، وتأتيان بخير من الزجر والتأنيب والتوبيخ، وبالجدل بالتي هي أحسن بلا تَحامُلٍ على المخالف، ولا ترذيلٍ له وتقبيحٍ، حتى يطمئنَّ إلى الداعي، ويشعُرَ أَنْ ليسَ هَدَفُهُ هو الغلبة في الجدال، ولكنْ الاقتناع والوصول إلى الحق، فالنفس البشرية لها كبرياؤها وعنادها، وهي لا تنزل عن الرأي الذي تدافع عنه إلا بالرفق حتى لا تشعر بالهزيمة، وسرعان ما تختلط على النفس قيمة الرأي وقيمتها هي عند الناس، فتعتبر

---

(١) فتح القدير (٣/٢٠٣).

التنازل عن الرأي تنازلاً عن هيبتها واحترامها وكيانها، والجدل بالحسنى هو الذي يشعر المجادَلَ أن ذاتَهُ مصونةٌ وقيمتَهُ كريمةٌ، وأن الداعيَ لا يقصدُ إلا كشفَ الحقيقة في ذاتها والاهتداءَ إليها في سبيل الله، لا في سبيل ذاتِهِ ونصرِ رأيِهِ وهزيمتِهِ الرأيَ الآخرَ[1].

خصائص الحوار القرآني:

١- يشتملُ على أسلوبٍ وصفيٍّ جيد.

٢- عدمُ الاستطرادِ في تصويرِ الحوادثِ استطراداً مملاً بعيداً عن الواقع.

٣- التشويقُ الذي يدفعُ إلى المتابعة في لهفةٍ حتى النهاية.

فمن الثابت البين: أن من لم يُحْكِمْ فَهْمَ القرآنِ فهماً صحيحاً لا تتمُّ له فضائلُ هذا الدينِ وما فَرَّطَ المسلمون في آدابِ هذا القرآن الكريم إلا منذ أن فرطوا في لغتِهِ؛ فأصبحوا لا يفهمون كَلِمَهُ، ولا يُدركون حُكْمَهُ، ولا يقرؤون هذا الكتاب إلا أَحْرُفاً، ولا ينطقونه إلا أصواتاً، وتراهم يرعونه آذانهم وهم بَعْدُ لا يتناولون معاني كلام الله إلا من كلام الناس[2].

فالمسلمون الأولون كانت سلائِقُهُمْ قد سَلِمَتْ فمكنتهم أن يفهموا كلاَمَ اللهِ في يُسْرٍ، وأن يدركوا ما وراء التراكيبِ من كوامنِ الأسرارِ، وأن يستشعروا سرَّ إعجازِهِ عند سماعِهِ، وأن يستعصموا بعقائدهم على الملحدين.

إذا كان الأمر كذلك فقد نشأت في حجر الإسلام أجيالٌ تَصَعَّبَ عليهم كلٌّ ذلك أَوْ تَأَبَّي؛ لأن الفطرة الإسلامية قد وهنت في نفوس الناس بما خالطوا وابتعدوا عن مَوْئِلِ السلامةِ ومعدنِ الفصاحةِ، وعزت على غير العرب بما ارتضوا من أفاويقِ

---

(١) في ظلال القرآن (٤/٢٢٠٢).

(٢) إعجاز القرآن للرافعي (ص: ١٠٤ – ١٠٦).

العجمةِ في البيانِ لذلك اتجه العلماءُ إلى أن يربوا في الناس قوةَ الحسِّ البلاغيِّ، وأَنْ يعودوهم ذوق البيان حتى لا تستغلقَ عليهم أساليبُ القرآنِ [١].

وحوار القرآن يعتمد في طريقة تعبيره عند تنسيق الحوادث على تصوير أبرز المواقف تاركاً بين المشاهد كثيراً من التفصيلات التي تعمل فيها الذاكرة أو يتصورها الخيال.

وقدرة القرآن الكريم على تجسيم المعاني وتصوير الخواطر وبراعته في العرض والأداء وإعجازه في التعبير المركز القصير المشع بالإيحاءات تبعث الحياة في الحوار وتحوله إلى صور حية وشخوص متحركة تنبض بالحياة [٢].

فحوارُ القرآن واقعيٌّ وأسلوبُهُ حقيقيٌّ. ولقد عرَّف عبد القاهر الجرجاني الحقيقة بأنها: كل كلمة أُرِيدَ بها ما وُضِعَتْ له في مواضعها وقوعاً لا يستند إلى غيره [٣].

والأسلوبُ القرآنيُّ أسلوبٌ يعتمد على كثرة الحقائق وصحتها ووضوحها، فالحقائق مع الكثرة والصحة والوضوح تتلون بلون الصورة وتشكل عنصراً من عناصر الصورة الأدبية، ومن ثم نمطاً جديداً في مجال الإعجاز القولي.

فأسلوب القرآن في الحوار أن يختار لقطاتٍ حيةً من الوقائع التاريخية، ولا يُثَقِّلُها بما هو تافهٌ من الجزئيات والتفاصيل التي تصرفُ الفكرَ عن التدبرِ والاعتبارِ، إنه يروي بعض أحداث القصة بأسلوب يبعث فيها الحياة فتتخطى القرونَ ويجعلها كأنها ماثلةٌ أمامنا [٤] كما في قصة قوم لوط:

﴿ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ

---

(١) مقدمة الإيضاح في علوم البلاغة للقزويني (ص: ٥).

(٢) منهج القصة في القرآن (ص: ٤٤).

(٣) إحياء علوم الدين (٣/١١٥).

(٤) سيكلوجية القصة في القرآن (ص: ٨٧).

قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا۟ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ قَالُوا۟ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ (هود: ٧٧- ٨٣).

الشخصيات في الحوار القرآني:

يعتبر الحوار الوارد في القرآن أروع وأعظم حوار على وجه الإطلاق، وبه من الإعجاز الفني واللفظي والمعنوي ما أعجز البشر وخبراء لغة العرب على أن يأتوا بسورة من مثله.

وعند الحديث عن الشخصيات والأحداث في القصة القرآنية يجب أن نلاحظ أن العناصر المألوفة للقصة من أحداث وأشخاص وحوار وارتباط مكاني، وترتيب زماني وعقدة لا نجدها مجتمعة في القصة القرآنية ولا موزعة توزيعاً بل لكل منها دور يختل بانعدامه توازن القصة؛ لأن المقاصد التي يوحي بها السياق هي التي توجه أسلوب العرض وتتحكم في ترتيب الأحداث وتسلط الأضواء على العنصر المراد إبرازه[1].

فقد يكون القصد الإنذارَ والترهيبَ مثلاً فيبرز عنصر الأحداث[2] قال تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادٌ

(١) الحِوار في القرآن (ص: ٥٦).
(٢) سيكلوجية القصة في القرآن (ص: ٩٣).

فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾ (الحاقة: ٤- ٩)

وقد يكون القصد تثبيت الرسول ﷺ والمؤمنين على ما يدعون إليه، رغم ما يَلْقَوْن في سبيله من أهوال، فيبرز عنصر الأشخاص وتُميزُهُمْ الأحداث التي ألمت بهم وما كانت من عاقبة يطمئن إليها المجاهدون. قال تعالى: ﴿ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝ قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ۝ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (هود: ٣١- ٣٤).

وقد يكون القصد إقامة الحجة والإقناع بحكاية أقوال الخصم أو التعريف بشخصية ما والتعقيب عليها؛ فيبرز عنصر الحوار على طريقة الرواية للأقوال، ومن التعقيب على أقوال الخصم ومحاجتهم هذا الحوار الذي جرى بين نوح وقومه على نحو ما تقدم في سورة هود (٣١- ٣٤).

وقد يأتي الحدث والشخصية متساويين في الأهمية فيكمل كل منهما الآخر: ويتناوبان على مركز الاهتمام[1] كما في قصة مولد موسى عليه السلام: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ۝

---

(١) سيكلوجية القصة في القرآن (ص: ٩٦).

﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (القصص: ٧- ٩).

أما المكان والزمان: فهما عنصران مهمان في الحوار بإلباسهما صورة من الواقع وتشخيصهما للأحداث في جو البيئة التي جرت فيها، وكل ما يتصل بهذه البيئة من ظروف وعادات لها تأثير في أخلاق الأشخاص وتصرفاتهم.

إن الحوار القرآني لا يعنيه من ذكر المكان إلا ما جعلت منه جملة الأحداث المهمة مسرحاً له مثل ذكر مصر في حوار يوسف عليه السلام مع العزيز والملك وفي غياهب السجن وعلى عرش الحكم[1]. قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾ (يوسف: ٢١).

كما لا يعنيه من ذكر الزمان تحديد تاريخ الحادثة، ولا مدتها لكن قد يكون في تعيينها أبعاد لقيمة الحادثة نفسها مثل المدة التي نامها أهل الكهف قال تعالى: ﴿وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا﴾ (الكهف: ٢٥).

والمدة التي أمات الله فيها الرجل الذي مر على قرية، قال تعالى: ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِا۟ئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ﴾ (البقرة: ٢٥٩)

وقد نجد الحدث والشخصية مجتمعة مع بعضها أو موزعة، فنرى عنصر الأحداث هو العنصر البارز في الحوار الذي يقصد به التخويف والإنذار كما في قصة ثمود في سورتي الشمس والقمر.

ولا يبرز عنصر الأشخاص إلا إذا قُصِدَ مثلاً تثبيتُ قلبِ النبي ﷺ فنلاحظ تعدد الشخصيات كما في سورة الأعراف والشعراء.

---

(١) سيكلوجية القصة في القرآن (ص: ٩٧).

والشخصية في الحوار القرآني لا يقصد بها الإنسان فحسب بل يقصد بها كل شخصية وقعت معها أحداث، وصدرت عنها عبارات وأفكار، أدت دوراً إيجابياً في الحوار مثل: الملائكة، والجن، والحيوانات، التي ذكر القرآن منها: الحمار، والكلب، والبقرة، والغراب. لكن الحوار لم يرد إلا عن بعض الطيور والحشرات مثل الهدهد والنملة، ونرى أن القرآن عندما يتحدث عنهم يذكر أن الحيوانات تقوم بما يقوم به الشخص العادي، فقد تحدثت النملة، وتحدث الهدهد كُلٌّ بِلُغَتِهِ وَفَهِمَهُ سليمانُ عليه السلام لأن الله قد علمه منطقهما، وهذا قد أحدث لبساً عند البعض مثل الرازي وغيره فأنكروا أن يكون الحوار واقعياً أو على الحقيقة.

وعنصر الأسماء في الحوار القرآني ليس له دور بارز مثل: أسماء الرسل، والأنبياء، والملائكة والجن والملوك والوزراء، فالحوار في القرآن لم يقم وزناً لأسمائهم ومميزاتهم الحسية. فلا طول ولا عرض ولا لون ولا ملامح ولا قسمات من كل تلك التي تميز شخصيةً عن الأخرى ولنأخذ مثال أصحاب القرية، قال تعالى: ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا۟ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا۟ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ (يس: ١٣- ٢١).

وفي بعض الأحيان نجد أن القرآن يذكر شيئاً من هذه السمات للضرورة كقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة: ٢٤٧).

يهمل القرآن الأسماء إهمالاً تاماً في الحوار الذي يراد به التخويف والذي يبرز فيه عنصر الحوادث ويخفي ما عداها، كقوله تعالى: ﴿ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِا۟ئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِا۟ئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (البقرة: ٢٥٩).

فهنا اختفى الاسم واختفت سمات الشخصية، بينما التركيز على الحدث للعبرة، وهو حيناً آخر يذكر الأسماء ليتمكن القارئ من متابعة الأفكار والوقوف على مجرياتها: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ (الشعراء: ١٠٦ - ١١٠).

فلا حاجة لذكر الأسماء إلا لتمييز أصحاب القصة عن غيرهم مثل أسماء الأقوام أو الأنبياء. وعنصر الشخصية فيه يكاد أن يختفي لولا بعض الأسماء وبعض الصفات، وإن العنصر القوى الذي يسير جنباً إلى جنب مع الحوار هو الحدث.

والحوار القرآني يعتمد على تنسيق الحوادث وعلى إبراز المواقف والأحداث تاركاً التفصيلات التي تعمل فيها العقول، أو يتصورها الخيال، وتبهرنا قدرة القرآن على تجسيم المعاني وتصوير الخواطر، وبراعته في العرض والأداء، وإعجازه في التعبير المركز المشع بالإيحاءات وتحوله إلى صورة حية وشخوص متحركة، ومشاهد تنبض بالحياة[1]. كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٠ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ۝١١ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ۝١٢ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ۝١٣ وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ۝١٤ قَالَ كَلَّا ۖ فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ۝١٥ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (الشعراء: ١٠ـ ١٦).

لقد تنزه حوار القرآن عن أن يقول أي شيء غير ذي بال أو يساق لأي غرض يخالف الأخلاق بل هو مملوء بالعبر والمواعظ التي تقترن بالعرض لذا كان حواره تعليمياً. والحوار القرآني حوار من نوع خاص. وهو ليس فناً خالصاً إنما هو حوار صاغه الله سبحانه وتعالى ليكون مثلاً للناس، وهنا يختلف المؤلفون من البشر عما هو تنزيل من عزيز حكيم، فحوار القرآن الكريم بطبيعة الحال لابد أن يكون المثل الأرفع في الخلق والإيمان فإذا نحينا جانب الموعظة التي يحملها القرآن ونظرنا إلى العرض الفني في الحوار القرآني لوجدنا في أغلب الأحيان عجباً ولا عجب فإنه تنزيل من عزيز حميد.

إن حوار القرآن الكريم واقعي يساق للعبرة ولم يأت لمجرد التسلية أو المتعة[2]. وقد قرر تعالى هذه الحقيقة حيث قال: ﴿ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (يوسف: ١١١).

---

(١) منهج القصة في القرآن (ص: ٤٤).

(٢) المعجزة الكبرى في القرآن (ص: ١٦٢ — ١٦٣).

والحوار في القرآن له دور بارز في توجيه الدعاة إلى الله إلى اتخاذ مواقف صحيحة ومدروسة تجاه ما يلقونه. وهذا ما حدث عند نزول القرآن على رسوله الله ﷺ في مكة، فها هي القلة المؤمنة محصورة بين شعابها، والطريق شاق وطويل. فجاء الحوار ليكشف لهم نهاية الطريق ويبين لهم معالمه.

إن صدق الحوار فيما قصه الله تعالى من غيب مجهول للنبي ﷺ كان سبباً في إثبات الوحي والرسالة. فما نجده من حوار بين نوح وقومه، وإبراهيم وموسى عليهم السلام دليل على صدق الرسالة وإثبات الصلة بوحى الله ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَـٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَـٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (هود: ٤٩).

والحوار القرآني دقيق في رسم الشخصيات على قلة عدد الألفاظ المستخدمة فيه وفيه دقة في رسم الملامح واختيار اللحظة الحاسمة لتوجيه العبرة إلى القلب.

نماذج من الحوار في القرآن:

حوار الملائكة والجن:

يذكرهم الله سبحانه وتعالى أنهم يجيئون بصورة بشرية فهذا جبريل عليه السلام يأتي مريم في صورة بشر فاضطربت واستعاذت بالرحمن: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَـٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴾ (مريم: ١٦- ١٨) وهذه الملائكة تأتي لوطاً وإبراهيم أضيافاً أي: في صورة بشرية أيضاً، وفي كلتا الحالتين لا يدري لوط وإبراهيم حقيقةَ ضيوفِهِمَا.

﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا ۖ قَالَ سَلَـٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَـٰهَا بِإِسْحَـٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَـٰقَ يَعْقُوبَ ﴾ (هود: ٦٩- ٧١).

أما الجن فمنهم مؤمن ومنهم غير مؤمن يتحاورون مع الرسول ﷺ بما يخص الإيمان: ﴿ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَـٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴾ (الجن: ١٤- ١٧).

حوار الرسل والأنبياء مع قومهم:

من خلال القصص القرآني الذي يشغل مساحة كبيرة من كتاب الله، ومن بين ما نتعلمه من هذا القصص، فضلاً عما يرد فيه من تشريع معجز، يغفل عنه الكثير، نجد نماذج الحوار بين أنبياء الله وأقوامهم.

حوار نوح عليه السلام مع قومه:

بُعث نوح عليه السلام إلى قومه يدعوهم إلى عبادة الله ﴿ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾ (الأعراف: ٥٩، المؤمنون: ٢٣) وهم هائمون في عبادة الأصنام.

ثم بين لهم عاقبة الشرك بالله: ﴿ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴾ (هود: ٢٥- ٢٦)، فردوا عليه: ﴿ فَقَالَ

ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴾ (هود: ٢٧).

فرد عليهم نوح بأربع: أنه على بينة من ربه عميت أبصارهم عنها، ولن يكرههم عليها، وأنه لن يسألهم أجراً؛ لأن أجره على الله، وأنه لن يطرد الذين آمنوا، لأنه يخاف الله، ومن ينصره من الله، وأنه لن يقول لهم لن يؤتيكم الله خيراً؛ إنه إن فعل ذلك كان ظالماً، وأخيراً أنه لا يملك خزائن الله، ولا يعلم الغيب، ولا يدعي أنه ملك[1]. ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (هود: ٢٨ ـ ٣١)، فيقول قومه له: ﴿ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ (هود: ٣٢). وهنا نصل إلى الإفحام، ويرد نوح على ذلك: ﴿ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا

---

(١) أدب الحوار والمناظرة (ص: ١٣٦).

يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴾ (هود: ٣٣- ٣٥).

وتأتي العاقبة في النهاية بعد استهزائهم منه وهو يصنع الفلك ...

ثم يوجه نوح حواره لابنه فقد قال له: ﴿ ... يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾.

فكان رد ابنه الجاهل أنه سيعتصم بالجبل ﴿ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِۚ ﴾ فجاء رد الوالد الناصح الأمين ﴿ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ ﴾.

ولم يستطيع الابن جواباً فقد تاه جوابه مع أمر الله الذي جاء ﴿ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴾.

وانتهي المشهد الأليم للأب يشهد مصرع ابنه فتأخذه الشفقة بولده.

ثم يبدأ نوح حواره مع ربه: ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ وكان قد صدق وعد الله ﴿ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ ﴾ وهنا تتقرر القاعدة الربانية التي تفصل بين الكفر والإيمان، ويأتي معها التوجيه والتأنيب: ﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍۖ ﴾ [وفي قراءة: إنه عَمِلَ غَيْرَ صالحٍ] ﴿ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾.

وهنا يعود العبد الأواب إلى ربه يسأله المغفرة والرحمة في تذلل وخضوع: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾ (هود: ٤٧).

حوار إبراهيم عليه السلام مع الصابئة:

قام إبراهيم عليه السلام بمناظرة قومه ومحاورتهم مبيناً لهم بطلان ما هم عليه من عبادة الهياكل والأصنام، داعياً إياهم إلى توحيد الله، وعبادته وحده لا شريك له، وأبطل شبه المشركين بالبراهين الواضحة[1]. قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَـٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْأَفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَـٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَـٰذَا رَبِّى هَـٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَـٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَـٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ (الأنعام: ٧٥- ٨١).

---

(١) الحِكَمُ الجديرةُ بالإذاعة (ص: ١٣).

حوار إبراهيم عليه السلام مع النمروذ:

كان الحوار بين إبراهيم عليه السلام والنمروذ في مسألة الربوبية، كما أوضح قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ (البقرة: ٢٥٨). قال الحافظ ابن كثير: ذكر السُّدِّيُّ أن هذه المناظرة كانت بين إبراهيم عليه السلام ونمروذ بعد خروج إبراهيم من النار، ولم يكن اجتمع بالملك إلا في ذلك اليوم، فجرت بينهما هذه المناظرة. اهـ[1]

حوار إبراهيم عليه السلام مع الملائكة:

لقد تحاور إبراهيم عليه السلام مع الملائكة في شأنِ إهلاكِ قوم لوطٍ، كما قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَـٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴾ (هود: ٧٤). قال الحافظ ابن كثير: قال سعيد بن جبير: لما جاء جبريل وَمَنْ معه قالوا له: ﴿ إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ﴾ (العنكبوت: ٣١). قال لهم: أتهلكون قرية فيها ثلاثمائة مؤمن؟ قالوا: لا، قال: أفتهلكون قرية فيها مائتا مؤمن؟ قالوا: لا، قال: أريتكم إن كان فيها رجل واحد مسلم أتهلكونها؟ قالوا: لا، فقال إبراهيم عليه السلام عند ذلك: ﴿ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا۟ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٣١٣).

لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾ (العنكبوت: ٣٢). فسكت عنهم واطمأنت نفسه. اهـ[١]

حوار موسى عليه السلام مع فرعون:

ابتدأ فرعون الحوار بالاستفسار والسؤال عن حقيقة الإله الذي أرسل موسى عليه السلام، فكان الجواب فيه البيان الشافي لحقيقة رب العالمين. قال تعالى: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ (الشعراء: ٢٣ - ٣١).

ويظهر من الحوار أن موسى عليه السلام تلطف مع فرعون طمعاً في استجابته للدعوة، وإرخاء لعنان الحوار معه، مريداً لقهره بالحجة الدامغة في باب النبوة، وهي إظهار المعجزة، فعرض له حتى يلجئه إلى طلب المعجزة[٢].

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/٤٥٢).

(٢) فتح البيان (٧/١٣).

حوار مؤمن آل فرعون:

وهو نموذج يتكرر. إذ كل فرعون لا يأتي إلا ومعه قائم لله بحجة، لا يخشى في الله لومة لائم، يكتم إيمانه.. حتى إذا وجد الباطل يهم ليبطش بالحق صار سكوته إثماً، وصار أمره ونهيه. وقوله الحق واجباً.

يبدأ فرعون فيتهم موسى ﷺ بالسحر والكذب، ويأمر بقتل الأبناء، واستحياء النساء. ثم يمضي إلى موسى نفسه فيأمر بقتله لأنه يخشى أن يبدل دين قومه أو أن يظهر في الأرض الفساد!!

ويستعيذ موسى بربه من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب. ويهم فرعون اللعين بالتنفيذ، فينهض المؤمن الذي يكتم إيمانه ليلقنهم دروساً، وليقول كلمة الحق، وليجادلهم ولنستمع إلى الآيات:

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَقَـٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَـٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُوا۟ نِسَآءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَـٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَـٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ

ءَامَنَ يَـٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثۡلَ دَأۡبِ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَـٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوۡمَ تُوَلُّونَ مُدۡبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ﴾ (غافر: ٢٣- ٣٣).

وكانت النتيجة بعد هذا الحوار الكريم والدعوة الطيبة وكلمة الحق:

﴿ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۖ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴾. (غافر: ٤٥- ٤٦)

حوار أصحاب الجنة مع أصحاب النار:

في الحوار أطراف ثلاثة: أهل الجنة، وأهل النار، وأصحاب الأعراف.

- يبدأ الحوار بأصحاب الجنة: ﴿ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُۖ لَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّۖ وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ (الأعراف: ٤٣).

- ثم يتوجهون إلى أصحاب النار: ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴾ (الأعراف: ٤٤- ٤٥).

- وهنا يظهر صوت أصحاب الأعراف متوجهين لأصحاب الجنة: ﴿ وَبَيۡنَهُمَا حِجَابٞۚ وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمۡۚ وَنَادَوۡاْ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۚ لَمۡ يَدۡخُلُوهَا وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ ﴾ (الأعراف: ٤٦).

- ثم ينتقل الحوار إلى أصحاب النار: ﴿ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُوا۟ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَٰهُمْ قَالُوا۟ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ۚ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾ (الأعراف: ٤٩).

- وتأتي خاتمة الحوار ندماً يوم لا ينفع الندم: ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ۚ ﴾ (الأعراف: ٥٠).

ويأتي التبكيت لهم من أهل الجنة مع الحرمان أليماً ﴿ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾ (الأعراف: ٥٠- ٥١).

الفصل الرابع

صور الحوار في السنة النبوية

أ- الحوار في الدعوة إلى الله :

لقد كان الحوار أساساً في الدعوة إلى الله تعالى، وكان النبي ﷺ يدعو قومه ليلاً ونهاراً مستخدماً أساليب الحوار وطرقه، ومن الأمثلة التي حفظتها لنا السيرة النبوية في ذلك :

١- حوار الرسول ﷺ مع عتبة بن ربيعة :

أرسلت قريش عتبة بن ربيعة إلى الرسول ﷺ يُحادثه، ويفاوضه ويُغريه، فجلس عتبة إلى الرسول ﷺ وقال: «يابن أخي، إنك منا حيث قد علمت من الشطر في العشيرة، والمكان في النَّسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم، فرقت به جماعتهم، وسفهت به أحلامهم، وعبت به مَنْ مضى من آبائهم، فاسمع مني أعرض عليك أموراً لعلك تقبل بعضها».

فقال الرسول: «قُلْ - يا أبا الوليد- أَسْمَع».

قال: «يابن أخي، إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً، جمعنا لك من أموالنا، وإن كنت إنما تريد به شرفاً، سودناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك، وإن كنت إنما تريد به ملكاً ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رئياً تراه، لا تستطيع رده عن نفسك، طلبنا لك الطب، وبذلنا فيه أموالنا حتى نُبرئك منه، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يُدَاوى منه».

حتى إذا فرغ عُتبة ورسول الله ﷺ يستمع إليه، قال: «أوقد فرغت يا أبا الوليد؟[1]»، قال: «نعم»، قال: «فاسمع مني»، قال: «أفعل»، فقال رسول الله ﷺ :

(١) انظر إلى الأدب النبوي الرفيع في الحِوار بحسن الإنصات والاستماع مما ينتقده الكثيرون الآن في حواراتهم من كثرة المقاطعة والشغب ورفع الصوت.

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون بشيراً ونذيراً فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون ﴾ [فصلت: ١ـ ٤].

ثم مضى رسول الله ﷺ: فيها يقرؤها عليه، فلما سمعها أنصت لها، وألقى يده خلف ظهره معتمداً عليها، يسمع منه ثم انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة فيها فسجد، ثم قال: «قد سمعت يا أبا الوليد، فأنت وذاك»، أي: وما تختار، فقام عتبة إلى أصحابه فقال بعضهم: «نحلف بالله، لقد جاءكم أبو الوليد بوجه غير الوجه الذي ذهب به»، وطلب عُتبة منهم أن يدعوا الرسول ﷺ وشأنه، فأبوا وقالوا له: «سحرك يا أبا الوليد بلِسانه» (١).

ومن صور الحوار في الدعوة إلى الله أيضاً:

حوار جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه مع أصحمة النجاشي:

أرسل النجاشي إلى أصحاب رسول الله ﷺ، فلما جاءوا- وقد دعا النجاشيُّ أساقفته، فنشروا مصاحفهم حولهُ سألهم قائلاً: «ما هذا الذي فارقتم فيه قومكم، ولم تدخلوا ديني، ولا دين أحد من أهل الملل؟!» .

فأجابه جعفر قائلاً: «أيُّها الملك، كنا أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونُسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله رسولاً منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته، وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة، وأمرنا أن نعبد الله وحده، ولا نشرك به شيئاً، فأمرنا بالصلاة والزكاة، والصيام، وعدد علينا أمور الإسلام ـ فصدقناه وآمنا به، واتبعناه على ما جاء به من عند الله، فعبدنا الله،

(١) سيرة ابن هشام (١/٣١٣)، وحسَّن إسناده الألباني في تخريجه فقه السيرة للغزالي ص١٣.

فعدا علينا قومنا، فعذبونا وفتنونا عن ديننا؛ ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله، وأن نستحل ما كنا نستحلُّ من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا، وضيقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلادك، واخترناك على من سواك، ورغبنا في جوارك، ورجونا ألا نظلم عندك أيها الملك».

فقال النجاشي: «هل معك مما جاء به عن الله من شيءٍ؟» .

فقرأ عليه صَدْراً من ﴿كهيعص﴾ فبكى النجاشي حتى اخْضَلَّت لحيتُهُ وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم، ثم قال: «إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاةٍ واحدةٍ» .

ب ـ الحوار بين المسلمين:

إن المتأمل في أحاديث الرسول ﷺ يجد أن جانب الحوار أساسي فيها، فقد كان النبي ﷺ يتخذ من الحوار سبيلاً إلى تعليم أصحابه الكرام أحكاماً جديدة، وكان الصحابة يسألونه ﷺ كي يتعلموا منه.

ففي جميع أبواب الحديث الشريف: الذكر، والدعاء، والأخلاق، والعبادات والمعاملات، وَمِنْ قَبْلُ في أمور العقيدة والقضاء والقدر نجد البحث عن المعرفة أمراً أساسياً في محاوراته ﷺ.

ولقد سجلت كتب السنة النبوية تساؤلات متعددة وقعت من الصحابة رضي الله عنهم لرسول الله ﷺ، تتعلق بقضايا العقيدة وبدء الخلق، والقدر، والتشريعات، والعبادات، وعلى سبيل المثال:

١- الحوار حول العقيدة

عن عمران بن حصين - رضي الله عنهما- قال دخلت على النبي ﷺ وعقلت ناقتي بالباب فأتاه ناس من بني تميم فقال: «**اقبلوا البشرى يا بني تميم**». قالوا قد بشرتنا فأعطنا مرتين ثم دخل عليه ناس من أهل اليمن فقال: «**اقبلوا البشرى يا أهل**

اليمن إذ لم يقبلها بنو تميم» قالوا: قد قبلنا يا رسول الله. قالوا: جئناك نسألك عن هذا الأمر. قال: «**كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء وخلق السموات والأرض**». فنادى مناد ذهبت ناقتك يا ابن الحصين فانطلقت فإذا هي يقطع دونها السراب فوالله لوددت أني كنت تركتها(١).

ففي هذا الحديث يقص عمران بن حصين مشهداً في مجلس رسول الله ﷺ، لقد دخل عليه بنو تميم فقال لهم اقبلوا البشرى أي هلموا أعلمكم عملاً صالحاً يصل بكم إلى الجنة ويحقق لكم السعادة الأبدية، لكن القوم ظنوا البشرى مالاً ومآكلَ ومشارِبَ، فطلبوا العطاء العاجل وألحوا في سؤاله. وفي هذه الأثناء دخل قوم آخرون جاءوا من أجل الهدف السامي والاستقامة على الحق، فبدأ الرسول ﷺ يشرح ويبين بدء الخلق ويجيب على تساؤلات القوم.

وعن أنس بن مالك ﷺ أن النبي ﷺ خرج حين زاغت الشمس فصلى الظهر فلما سلم قام على المنبر فذكر الساعة وذكر أن بين يديها أموراً عظاماً ثم قال: **من أحب أن يسأل عن شيء فليسأل عنه فوالله لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم به ما دمت في مقامي هذا** قال أنس: فأكثر الناس البكاء وأكثر رسول الله ﷺ أن يقول: **سلوني**. فقال أنس: فقام إليه رجل فقال: أين مدخلي يا رسول الله. قال: النار. فقام عبد الله بن حذافة فقال: من أبي يا رسول الله. قال: **أبوك حذافة**. قال: ثم أكثر أن يقول: **سلوني سلوني**. فبرك عمر على ركبتيه فقال: رضينا بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ رسولاً قال: فسكت رسول الله ﷺ حين قال عمر ذلك. ثم قال رسول

---

(١) رواه البخاري [٣١٩٠-٣١٩١] كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قول الله تعالى [وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه] [سورة الروم، آية: ٢٧]، والترمذي [٣٩٥١]، كتاب المناقب، باب: في ثقيف وبني حنيفة، وأحمد [١٩٣٢١].

الله ﷺ : **والذي نفسي بيده لقد عرضت علي الجنة والنار آنفا في عرض هذا الحائط وأنا أصلي فلم أر كاليوم في الخير والشر**[١].

ومعنى هذا الحديث : أن النبي ﷺ أخذ يحث الناس على التساؤل عما يعن لهم من أمور الدين وعقائد الإسلام وحقائق الوجود ، لكن البعض أخذ يسأل عن أمور ليست من الدين في شيء ، حتى سأل أحدهم عن مصيره في الآخرة أفي الجنة أم النار؟ وسأل آخر عن حقيقة نسبه إلى أبيه. وهنا أدرك عمر بن الخطاب ﷺ بفطرته ونقاء سريرته وصدق عقيدته أن الأمر بدأ يأخذ مسلكاً قد يغضب الله ورسوله فجثا على ركبتيه وقال : رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ رسولا[٢].

عن معاذ ﷺ قال كنت ردف النبي ﷺ على حمار يقال له عفير فقال : **يا معاذ هل تدري ما حق الله على عباده وما حق العباد على الله.** قلت : الله ورسوله أعلم. قال : **فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا.** فقلت : يا رسول الله أفلا أبشر به الناس. قال : **لا تبشرهم فيتكلوا**[٣].

ويستفاد من هذا الحوار وقوع اجتهاد الصحابة في زمن النبي ﷺ وأن المجتهد لا لوم عليه إذا بذل وسعه وإن لم يصب الحق ، وأنه إذا عمل بالاجتهاد لا تجب عليه الإعادة[٤].

---

(١) رواه البخاري [٧٢٩٤]، في كتاب الاعتصام ، باب : ما يكره من كثرة السؤال وتكلف مالا يعنيه ، ومسلم (٢٣٥٩) كتاب الفضائل بـاب توقيره -صلى الله عليه وسلم- وترك إكثار سؤاله ، وأحمد [١٢٢٤٨]، .

(٢) الحوار بين الجماعات الإسلامية (ص : ١٠١).

(٣) رواه البخاري [٢٨٥٦]، كتاب الجهاد والسير ، باب : الفرس والحمار ، ومسلم [٣٠]، ومسلم في الإيمان باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً . والترمذي [٢٦٤٣]، كتاب الإيمان ، باب : ما جاء في افتراق هذه الأمة.

(٤) فتح الباري(١/ ٤٤٤).

٢- الحوار في القضاء والقدر:

عن علي بن أبي طالب ﷺ قال: إن رسول الله ﷺ طرقه وفاطمة بنت النبي ﷺ ليلة فقال: «**ألا تصليان؟**» فقلت: يا رسول الله أنفسنا بيد الله فإذا شاء أن يبعثنا بعثناً. فانصرف حين قلت ذلك، ولم يرجع شيئاً ثم سمعته وهو يضرب فخذه يقول: ﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴾(١).

لقد حرص الرسول ﷺ على إيقاظ ابنته وزوجها لصلاة الليل؛ حتى يحصلا على الثواب الجزيل الذي أعده الله للمستغفرين بالأسحار. واعتذر على بن أبي طالب ﷺ بالقدر وقال: يا رسول الله أنفسنا بيد الله فإذا شاء أن يبعثنا بعثناً. وبمجرد أن سمع الرسول ﷺ هذا الاعتذار لم يراجع علياً بشيء وإنما خرج متعجباً وهو يُذكّره بقول الله تعالى: ﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴾ (الكهف: ٥٤).

وعن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما- أن نفراً كانوا جلوسا بباب النبي ﷺ فقال بعضهم: ألم يقل الله كذا وكذا وقال بعضهم ألم يقل الله كذا وكذا فسمع ذلك رسول الله ﷺ فخرج كأنما فقئ في وجهه حب الرمان فقال: «**بهذا أمرتم أو بهذا بعثتم أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض إنما ضلت الأمم قبلكم في مثل هذا إنكم لستم مما هاهنا في شيء انظروا الذي أُمرتم به فاعملوا به والذي نُهيتم عنه فانتهوا**»(٢).

---

(١) رواه البخاري [١١٢٧]، أبواب التهجد، باب تحريض النبي على صلاة الليل والنوافل من غير إيجاب، ومسلم [٧٧٥] كتاب صلاة المسافرين، باب ما روي فيمن نام الليل أجمع حتى أصبح، وأحمد [٩٠٢].

(٢) **صحيح**. رواه ابن ماجه [٨٥]، في المقدمة، باب في القدر، وقال في الزوائد: هذا إسناد صحيح رجاله ثقات، وأحمد [٦٨٠٦]، وهذا لفظه. وَرَوَيَ مسلم [٢٦٦٦]، نحوه بدون موضع الشاهد، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجة [٦٩]، والمشكاة [٩٨، ٩٩، ٢٣٧] والظلال [٤٠٦]، والتعليق الرغيب [١/ ٨١-٨٢].

وفي موقف آخر تساءل الصحابة في أمر القدر" كما جاء عن علي بن أبي طالب ﷺ قال: كنا في جنازة في بقيع الغرقد فأتانا رسول الله ﷺ فقعد وقعدنا حوله ومعه مخصرة فنكس فجعل ينكث بمخصرته[١] ثم قال: «**ما منكم من أحد، ما من نفس منفوسة إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة والنار، وإلا وقد كتبت شقية أو سعيدة**». فقال رجل: يا رسول الله أفلا نمكث على كتابنا وندع العمل؟ فقال: «**من كان من أهل السعادة فسيصير إلى عمل أهل السعادة، ومن كان من أهل الشقاوة فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة، فقال: اعملوا فكل ميسر؛ أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة وأما أهل الشقاوة، فييسرون لعمل أهل الشقاوة**»، ثم قرأ: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴾ (الليل: ٥- ١٠)[٣].

وعن جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما- قال: جاء سراقة بن مالك بن جعشم قال يا رسول الله بين لنا ديننا كأنا خلقنا الآن فيما العمل اليوم أفيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير أم فيما نستقبل قال: «**لا بل فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير**». قال: ففيم العمل. فقال: «**اعملوا فكل ميسر**»[٣].

---

(١) المخصرة - بكسر الميم - ما أخذه الإنسان بيده واختصر من عصا صغيرة وعكاز صغير وغيرها، ونكس - بتخفيف الكاف وتشديدها - لغتان فصيحتان أي خفض رأسه، ونكث أي خط خطاً يسيراً مرة بعد مرة.

(٢) رواه البخاري [١٣٦٢، ٤٩٤٨]، كتاب الجنائز، باب موعظة المحدث عند القبر، ومسلم [٢٦٤٧]، واللفظ لـه في كتاب القدر، باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه وأبو داود [٤٦٩٤]، والترمذي [٣٣٤٤].

(٣) رواه مسلم [٢٦٤٨]، وأحمد [١٣٧٠٢]، كتاب القدر، باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته.

وعن أبي الأسود الديلي قال: قال لي عمران بن الحصين: أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه أشيء قضي عليهم ومضى عليهم من قدر ما سبق أو فيما يستقبلون به مما أتاهم به نبيهم وثبتت الحجة عليهم. فقلت: بل شيء قضي عليهم ومضى عليهم. قال فقال: أفلا يكون ظلما. قال: ففزعت من ذلك فزعا شديدا وقلت: كل شيء خلق الله وملك يده فلا يسأل عما يفعل وهم يسألون. فقال لي: يرحمك الله إني لم أرد بما سألتك إلا لأحزر عقلك. إن رجلين من مزينة أتيا رسول الله ﷺ فقالا: يا رسول الله أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه أشيء قضي عليهم ومضى فيهم من قدر قد سبق أو فيما يستقبلون به مما أتاهم به نبيهم وثبتت الحجة عليهم. فقال: **لا بل شيء قضي عليهم ومضى فيهم وتصديق ذلك في كتاب الله عز وجل:** ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴾[1].

٣- الحوار في الجانب التشريعي:

عن ابن عباس ﷺ أن هلال بن أمية قذف امرأته عند النبي ﷺ بشريك بن سحماء فقال النبي ﷺ: «**البينة أو حد في ظهرك**». فقال: يا رسول الله إذا رأي أحدنا على امرأته رجلا ينطلق يلتمس البينة. فجعل النبي ﷺ يقول: **البينة وإلا حد في ظهرك**. فقال هلال: والذي بعثك بالحق إني لصادق فلينزلن الله ما يبرئ ظهري من الحد. فنزل جبريل وأنزل عليه: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ ﴾ فقرأ حتى بلغ ﴿ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾. فانصرف النبي ﷺ فأرسل إليها فجاء هلال فشهد والنبي ﷺ يقول: «**إن الله يعلم أن أحدكما كاذب فهل منكما تائب**». ثم قامت

---

(١) رواه مسلم [٢٦٥٠]، كتاب القدر، كيفية خَلْقِ الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، وأحمد [١٩٤٢٤].

فشهدت فلما كانت عند الخامسة وقفوها وقالوا: إنها موجبة. قال ابن عباس: فتلكأت ونكصت حتى ظننا أنها ترجع. ثم قالت: لا أفضح قومي سائر اليوم. فمضت فقال النبي ﷺ: **أبصروها فإن جاءت به أكحل العينين سابغ الأليتين خدلج الساقين فهو لشريك بن سحماء.** فجاءت به كذلك فقال النبي ﷺ: **لولا ما مضى من كتاب الله لكان لي ولها شأن**(١).

إن الله تعالى جعل حد القاذف بالزنا ثمانين جلدة ما لم يأت بأربعة شهداء لكن ما الحكم إذا قذف الرجل زوجته أيخرج يلتمس البينة فيكون المشهد قد انتهي أم يسكت ويكون ديوثا؟ لقد جاء هلال بن أمية يتهم امرأته بالزنا ولم يكن أمام الرسول ﷺ بد من بيان حكم القذف العام الذي نزلت به الآيات، وظل الرجل يجادل رسول الله ﷺ حتى نزل الوحي يستثنى الأزواج من هذا الحكم العام، ويجعل لهم حكما خاصا هو اللعان.

وعن عائشة - رضي الله عنها- قالت: تبارك الذي وسع سمعهُ كلَّ شيء، إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة، ويخفي عليّ بعضه، وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله ﷺ وتقول: يا رسول الله أَكَل شبابي ونثرت له بطني، حتى إذا كبر سني، وانقطع ولدي ظاهر مني، اللهم إني أشكو إليك، فما برحت حتى نزل جبريل عليه السلام بهذه الآيات: ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا ﴾ (المجادلة: ١)(٢).

---

(١) رواه البخاري [٤٧٤٧]، كتاب التفسير، باب: [والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين] الآية من (سورة النور، آية: ٧)، وأبو داود [٢٢٥٠]، كتاب الطلاق، باب في اللعان، والترمذي، [٣١٧٩] كتاب تفسير القرآن، باب (تابع ٢٥).

(٢) **صحيح**. رواه ابن ماجه [٢٠٦٣]، كتاب الطلاق، باب الظهار، والحاكم (٢/٥٢٣)، (٧/٣٨٢)، والحديث صححه الألباني في: صحيح سنن ابن ماجه [١٦٩١]، والإرواء [٧/١٧٥].

إن الظهار كان طلاقاً في الجاهلية، وكان أوس بن الصامت شيخاً كبيراً، فظاهر من امرأته خولة بنت ثعلبة، فجاءت تلتمس الفتوى من رسول الله ﷺ فأخبرها أنها قد حرمت عليه، لكن المرأة كانت في حاجة إلى زوجها والد أبنائها وعائلها فقالت: إن لي منه صغاراً إن ضممتهم إليه ضاعوا وإن ضممتهم إلي جاعوا. وظلت تجادل رسول الله ﷺ وتقول إنه لم يذكر طلاقاً، حتى نزل الوحي بحكم جديد هو أن الظهار ليس طلاقا وإنما فيه كفارة عتق رقبة أو صيام شهرين متتابعين أو إطعام ستين مسكينا على هذا الترتيب.

وعن أبي ذر ﷺ قال: كنت أمشي مع النبي ﷺ في حرة بالمدينة فاستقبلنا أحد فقال: «**يا أبا ذر.** قلت: لبيك يا رسول الله فقال: **ما يسرني أن عندي مثل أحد هذا ذهبا، تمضي عليَّ ثلاثة أيام وعندي منه دينار، إلا شيء أرصده لدين، إلا أن أقول به في عباد الله هكذا وهكذا وهكذا**»، عن يمينه وعن شماله وعن خلفه، ثم سار فقال: «**إن الأكثرين هم المقلون يوم القيامة إلا من قال بالمال هكذا وهكذا وهكذا**»، عن يمينه وعن شماله ومن خلفه، «**وقليل ما هم**»[1].

وعن أنس ﷺ قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أخبروا كأنهم تقالّوها وقالوا: أين نحن من النبي ﷺ، قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فأصلي أبداً. وقال الآخر: وأنا أصوم الدهر ولا أفطر. وقال الآخر: وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً. فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال: «**أنتم الذين قلتم كذا وكذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له ولكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني**»[2].

---

(١) رواه البخاري [٦٢٦٨]، كتاب الاستئذان، باب من أجاب بلبيك وسعديك، ومسلم [٩٤]، مختصر في الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، وأحمد [٢٠٨٤٠].

(٢) رواه البخاري [٥٠٦٣]، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، ومسلم [١٤٠١].

٤- الحوار لتطييب النفس:

حوار النبي ﷺ مع الأنصار:

في أعقاب معركة حُنين وزع النبي ﷺ الغنائم - وكانت كثيرةً- في قُريش، وفي قبائل العرب، ولم يُعط الأنصار منها شيئاً، فغضب بعضهم، حتى قال قائلهم: «لَقِيَ - والله- رسول الله قومه».

فدخل عبد الله بن سعد بن عُبادة - وكان زعيم قومه الخزرج- حيٍّ من الأنصار- فقال: «يا رسول الله، إن هذا الحيَّ من الأنصار، قد وجدوا عليك في أنفسهم؛ لما صنعت في هذا الفيء الذي أصبت، فقسمت في قومك، وأعطيت عطايا عِظاماً في قبائل العرب، ولم يكُ في هذا الحيِّ من الأنصار منها شيءٌ! »، فقال رسول الله ﷺ «فأين أنت من قومك يا سعدُ؟».

فقال: «يا رسول الله، ما أنا إلا من قومي».

قال: «فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة».

فخرج سعدٌ، فجمع الأنصار، فأتاهم رسول الله ﷺ، فحمد الله، وأثنى عليه بما هو أهله، ثُم قال: «يا معشر الأنصار، مقالةٌ بلغتني عنكم، وجِدَّةٌ وجدتموها عليَّ في أنفسكم، ألم آتِكم ضُلَّالاً فهداكم الله، وعالةً فأغناكمُ الله، وأعداءً فألف الله بين قلوبكم؟!».

قالوا: «بلى، الله ورسوله أمَنُّ وأفضلُ»[1].

ثم قال: «ألا تُجيبوني يا معشر الأنصار؟!».

قالوا: «بما نُجيبُكَ يا رسول الله؟ لله ولرسوله المَنُّ والفضلُ».

قال: «أَمَا والله، لو شئْتُم لقُلْتُمْ - ولصدَقْتُمْ ولصدَّقْتُمْ-: أتيتنا مُكذَّباً فصدَّقناك، ومخذولاً فنصرناك، وطريداً فآويناك، وعائلاً فواسيناك. أوجدتم-يا

---

(١) من المن، أي أكثر منة علينا وأعظم.

معشر الأنصار- في لُعَاعة[١]، من الدنيا، تألَّفْتُ بها قُلوب قومٍ ليسلموا، وَوَكلْتُكم إلى إسلامكم؟ ألا ترضون - يا معشر الأنصار- أن يذهبُ الناسُ بالشَّاةِ والبعير، وترجعوا برسول الله إلى رحالكم؟! فوالذي نفس محمَّد بيده، لولا الهجرة لكنتُ امرأً من الأنصار، ولو سلك النَّاسُ شِعْبًا وسلكت الأنصارُ شِعْبًا، لسلكتُ شِعبَ الأنصار، اللهم ارحم الأنصار، وأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار»، فبكى القومُ حتَّى أَخضَلُوا لِحاهُمْ[٢]، وقالوا: «رضينا برسول اللهِ قسماً وحظّاً»[٣].

(١) اللعاعة: من النباتات الخضراء تسر العين شَبَّهَ الدنيا بها.

(٢) أي: بلوها بالدموع.

(٣) رواه البخاري (٤٣٣١) و (٧٢٤٥) ومسلم (١٠٦١).

الفصل الخامس

صور من الحوار بين الصحابة ﭬ

الصحابة هم أعلم الناس بهدي النبي ﷺ، وعنه تلقوا الأحكام، وكانوا إذا اختلفوا حال حياته احتكموا إليه ﷺ، فلما قبض تحاوروا، وتناظروا، وتشاوروا، وردوا خلافهم إلى سنته ﷺ. والحوارات بينهم لا تكاد تحصى، وإليك نماذج منها:

الحوار يوم السقيفة:

تحاور أصحاب رسول الله ﷺ يوم السقيفة، وتدافعوا وتناظروا، حتى صدر الحق في أهله، فقد روت عائشة ـ رضي الله عنها ـ زوج النبي ﷺ أن رسول الله ﷺ مات وأبو بكر بالسنح- قال إسماعيل يعني بالعالية- فقام عمر يقول: والله ما مات رسول الله ﷺ. قالت: وقال عمر: والله ما كان يقع في نفسي إلا ذاك وليبعثنه الله فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم. فجاء أبو بكر فكشف عن رسول الله ﷺ فقبله. قال: بأبي أنت وأمي طبت حياً وميتاً والذي نفسي بيده لا يذيقك الله الموتتين أبداً. ثم خرج فقال: أيها الحالف على رِسْلِكَ. فلما تكلم أبو بكر جلس عمر فحمد اللهَ أبو بكر وأثنى عليه وقال: ألا من كان يعبد محمداً ﷺ فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت. وقال: (إنك ميت وإنهم ميتون) وقال: (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين). قال: فنشج الناس يبكون. قال: واجتمعت الأنصار إلى سعد بن عبادة في سقيفة بني ساعدة فقالوا: منا أمير ومنكم أمير فذهب إليهم أبو بكر وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح فذهب عمر يتكلم فأسكته أبو بكر وكان عمر يقول: والله ما أردت بذلك إلا أني قد هيأت كلاماً قد أعجبني خشيت أن لا يبلغه أبو بكر ثم تكلم أبو بكر فتكلم أبلغ الناس فقال في كلامه: نحن الأمراء وأنتم الوزراء فقال الحباب بن المنذر: لا والله لا نفعل

منا أمير ومنكم أمير. فقال أبو بكر: لا ولكنا الأمراء وأنتم الوزراء هم أوسط العرب داراً وأعربهم أحساباً، فبايعوا عمر، أو أبا عبيدة بن الجراح. فقال عمر: بل نبايعك أنت فأنت سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله ﷺ فأخذ عمر بيده فبايعه وبايعه الناس[١].

الحوار بينهم في القدر:

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج إلى الشام حتى إذا كان بسرف لقيه أمراء الأجناد أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه فأخبروه أن الوباء قد وقع بأرض الشام. قال ابن عباس: فقال عمر: ادع لي المهاجرين الأولين. فدعاهم فاستشارهم وأخبرهم أن الوباء قد وقع بالشام فاختلفوا فقال بعضهم: قد خرجت لأمر ولا نرى أن ترجع عنه. وقال بعضهم: معك بقية الناس وأصحاب رسول الله ﷺ ولا نرى أن تُقْدِمَهُمْ على هذا الوباء. فقال: ارتفعوا عني. ثم قال: ادعوا لي الأنصار. فدعوتهم، فاستشارهم فسلكوا سبيل المهاجرين واختلفوا كاختلافهم فقال: ارتفعوا عني. ثم قال: ادع لي مَنْ كان ها هنا من مشيخة قريش من مُهاجِرَةِ الفتح. فدعوتهم فلم يختلف منهم عليه رجلان فقالوا: نرى أن ترجع بالناس ولا تُقْدِمَهُمْ على هذا الوباء. فنادى عمر في الناس: إني مُصَبِّح على ظهر فأَصْبحوا عليه قال أبو عبيدة بن الجراح: أَفِراراً من قدر الله؟ فقال عمر: لو غَيْرُكَ قالها يا أبا عبيدة، نعم نفر من قَدَرِ الله إلى قَدَرِ الله أرأيت لو كان لك إبل هبطت وادياً له عَدْوَتَانِ، إحداهما خصبةٌ، والأخرى جَدْبَةٌ أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله؟ قال: فجاء عبد الرحمن بن عوف وكان متغيباً في بعض حاجته فقال: إن عندي في هذا علماً سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذا**

---

(١) رواه البخاري [٣٦٦٧]، كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي لو كنت متخذاً خليلاً.

سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه». قال: فحمد الله عمر ثم انصرف[١].

الحوار بينهم في جمع القرآن:

عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: أرسل إليَّ أبو بكر مَقْتَلَ أهل اليمامة فإذا عمر بن الخطاب عنده قال أبو بكر رضي الله عنه: إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد اِسْتَحَرَّ يوم اليمامة بقراء القرآن وإني أخشى أن يَسْتَحِرَّ القتل بالقراء بالمواطن فيذهب كثير من القرآن وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن قلت لعمر: كيف تفعل شيئاً لَمْ يفعله رسول الله ﷺ قال عمر: هذا والله خير. فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك ورأيت في ذلك الذي رأي عمر قال زيد: قال أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل لا نتهمُك وقد كنتَ تكتبُ الوحيَ لرسول الله ﷺ فتتبعْ القرآنَ فاجمعه. فوالله لو كلفوني نقلَ جبل من الجبالِ ما كان أثقلَ عليَّ مما أمرني به مِنْ جمع القرآن. قلت: كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟ قال: هو والله خيرٌ. فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدرَ أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما -[٢].

الحوار بينهم في قتال مانعي الزكاة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما توفي رسول الله ﷺ وكان أبو بكر رضي الله عنه وَكَفَرَ مَنْ كَفَرَ من العرب فقال عمر رضي الله عنه: كيف تقاتل الناس، وقد قال رسول الله ﷺ: **«أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه**

---

(١) رواه البخاري [٥٧٢٩]، في كتاب الطب، باب ما يذكر في الطاعون، ومسلم [٢٢١٩]، كتاب الطب والمرض، باب الطاعون والطِّيَرَةَ والكهانة ونحوهما.

(٢) رواه البخاري [٤٩٨٦]، [١٤٠٠]، في كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن، والترمذي [٣١٠٣]، كتاب تفسير القرآن، باب (تابع باب ١٠).

وحسابه على الله». فقال: والله لأقاتلن مَنْ فَرَّقَ بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال والله لو منعوني عناقاً كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها. قال عمر ﷺ: فوالله ما هو إلا أن قد شرح الله صدر أبي بكر ﷺ فَعَرَفْتُ أنه الحق[1].

ومن الحوارات المشهورة آخرَ عهد الصحابة، رضي الله عنهم :-

حوار عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ مع الخوارج: وقد كان لهذه المناظرة تأثير كبير في سَيْرِ الأحداث فيما بعد، حيث ظهرت حصافةُ ابنِ عباس، وفقهُهُ، وَمَلَكَةُ المناظرة عنده .

عن ابن عباس - رضي الله عنهما- قال: لما اعتزلت الحَروريَّة قلتُ لعليٍّ: يا أمير المؤمنين، أَبْرِدْ عن الصلاة؛ فَلَعلِّي آتي هؤلاء القوم فأُكلِّمهم.

قال: إنِّي أتخوَّفهُم عليك، قال: كلا إن شاء الله، فلستُ أَحسَنَ ما أقدرُ عليه من هذه اليمانية، ثم دخلتُ، فقالوا: مرحباً بك يا ابن عباسٍ، ما جاءَ بك؟.

قال: جئتُ أُحدثكم عن أصحاب رسول الله ﷺ، نَزَلَ الوحيُ وهم أعلم بتأويله.

قال بعضهم: لا تُحدِّثوه، وقال بعضهم: لَنُحَدِّثَنَّه.

قال: قلت: أخبروني ما تنقمون على ابن عم رسول الله ﷺ وخَتَنِهِ وأوَّل من آمن به، وأصحاب رسول الله ﷺ معه؟!.

قالوا: ثلاثاً. قُلتُ: ما هن؟. قالوا: أوَّلهُنَّ أنه حَكَّمَ الرجال في دين الله، وقد قال تعالى: ﴿إن الحكم إلا لله﴾ [الأنعام: ٥٧].

---

(١) رواه البخاري [١٤٠٠]، كتاب الزكاة، باب وجود الزكاة، ومسلم [٢٠]، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله.

قال: قلت: وماذا؟ . قالوا: قَاتَل ولَمْ يَسْبِ وَلَمْ يَغْنَمْ، لَئن كانوا كفاراً لقد حَلَّت له أموالُهم، ولئن كانوا مؤمنين فقد حَرُمَتْ عليه دماؤُهم!.

قال: قلت: وماذا؟. قالوا محا نفسه من أمير المؤمنين، فإن لم يكن أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين!.

قال: قلت: أرأيتم إن قرأت عليكم كتاب الله الْمحكَمَ، وحدثتكم عن سنة نبيكم مالا تُنكرون أترجعون؟ قالوا نعم.

قال: قلت: أما قولكم: إنه حكم الرجال في دين الله، فإن الله يقول: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمداً فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم ﴾ [المائدة: ٩٥]، وقال في المرأة وزوجها: ﴿ وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها ﴾ [النساء: ٣٥].

أنشدكم الله، أفحكم الرجال في حقن دمائهم وأنفسهم، وصلاح ذات بينهم أحق، أم في أرنبٍ ثمنها رُبعُ درهم؟!.

قالوا: في حقن دمائهم، وصلاح ذات بينهم، قال: أخرجتُ من هذه؟

قالوا: اللهم نعم.

قال: وما قولكم؟ قَاتَلَ ولم يسب ولم يغنم، أتسبون أُمَّكم[1]، ثم تستحلون منها ما تستحلون من غيرها؟! فقد كفرتم، وإن زعمتم أنها ليست أُمكم فقد كفرتم، وخرجتم من الإسلام؛ إن الله يقول: ﴿ النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه

---

(1) يريد عائشة رضي الله عنها.

أمهاتهم ﴾ [الأحزاب: ٦]، وأنتم مترددون بين ضلالتين، فاختاروا أيهما شئتم، أخرجتُ من هذه؟.

قالوا: اللهم نعم، قال: وأما قولكم: مَحاَ نفسه من أمير المؤمنين، فإن رسول الله ﷺ دعا قريشاً يوم الحديبية على أن تكتب بينهم كتاباً، فقال: اكتب: هذا ما قضى عليه محمد رسول الله، فقالوا: والله لو نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت وقاتلناك، ولكن اكتب: محمد بن عبد الله.

فقال: والله إني لرسول الله، وإن كذبتموني، واكتب يا عليُّ: محمد بن عبد الله. ورسولُ اللهِ كان أفْضَلَ من عَلِيٍّ، أخرجْتُ من هذه؟

قالوا: اللهم نعم، فرجع منهم أَلْفٌ، وخرج سائرهم، فقُتلوا على ضلالتهم، قتلهم المهاجرون والأنصار(١).

(1) أخرجه عبد الرزاق (١٥٧/١٠) وصحح شيخ الإسلام إسنادها كما بمنهاج السنة (٥٣٣/٨).

الفصل السادس
آداب الحـــوار

للحوار آداب يتحلى بها الداعية للتمهيد للحوار، وآداب عند البدء فيه، وآداب بين يديه.

أولاً: الآداب التي يتحلى بها الداعية قبل البدء في الحوار:

١- إخلاص النية لله تعالى:

ينبغي ألا يدخل الداعية في حوار مع غيره في أي أمر من الأمور إلا إذا كان موجهاً نيته لله عز وجل، لا أن يقصد إظهار براعته وثقافته، أو أن يتفوق على الآخرين أو أن ينتزع الإعجاب والثناء، فذلك مما يحبط عمله عند الله عز جل[١]. وحقيقة الإخلاص التبرؤ من كل ما دون الله أي أن المحاور ينبغي أن يقصد وجه الله بقوله وعمله وجهاده، وأن يبتغي مرضاته وحسن مثوبته[٢]. ومن أغراض الحوار أن يكون لحراسة الشريعة والذب عنها، ودلالة الناس على الهدى، وتثبيتهم عليه[٣].

فإذا لم تخلص النية لله تعالى لم يتحقق هذا الغرض. قال الشافعي: ما ناظرت أحداً إلا تمنيت لو أن الله أظهر الحق على لسانه. اهـ[٤]. (وقال المزني صاحب الشافعي: ومن حق المناظرة أن تراد في الله عز وجل وأن يُقْبَلَ منها ماَ تَبَيَّنَ)[٥] فالمهم صحة الفكرة وظهور الحق. فإن من تكلم بحق لقصد العلو في الأرض أو الفساد كان بمنزلة الذي يقاتل حَمِيَّةً ورياءً، وإن تكلم لله تعالى مخلصاً له الدين كان من المجاهدين في سبيل الله، ومن ورثة الأنبياء خلفاء الرسل[٦].

---

(١) أصول الحِوار (ص: ٢٩).
(٢) فقه الدعوة إلى الله (ص: ٣٧٠).
(٣) الرد على المخالف (ص: ٥٤).
(٤) سير أعلام النبلاء (١/ ٢٩).
(٥) آداب الحِوار والمناظرة (ص: ٢٥).
(٦) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٨/ ٢٣٥).

ولذلك على المحاور أن يراجع نيته قبل أن يدخل في حوار فيسأل نفسه، هل نيتي خالصة لله في هذا الحوار أو هذه المناقشة؟ وهل هناك مصلحة وفائدة ترجى من كلامي أم أنه قد يسبب آثاراً هي خلاف ما أحب؟ كأن يثير فتنة نائمة أو يفتح بابَ خلافٍ بين المسلمين، وعلينا هنا أن ننتبه إلى تلبيس إبليس علينا فهو يوهمنا أننا سنتحدث إحقاقاً للحق وتبياناً له، ثم يستدرجنا إلى مواقف؛ يتحقق فيها هوى النفس(١).

ولكي يعتصم المحاور من الرياء ويبرأ من عقباه أرشده النبي ﷺ أن يتوجه إلى الله بهذا الدعاء: **اللهم إني أعوذ بك من أن أشرك بك شيئاً أعلمه، وأستغفرك لما لا أعلمه**(٢).

وهذا الأدب قد يكون من الناحية النظرية سهلاً، ولكنه عند التطبيق يكون عزيزَ المنالِ، فكم من الناس يُظْهِرُ أنه يدعو إلى الحق وهو يدعو إلى نفسِهِ ويريد العُلُوَّ والانتصارَ لشخصه أو لشيخه أو غير ذلك(٣).

ولذلك نجد أن الأنبياء والمرسلين قد ضربوا لنا أروع الأمثلة في إخلاص دعوتهم لله وحوارهم مع قومهم. فهذا نوح عليه السلام يقول: ﴿ وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ ﴾ (هود: ٢٩). ويقول أيضاً: ﴿ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (الشعراء: ١٠٦-١٠٩). وهود يقول ﴿ يَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِي فَطَرَنِيٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾ (هود: ٥١). وقال تعالى: ﴿ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾

---

(١) أصول الحِوار (ص: ٢٩).

(٢) حَسَنٌ. رواه أحمد [١٩٦٠٦]، والطبراني في الأوسط [٣٤٧٩]، من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، والحديث رواه أيضاً ابن أبي شيبة (١٠/٣٣٧) في المصنف والبخاري في التاريخ الكبير (٩/٥٨)، والحديث ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد وقال: رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط ورجال أحمد رجال الصحيح غير أبي علي الكاهلي ووثقه ابن حبان- المجمع [١٠/٢٢٣].

(٣) أدب الخلاف (ص: ٥٠).

إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (الشعراء: ١٢٤- ١٢٧).

إذاً على المحاور أن يقصد وجه الله أولاً ثم يبين قصده وهدفه من حواره وخاصة إذا كان الخصم معانداً مستكبراً فهذا شعيب عليه السلام يقول لقومه: ﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ (هود: ٨٨).

٢- العلم:

العلم من أهم أسباب نجاح الحوار وبدونه يكون الضرر كبيراً؛ إذ يصبح الحوار تضييعاً للوقت والجهد. والعلم المقصود هو العلم المتعلق بموضوع الحوار ومادته.

والعلم بما ينقض الرأي المخالف للصواب، ومعرفة الردود والأجوبة القوية، التي يمكن أن تواجه بها الشبهات والاعتراضات التي يثيرها الطرف الآخر.

ولما كان العلم هو الوسيلة الأساسية للوصول إلى الحق وللتفكير السليم أنكر الله على أهل الكتاب مُحَاجَّتَهُمْ دونَ عِلْمٍ فقال تعالى: ﴿ هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (آل عمران: ٦٦).

يقول الإمام النسفي في تفسير هذه الآية الكريمة: لا يصح لكم أن تجادلوا مثل هذا الجدال المحال، يعني أنتم هؤلاء الأشخاص الحمقى وبيان حماقتكم وقلة عقولكم أنكم جادلتم فيما لكم به علم مما نطق به التوراة والإنجيل، فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم ولا ذِكرَ له في كتابكم من دين إبراهيم والله يعلم علم ما حاججتم فيه، وأنتم جاهلون به[١].

وقد نهي الله تعالى عَنْ اتباع ما لا علم لنا به أوأن نتدخل فيما لا نحسنه فقال: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾ (الإسراء: ٣٦) أي: لا تتبع ما لا علم لك به من قول أو فعل كمن يتبع مسلكاً لا يدري أنه يوصله إلى مقصده[٢].

---

(١) تفسير النسفي (١/ ٧٠١).

(٢) تفسير الألوسي (٥/ ١٥٧).

فعلى المحاور أن لا يخوض في موضوع لا يعرفه جيداً ولا يدافع عن فكرة لم يقتنع بها تماماً فإنه بذلك يسيء إلى الفكرة والقضية التي يحاور من أجلها.

وللمحاور إظهارُ علمه والتصريح بأنه أعلم، توثيقاً لقوله، إذا كان في ذلك مصلحةٌ ظاهرةٌ، شريطةَ أن لا يُؤدِّيَ ذلك إلى الكبر والغرور، فإن هذا يتنافى مع الإخلاص، ولا يستقيم مع العلم، ومن ذلك قول نوح عليه السلام: ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (الأعراف: ٦٢). يقول الإمام الألوسي: الفرق بين تبليغ الرسالة وتقرير النصيحة أن تبليغ الرسالة معناه: أن يعرف أنواع التكاليف والأحكام، والنصيحة: الترغيب في الطاعة والتحذير من المعاصي والإرشاد إلى ما فيه مصالح العباد ومعنى علمه، أي أعلم من قدرته وبطشه الشديد على أعدائه ما لا تعلمونه، قيل: كانوا لم يسمعوا بقومٍ حَلَّ بهم العذابُ قبلهم فكانوا غافلين. ما يعلمون ما عَلمَه نوحٌ بالوحي[1].

وقول إبراهيم عليه السلام: ﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴾ (مريم: ٤٣).

وانظر إلى الخليل إبراهيم عليه السلام لم يصف أباه بالجهل ولا نفسه بالعلم الكامل فإن ذلك ينفر الناس ويمنع الجليس من الائتناس بل قال: إني أعطيت شيئاً من العلم قليلاً ولم تُعْطَهُ ولا ضيرَ عليك في شيء إن اتبعت ابنَكَ حتى يهديك إلى الصراط المستقيم، يا أبت هَبْ أناً سائران في الطريق وأنا على علم به أفلا يكون من الخير أن تتبعني حتى تصل إلى بر السلامة، وأنت أبي على كل حال وأنا ابنك البار وهذا جذب لأبيه ليصل إلى الحق بطريق سديدةٍ حقاً يشككه في اعتقاده ثم يلمح له بأن الخير في اتباعه، وترك ما هو عليه.

---

(١) تفسير الألوسي (١٨٣/٣).

٣- الصـدق:

عند الحوار لابد من احترام الحقيقة والقيام بمسئولية الكلمة، والحوار الهادف المبارك هو الحوار الصادق الذي يطمئن كل طرف فيه إلى الآخر، أما اللجوء إلى الغموض والمراوغة فإنه قلة في الإخلاص وضعف في النفس، ويؤدي إلى فقدان الثقة بين الطرفين ومن ثم إلى فشل الحوار. ومن مقتضيات الحوار عدم كتم شيء من الحق أو إخفاء بعض العلم الذي له علاقة بموضوع الحوار خاصة إذا كان ظاهر تلك الأدلة المسكوت عنها لصالح الطرف الآخر فإن ذلك قَدْحٌ في مصداقية المحاور. والعقيدة الإسلامية عقيدة الصدق والوضوح والاستقامة، ولذلك حرص الأنبياء عليهم الصلاةُ والسلامُ على إبراز هذا الجانب في محاوراتهم لأقوامهم فهذا هود يبين أمانته وصدقه في التبليغ: ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴾ (الأعراف: ٦٨). ولا تكون أمانةً أو نصحاً دون صدق وقد وصف الله تعالى نبيه إدريس بالصدق فقال سبحانه: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴾ (مريم: ٥٦) وفي ذلك توجيه للدعاة وطالبي الحق حتى يتحلوا بالصدق فإنه يؤدي إلى الثقة في المحاورة وهدوء نفس المتحاورين.

٤-التزام المحاور بما يدعو إليه:

الحوار إما أن يكون حول قضية علمية أو عملية، فإن كان حول قضية عملية ينبغي أن يكون قدوة حسنة في تطبيق ما يحاور لأجله ويدافع عنه، والعمل بما يعلم يحول الأفكار النظرية إلى حقائق علمية ملموسة يتأثر بها مَنْ يراها قبل أن يسمعَ مَنْ يتكلمُ عنها، فمن فَرَّطَ في العمل وَقَصَّرَ في التنفيذ دل ذلك منه على اضطراب، وعدم يقين، وكان أضعفَ في حجته، وأعجزَ عن إقناع غيره. والموعظة التي لا يلتزم بها صاحبها تؤدي إلى شر عظيم وتؤدي إلى فتنةِ السامعِ وعدمِ اقتناعِهِ بصحةِ ما يقوله المحاور[1]. قال أبو الأسود الدؤلي:

لا تنه عـن خلـق وتأتي مثـلهُ ... عـار عليك إذا فعلت عظيـمُ

---

(١) فقه الدعوة إنكار المنكر (ص: ٥٠).

ولذلك نرى شعيباً خطيب الأنبياء عندما يتحدث مع قومه يبين لهم التزامه بالسلوك السوي، وأنه أول من التزم بما يأمرهم به فيقول: ﴿ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ﴾ (هود: ٨٨). قال شعيب لقومه: وما أريد أن أخالفكم مائلاً إلى ما نهيتكم عنه بل أنا متمسك به فيكم لأني أرى فيه الخير والرشاد في الدنيا والآخرة وأنا ما أريد إلا الإصلاح والخير العام لي ولكم ما استطعت إلى ذلك سبيلاً ليس لى فيما أفعل غرض خاص[١].

والمقصود أن المحاور الناجح الذي يعطي المثل الصالح والقدوة الحسنة يمكنه أن يقنع الآخرين بآرائه، ويطلب منهم تصحيح أخطائهم لأنه يكسب احترامهم ومحبتهم عن جدارة واستحقاق بموافقة قوله لعمله والتزامه بما يدعو إليه ويحاور لأجله.

٥- التكافؤ بين المتحاورين:

ويقصد بالتكافؤ التقارب بين المتحاورين من حيث المنزلة والمكانة الاجتماعية والعلمية بقدر الإمكان ولا نقصد من ذلك امتناع الحوار مع من نختلف معه مكانة ولكن مراعاة تقارب السن والمنزلة له أثر في مجرى الحوار إيجاباً أو سلباً. وقالوا: لا تصح المناظرة ولا يظهر الحق بين متناظرين. حتى يكونا متقاربين أو مستويين في مرتبة واحدة من الدين والعقل والإنصاف وإلا فهو مِراءٌ أو مكابرةٌ[٢].

إن تقاربَ العلم والاتجاه والتفكير يسهل عمليةَ الحوار، ويؤدي إلى نجاحها والاختلاف يؤدي إلى فشلها حتماً. فلا يتحاور فقيه مع شاعر في مسألة فقهية. ولا يتحاور نحوي مع عالم في الفيزياء في مسألة علمية. ومن الخطأ أيضاً أن يتكلم أحدُ الطرفين بلغة الواقع عن مشكلة اجتماعية ينشد لها الحل فيجيبه الآخر بلغة مثالية

(١) التفسير الواضح (١٢/ ٤٠).
(٢) آداب البحث والمناظرة (ص: ٢٥).

مجردة عن أرض الواقع[١]. ولذلك أرسل الله تعالى الرسل بلسان أقوامهم وكانت معجزاتهم مما برع فيه أولئك الأقوام وأرسل الله محمداً ﷺ بلسان قومه ومن أشرافهم. كذلك موسى عليه السلام بعثه الله إلى فرعون فطلب المعونة والمؤازرة بأخيه: ﴿ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا ﴾ (القصص: ٣٤). يعني إن أخي هارون هو أفصح مني لساناً وأقوى بياناً وأدرى مني بلهجة المصريين لأنه لم يترك بلادهم فأرسله معي معيناً واجعله وزيراً ألتجئ إليه ﴿ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴾. يعني: ويحمل معي عبء هذه الرسالة فإني أخاف أن يُكَذّبني. وأخاف أن يبادرنا بالعقوبة والإيقاع بنا قبل أن نُبلغه رسالاتك، ونقيم عليه الحجة، وأن يتمرد على الحق ويطغى بملكه، وسلطانه وجنده وأعوانه[٢].

﴿ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ (طه: ٤٦) فقال الله تعالى لهما: لا تخافا أن يفرط عليكما فأنتما بحفظي ورعايتي، أسمع قولكما، وأرى جميع أحوالكما، ولا تخافا منه[٣].

٦- المعرفة المسبقة بالطرف الآخر:

نظراً لتفاوت عقول الناس وأفهامهم ومستويات علمهم، فإن المحاور الفطن يعرف من يحاور، وبالتالي يعرف الطريقة التي ينبغي له أن يناقشه بها ويحاوره[٤].

ومن الضروري أن يعرف كل محاور الطرف المقابل له معرفة دقيقة فيعلم شيئاً عن ظروفه وبيئته وقدره ومنزلته وعلمه وأحواله فيخاطبه بما يحقق الغرض، ويصل به إلى المطلوب من أيسر طريق[٥]. لذا يجب على المحاور أن يعرف مستوى الطرف

---

(١) كيف تحاور (ص: ٥٦).

(٢) تفسير السعدي (٣/٢٦٣).

(٣) تفسير السعدي (٣/٢٦٣).

(٤) أصول الحِوار (ص: ٣٥).

(٥) مرشد الدعاة إلى الله (ص: ١٧).

الذي يحاوره فإن الطالب لا يخاطب كما يخاطب العالم[١]، والكبير لا يخاطب كما يخاطب الصغير أو النظير والذكي لا يخاطب كالغبي.

إن وجود خلفية مسبقة عن المحاور يضفي على نفسية محاوره شيئاً من الألفة والاطمئنان والثقة والمعرفة التي تساعد على سير الحوار بطريقة هادفة؛ انظر إلى الملائكة عندما جاءوا إلى لوط عليه السلام لم يكن يعرفهم قالوا: ﴿ قَالُواْ يَـٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيْكَ ﴾ (هود: ٨١). قال القرطبي: لما رأت الملائكة حزنه واضطرابه ومدافعته عرفوه بأنفسهم فلما علم أنهم رسل مكن قومه من الدخول[٢].

كذلك في قصة مريم عندما جاءها جبريل لينفخ فيها طمأنها وعرفها بنفسه، قال تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَـٰمًا زَكِيًّا ﴾ (مريم ١٩). كذلك في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَـٰمُوسَىٰٓ ۝ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ ﴾ (طه: ١١- ١٢). أي لما أتى موسى عليه السلام النار التي آنسها من بعيد، وهي في الحقيقة نور ناداه الله ﴿ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ ﴾ فأخبره أنه ربه، وأخبره أن يستعد ويتهيأ لمناجاته ويهتم لذلك[٣].

٧- اختيار الظرف المناسب:

يحسن بالمحاور أن يلقي نظرة فاحصة فيما حوله قبل أي حوار ثم يحدد تلاؤم الحال للحوار فإن وجده ملائماً استعان بالله وبدأ وإلا سكت وتريث[٤] ونقصد بالظرف المناسب:

١- ملاءمة المكان.

٢- ملاءمة الزمان.

---

(١) أصول الحِوار (ص: ٣٥).

(٢) تفسير القرطبي (٩/ ٧٩).

(٣) تفسير السعدي (٣/ ٢٥٢).

(٤) كيف تحاور (ص: ١٨).

٣- ملاءمة الجو المناخي.

٤- ملاءمة الحالة النفسية للمتحاورين.

٥- ملاءمة الموضوع.

أولاً: ملائمة المكان:

قد يكون نادياً عاماً أو بيت صديق أو مكتب عمل وقد يكون مسجداً أو سيارة[١] فعلينا مراعاة المكان من حيث ضيقه وسعته؛ والأماكن العامة لا تصلح لحوار في قضية خاصة أو حوار طويل حيث تكثر فيها الشواغل والمقاطعات فلا تصلح أماكن الضجيج مثل الأسواق والمدارس ونحوها فلابد من الابتعاد عن الأجواء الجماعية والغوغائية؛ لأن الحق قد يضيع في مثل هذه الأجواء، وبقدر ما يقل المتحاورون بقدر ما ينقادون إلى الحق عند ظهوره.

ثانياً: ملائمة الزمان:

والمقصود بمراعاة الوقت تخير الوقت الملائم للحوار ومناسبة طول وقته لأحوال الناس[٢]. فيراعى اتساعه للموضوع الذي يُطْرَحُ للحوار فلا يُحدَّدُ وقت في نهاية العمل، ولا يكون في وقت متأخر من الليل حيث الرغبة في النوم أو قبل طعام أو استعداد لسفر بل يختار وقتاً يتسع للحوار؛ حتى لا يؤدي إلى بتره أو عدم الفائدة منه.

بعض الحالات قد لا يملك المحاور أن يتحكم في تحديد موعد معين كأن يفاجأ في جمع من الناس من يُلَبِّسُ عليهم في أمر دينهم مثلا أو يثير شبها ويشكك في أصول وقواعد ومُسَلّمات يبنى عليها دين المسلم عندها قد لا يسع المحاور إلا أن يتحين أقرب فرصة ويفرض نفسه لتصحيح الأخطاء التي ربما علقت بأذهان المستمعين، ورد الشبهات، ومن ثم إسكات المتكلم[٣].

---

(١) أصول الحِوار: ص٣٢.

(٢) مقومات الداعية الناجح (ص: ٩٩).

(٣) الحِوار آدابه وضوابطه (ص: ٤٨١).

ثالثاً: مراعاة الجو المناخي:

إن وجود ما يؤذي جَوَّ الحوار يؤثر على طبيعة الحوار ونتيجته فيراعى الجو من حيث الحرارة والبرودة قبل البدء في النقاش فالحر الشديد أو البرد الشديد يؤثر على جسم الإنسان وتفكيره سلباً وإيجاباً.

رابعاً: مراعاة الحالة النفسية للمتحاورين:

المحاور اللبق هو الذي يعطى الظروف النفسية وزنها ولا يهملها فالإرهاق والجوع والتعب والحزن والألم كل هذه الحالات ونحوها لا يصلح أبداً أن يتم حوار مع من يعإني من شيءمنها. وأيضاً يراعي حالة الحضور وهل هم على مستوى المناقشة أم لا؟ وهل فيهم من سيتدخل بشكل يفسدها، ويضيع إمكانية الانتفاع منها.

خامساً: ملاءمة الموضوع:

على المحاور أن يتذكر أنه مطالب بحسن انتقاء الموضوعات التي يطرحها، وأن يكون الموضوع يندرج تحت اهتمام السامعين. فما يصلح أن يُقال أمام الخاصة لا يصلح أن يطرح أمام العامة وما يتقبله الناس في بلد قد يرفضونه في بلد آخر[١].

ثانياً: آداب يتحلى بها الداعية عند بدء الحوار:

١- لا يبدأ الداعية بالحديث بل يجعل الطرف الآخر هو الذي يبدأ حتى يدرك طبيعته ويستشف أسلوبه ويعرف هل هو ممن يحاورون بالعقل أم بالعاطفة ويرى درجة وعيه، وفهمه حتى يسبر غوره فيحدد من أين يأتيه وكيف يحاوره[٢].

٢- التلطف في بداية الحديث للدخول إلى قلب الطرف الآخر عن طريق:

أ- طرح أسئلة محايدة بطريقة توحي أنه يشاركه في بعض مَا يقْتَنِعُ وبذلك يستطيع أن يسبر غوره دون أن يستفزه[٣]. كما فعل المؤمن الذي جاء يدافع عن موسى، ذلك

---

(١) الحِوار آدابه وضوابطه (ص: ١١٧)، وأصول الحِوار (ص: ٣٢).

(٢) كيف تحاور (ص: ٢٥).

(٣) أصول الحِوار (ص: ٣٥).

أنه لما رأى فرعون قد عزم على قتل موسى أراد الانتصار له بطريقة يخفي عليهم بها أنه متعصب له، وأنه من أتباعه، فجاءهم بطريق النصح والملاطفة فقال: «أتقتلون رجلاً»، ولم يذكر اسمه بل قال رجلاً ليوهم أنه لا يعرفه.

ثم قال: «أن يقول ربي الله» ولم يقل رجلاً مؤمناً بالله أو هو نبي الله، إذ لو قال ذلك لعلموا أنه متعصب له ولم يقبلوا قوله، ثم أَتبعه بقوله: «وإن يك كاذباً» فقدم الكذب على الصدق موافقة لرأيهم فيه ثم تلاه بقوله: «وإن يك صادقاً» ولم يقل هو صادق، وكذلك قال: «يصبكم بعض الذي يعدكم» ولم يقل كل ما يعدكم ولو قال ذلك لعلموا أنه متعصب له، وأنه يزعم نبوته وأنه يصدقه. بكلام يفهم منه أنه ليس بمصدق له وهو قوله: «إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب» وفيه تعريض بفرعون، إذ هو في غاية الإسراف والكذب على الله، إذْ ادَّعَى الألوهية والربوبية[١].

ب- بطرح أسئلة في أمور عامة ليست لها علاقة مباشرة بموضوع الحوار؛ لتهيئة نفس المحاور وإعطائه فرصة للتأقلم مع جو الحوار[٢].

٣- عدم افتراض صفة مسبقة في المحاور فلا يفترض مسبقاً في محاوره الذكاء فيكلمه بحيث لا يفهم، أو الغباء فيشرح ويبين ما لا يحتاج إلى شرح وبيان، وليعلم أن الله تعالى لم يختصه بالعقل والعلم والفهم دون غيره[٣].

٤- يعمل على عدم استفزاز المحاور. وأن يفتح معه مجالاً للحديث في أمور تمهد للحوار، مثل سؤال الله تعالى لموسى عليه السلام: ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴾ (طه: ١٧- ١٨) ومع علمه تعالى، ولكن لزيادة الاهتمام أتى الكلام بطريقة الاستفهام فقال: ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴾، وذكر فيها هاتين

(١) الدعوة قواعد وأصول (ص: ١٣١).
(٢) الحوار آدابه وضوابطه (ص: ١٢٣).
(٣) أصول الحوار (ص: ٣٥).

المنفعتين: ﴿ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي ﴾ ثم قال: ﴿ وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴾.. أي: مقاصد غير هذين الآمرين. وفي هذا السؤال غاية الإيناس للمسئول؛ حتى يكون هناك مجال لفتح الحوار وتهيئة النفس لقبوله.

ثالثاً: الآداب التي يتحلى بها الداعية أثناء الحوار:

الأدب الأول: حسن الاستماع:

إن حُسْنَ الاستماع للآخرين يشعرهم بأهمية ما يقولونه والجدية في التحاور معهم والثقة في الوقت ذاته فيما عندنا، هذا هو فن الاستماع للآخر وعدم الحرص على الكلام بدلاً منه لأن هذا الطمع يزهدنا في حديث الآخرين.

فالإصغاء: هو فن القدرة على الانتباه والتمييز بين الحقائق والميول الشخصية كما أنه القدرة على التركيز فيما يقوله الآخرون وما يحاولون التعبيرَ عنه، وهذا يتطلبُ سماعُ كلِّ ما يقال وليس فقط ما يريدُ الشخصُ سماعَهُ، ولذلك يشتمل فن الإصغاء على استجاباتٍ بناءةٍ تساعد الشخص الآخر على التعبير عن أفكاره وأحاسيسه، والواقع أن كثيراً من الناس يخفقون في ترك انطباع جيد في نفوس الآخرين، ويعود السبب في ذلك إلى أنهم لم يتعلموا فن الإصغاء، إنهم لا يصغون باهتمام إلى حديث الآخرين ويحصرون اهتمامهم فقط فيما سيقولونه، ولا يلقون بالاً لما يصدر عن الآخرين من حديث وأفكار[1].

والإصغاء إلى الطرف الآخر، هو نوع من التواضع بإعطاء الأهمية لكلام الآخرين، وهو يطرد العجب بالنفس وهو أدعى إلى الإخلاص والتجرد وفيه مراعاة

---

(١) الحِوار في القرآن الكريم معالمه وأهدافه، رسالة دكتوراه لم تنشر بعد.

للوقت ولاستيعاب كلام الطرف الآخر إذ المستمع لا يستطيع أن يركز في سماعه إلا فترة قصيرة وبعدها يكل الذهن، ويقل التركيز[1].

وقد ذكر العلماء في آداب المتناظرين ألا يتعرض أحدهما لكلام الآخر حتى يفهم مراده من كلامه تماماً، وأن ينتظر كلٌّ واحد منهما صاحبَهُ حتى يفرغ من كلامه ولا يقطع عليه كلامه قبل أن يتمه[2].

وقد استمع الله تعالى لأسوأ خلقه إبليس وترك له فرصة إكمال حديثه رغم بطلانه، حيث قال تعالى: ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (الأعراف: ١٢- ١٨).

وهكذا يتبين لنا: أن الله تعالى بعظمته وجلاله قد جعل إبليس من المنظرين وأمهله إلى يوم يبعثون واستجاب لطلبه رغم خبثه وسوئه وتلك حكمة الله، كذلك أخبرنا عن استماع الأنبياء عليهم السلام إلى أقوامهم وإنصاتهم لحججهم الواهية فهذه ردود قوم شعيب عليه السلام: ﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ﴾ (الاعراف: ٨٨).

---

(١) الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة (ص: ٢٣٦).

(٢) آداب الحديث والمناظرة (٢/ ٧٦)، وأصول المعرفة والاستدلال "الميداني" (ص: ٣٨٣).

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴾ (الأعراف: ٩٠) وقال سبحانه وتعالى: ﴿ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴾ (هود: ٨٧). وفي هذه الآيات تبدو لنا أخلاق شعيب عليه السلام وحسن إنصاته رغم أنه يلقب بخطيب الأنبياء وتحمله لردود قومه ومهاجمتهم وتهديداتهم إنه غاية ضبط النفس.

يقول صاحب الظلال: (ويتلطفُ شعيبٌ تَلَطُّفَ صاحب الدعوة الواثق من الحق الذي معه ويُعْرِضُ عن تلك السخرية لا يباليها وهو يشعر بقصورهم وجهلهم يتلطف في إشعارهم أنه على بينة من ربه كما يجده في ضميره وقلبه، وأنه على ثقة مما يقول، لأنه أوتي من العلم ما لم يؤتوا)[١].

وقال الرازي: (إن القوم اعترفوا بأنه حليم رشيد، وذلك يدل على كمال العقل وكمالُ العقل يَحْمِلُ على اختيار الطريق الأصوب والأصلح)[٢].

كما بين لنا تعالى في القرآن الكريم سوء أدب بعض الأقوام وعدم إنصاتهم وإعراضهم عن الاستماع فهؤلاء قوم نوح عليه السلام قال تعالى واصفاً حال نوح معهم: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ۝ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ۝ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ﴾ (نوح ٥ - ٧).

وليس من الأدب عدم الاهتمام بكلام المحاور، أو عدم الاكتراث برأيه أو تعمد الانشغال عنه أثناء كلامه بل ينبغي أن يتكلف الصبر على استماع مُحَاوِرِهِ ويتعمد إظهار الاهتمام بكلامه فهذا أدعى للتفاهم بين الطرفين وأقرب لنجاح الحوار حتى

(١) في ظلال القرآن (ص: ١٩٢٠).
(٢) تفسير الرازي (١٨/ ٤٦).

وإن كان الكلام معروفاً لدى السامع أو مكرراً فهذا عطاء بن أبي رباح علاّمة التابعين -رحمه الله- يقول: إن الرجل ليحدثني بالحديث فأنصت له كأني لم أسمعه وقد سمعته قبل أن يولد[1].

ويكفينا بياناً لأهمية الإنصات والاستماع قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (الأعراف: ٢٠٤). وقال تعالى: ﴿ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴾ (طه: ١٣).

قال القرطبي في معناها: إنه بذلك ينال الفهم عن الله تعالى، رُوِي عن وهب بن منبه أنه قال: من أدب الاستماع سكون الجوارح وغض البصر والإصغاء بالسمع وحضور العقل والعزم على العمل وذلك هو الاستماع كما يحب الله تعالى وهو أن يكف العبد جوارحه ولا يشغلها[2].

أنواع الإصغاء:

بعد أن علمنا أن الإصغاء هو فن القدرة على الانتباه من أجل التمييز بين الحقائق والميول الشخصية يمكننا تقسيمه إلى ثلاثة أنواع:

أ- الإصغاء إلى المعنى الكامل: حيث المعنى الذي يحاول الإنسان إيصاله يحتوي على عنصرين هما: المحتوى، والشعور، وهما معاً يوصلا المعنى المراد فهمه.

ب- الاستجابة للشعور: وهي قاعدة مهمة؛ حيث يكون المحتوى أقل أهمية لكنْ فيه كثير من الشعور الضمني للمحتوى وفي هذه الحالة يأتي الإصغاء بالتركيز على الشعور أكثر من المحتوى.

جـ- ملاحظة جميع التلميحات: فالواقع أن كلمات المتحدث لا توصل كل ما يريد المتحدث إيصاله لنا لذلك ينبغي عند الإصغاء الانتباه إلى جميع وسائل التوصيل الأخرى ومنها تعبيرات الوجه وحركات العينين واليدين والتردد في قول شيء ما.

---

(١) سير أعلام النبلاء (٥/ ٨٦).

(٢) تفسير القرطبي (١١/ ١٧٦).

الأسباب التي تؤدي إلى عدم الإنصات:

١ - أن يكون لديك شيء تريد أن تقوله وتعتقد أنه أفضل مما يقوله المتحدث.

٢ - أن تظن أنك تعرف الإجابة مسبقاً لما تعتقد أنه في صلب موضوع الحديث.

٣- إذا لم يعطك المتحدث أي سبب أو دافع للإنصات كأن يتكلم بنبرة واحدة دون أن يغيرها ودون أن تصدر عنه أي حركة أو انفعال يدعو للإنصات.

٤ - أن تكون سرعة حديث المتكلم أسرع بكثير من سرعة استيعاب المستمع.

٥ - أن تعتقد أن المتكلم ليس لديه شيء مهم يقوله أو يستحق الاستماع.

٦ - أن يكون لديك اعتراضات مسبقة بسبب معرفتك بالموضوع.

٧- أن يكون لديك آراء واتجاهات أخرى.

٨- أن تكون في حالة تفكير فيما تريد أن تقوله.

٩- أن تكون لديك اِقتناع أن التحدث عمل إيجابي والإنصات عمل سلبي[١].

الأسباب التي تؤدي بالناس إلى الإنصات:

١- حب المتحدث أو الإعجاب به فإن الناجحين في ميدان العلاقات الإنسانية المتمتعين بحب الناس ومعاونتهم هم أنفسهم يحبون الناس ويتوددون إليهم ويتقربون منهم[٢].

٢ - أن تعتقد أن المتحدث لديه ما يستحق الاستماع.

٣- ان يكون هناك احتمال الثواب أو العقاب في الإنصات أو عدمه.

٤- حينما تعتقد أن هناك احتمالاً بأن يطلب منك التعليق على النقطة التي تم الحديث عنها.

---

(١) الحِوار في القرآن الكريم معالمه وأهدافه.

(٢) كيف تنجح في معاملة الآخرين (ص: ١٩١).

٥- أن يكون لديك احتياج حقيقي ودافع للحصول على المعلومات.

٦- أن تعتقد أنك إذا أنصت جيداً للمتكلم فإنك تستطيع مناقشته فيما بعد.

الأدب الثاني: التدرج والبدء بالأهم:

إن ترتيب موضوعات الحوار ومعرفة الأهم فالأهم وتحديده بوضوح يسهل كثيراً من مهمة المحاور كما يتضح ذلك في بدء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في دعوة قومهم بأهم قضية وأعظم غاية، وهي الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له[1] فكان كل نبي يدعو قومه بقوله: ﴿ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾ (الأعراف: ٥٩ ، ٦٥،٧٣ ، ٨٥). قالها نوح وهود وصالح وشعيب عليهم السلام. كذلك يوسف عليه السلام عندما سأله صاحبا السجن كان جوابه بالأهم من ذلك فقال: ﴿ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ۝٣٩ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (يوسف: ٣٩- ٤٠). فيوسف عليه السلام بدأ معهما بالقضية الأهم وهي الأمر بتوحيد الله وعبادته يتدرج معهم فيها خطوة خطوة، ويعرضها بموضوعية فبدأ بسؤال مجرد يهز به فطرتهم ويوقظها ﴿ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾ وفي هذا السؤال جوابه فلا شك أن الواحد القهار خير وهو الذي له العبادة وحده.

---

(١) مقومات الداعية الناجح (ص: ٩٥).

ثم يخطو يوسف عليه السلام خطوة أخرى في مواجهة عقائد الجاهلية وأوهامها الواهية فيقول: ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ﴾. فتلك الآلهة والأرباب لا دليل على عبادتها ولا حجة لها ولا برهان فلم يجعل الله لها سلطاناً، ولم ينزل بها من سلطان ثم يوجه يوسف عليه السلام حجته الحاسمة فيقول: لمن ينبغي أن يكون السلطان والطاعة ولمن ينبغي أن تكون العبادة فيقول: ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ فقرر أخيراً أن الدين الصحيح القيم هو الذي لا يعبد فيه إلا الله وحده لا شريك له، وبذلك يصل إلى مراده من تقرير توحيد الله سبحانه[1].

قال الشيخ السعدي -رحمه الله- في ذكر الفوائد من قصة يوسف عليه السلام: (ومنها أن يبدأ بالأهم فالأهم وأنه إذا سئل المفتي وكان السائل في حاجة أشد لغير ما سأل عنه أنه ينبغي له أن يعلمه ما يحتاج إليه قبل أن يجيب سؤاله فإن هذا علامة على نصح المعلم وفطنته وحسن إرشاده وتعليمه فإن يوسف لما سأله الفتيان عن الرؤيا قدم لهما قبل تعبيرها دعوتهما إلى الله وحده لا شريك له)[2].

وبالجملة فإن عدم مراعاة الترتيب والتدرج في العلم والحوار والنقاش يبعثر الجهد ويفقد التركيز.

الأدب الثالث: إقرار المحاور على حقه في الخلاف:

إن من سنن الله تعالى في خلقه أن جعلهم مختلفين ولعل سبب ذلك تباين الطبائع فالناس مختلفون في تنشئتهم وثقافاتهم، في ميولهم ورغباتهم. قال تعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ

(١) الحوار آدابه وضوابطه (ص: ٣٠٣).
(٢) تفسير السعدي (٢/ ٤٤٨).

رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ (هود: ١١٨- ١١٩). فوقوع الخلاف أمر مُسَلَّمٌ به بين كل البشر فهم مختلفون في ألسنتهم وألوانهم وطبائعهم وفي مدركاتهم وفي عقولهم وأفهامهم وأشكالهم[١] ولعل ذلك من أسباب تتابع الرسل وتوالي الكتب، قال تعالى: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ ﴾ (البقرة: ٢١٣).

إن الاختلاف الذي وقع في سلف هذه الأمة ولا يزال واقعاً هو جزء من هذه الظاهرة الطبيعية فإن لم يتجاوز الاختلاف حدوده كان ظاهرة إيجابية كثيرة الفوائد.

ورغم أن الخلاف طبيعة بشرية واحدة فإن الله تعالى جعله منهجاً للاتفاق ونبذ الخلاف وأعطانا لغة الحوار كوسيلة من وسائل الاتفاق.

وحيث إن الخلاف هو منازعةُ بين متعارضين لتحقيقِ حَقٍّ أو لإبطالِ باطلٍ[٢] فإن الغالب أن ينتج عن ذلك الحوار أو النقاش الذي بواسطته يحسم الخلاف فكل قضية تطرح للحوار والمناظرة؛ لذلك يراعى عند حدوث الخلاف أن يتم تحديد الأصل الذي يرجع إليه المتنازعون قال تعالى: ﴿ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ (النساء: ٥٩).

(١) أدب الخلاف (ص: ١٢).
(٢) أدب الخلاف (ص: ١٢).

ويراعى أيضاً عدم الانسياق وراء الأهواء والالتزام بالضوابط المنهجية والاستناد إلى المنطق السليم واعتبار المخالف طرفاً في حوار متكافئ لا يجوز رفض رأيه سلفاً أو التعصب ضده أصلاً. وإنما كما قال تعالى: ﴿ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢٤ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝٢٥ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ (سبأ: ٢٤- ٢٦).

فإذا كان هذا خطاب المؤمنين مع غيرهم. أفلا يكون هذا درساً بليغاً لهم فيما يجب عليهم في حوارهم عند الإختلاف فيما بينهم؟

ولنحذر عند اختلاف الآراء من اختلاف القلوب؛ لأن ذلك خطر يتهدد الإيمان لما رواه أبو هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم، أفشوا السلام بينكم**[١].

وأخيراً ينبغي ألا يتجاوز المتحاورون حدودهم؛ فيعمدون إلى الإثارة والاستفزاز والدس والوقيعة والسخرية[٢].

ومما ساعد على مواجهة الخلاف تحليل الأصول والفروع وتقرير الأولويات فلا يؤدي النزاع على الجزئيات إلى إهدار الاتفاق على الكليات ولا يتورط المختلفون حول نافلة في التجني على فريضة فلابد أن نتقبل الحوار بصدر رحب ونتسامح مع المخالفين، ونجعل شعارنا ما قرره الإمام ابن القيم بقوله: إنما أنا بشر أخطئ وأصيب

---

(١) رواه مسلم [٥٤]، في الإيمان، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، وأبو داود [٥١٩٣]، كتاب الأدب، باب في إفشاء السلام، والترمذي [٢٦٨٨]، كتاب الاستئذان باب ما جاء في إفشاء السلام.

(٢) أصول الحوار (ص: ٢٤).

فانظروا في رأيى فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوا به وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه[١].

وقال الإمام الشافعي: رأي الصحابة لنا خير من رأينا لأنفسنا ونحن نقول ونصدق[٢].

وما أجمل قول الإمام أبي حنيفة: رأينا صواب يحتمل الخطأ ورأي غيرنا خطأ يحتمل الصواب[٣].

وقد روى أبو يوسف والحسن بن زياد كلاهما عن أبي حنيفة أنه قال: علمنا هذا رأي وهو أحسن ما قدرنا عليه فمن جاءنا بأحسن منه فهو أولى بالصواب[٤].

ولابد أن يضع المحاور في ذهنه أنه ربما كان لدى غيره شيء يتعلمه منه فيحرص على أن يظل المجال مفتوحاً لتقليب وجوه الرأي وإثراء الفكر والأخذ بالأمثل والأصوب دون أن تختلف القلوب وتتفرق الصفوف[٥].

وقد ذكر الشاطبي في الاعتصام[٦] رواية عن عمر بن عبد العزيز -رحمه الله- هي قوله: ما أحب أن أصحاب رسول الله ﷺ لم يختلفوا؛ لأنه لو كان قولاً واحداً لكان الناس في ضيق وأنهم أئمة يقتدى بهم. إن الإختلاف جملة وتفصيلاً رحمة من الله تعالى وتوسعة إلا ما قامت الأدلة على بطلانه وشذ به قائله عن الإجماع أو عن

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين (١/ ٧٥)، وانظر أيضاً المدخل للفقه الإسلامى (ص: ١٠٣)، ومناهج الاجتهاد في الإسلام (ص: ٦٤٣).

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين (١/ ٢٤١).

(٣) مناهج الاجتهاد في الإسلام، (ص: ٨٩).

(٤) إعلام الموقعين عن رب العالمين (١/ ٧٥)، وانظر ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب الإمام مالك (١/ ١٤٦- ١٤٧).

(٥) أصول الحِوار (ص: ٢٤).

(٦) الاعتصام للشاطبي (٢/ ١٧٠).

الجماهير من علماء المسلمين سلفاً وخلفاً وهذا ما يسميه علماء الأصول «ندرة» المخالف أو كان الخلاف فيه ضعيفاً[١].

أسباب عامة للخلاف بين الناس:

إن من الخلاف ما هو سائغ ووجوده رحمة للمسلمين، ومنه ما هو غير سائغ.

فإذا أدرك المحاور قبل حواره أن الخلاف طبيعة بشرية أقبل على محاوره بنفس مطمئنة وروح هادئة وكان هذا سبباً في تقارب وجهات النظر وإماتة روح الفرقة والإختلاف[٢]، والذي ينشأ عادة بسبب:

١- الجهل، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ (الإسراء ٣٦ ﴾. وعن عبد الله بن عمر ﵄ أن رسول الله ﷺ قال: **إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من صدور الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسألوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا**[٣].

٢- اتباع الهوى، قال تعالى: ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾ (الفرقان: ٤٣).

الأدب الرابع: التدعيم بالأمثلة والحقائق:

المتحدث الناجح والمحاور الذكي هو الذي يحسن ضرب الأمثلة[٤]، وهو يستخدم هذا الأسلوب حينما يريد الزيادة في تأكيد المعنى الذي يريده، والتمثيل هو إلحاق أحد الشيئين بالآخر وذلك بأن نقيس الأمر الذي نريد إثباته على أمر معروف عند المخاطب، أو على أمر بدهي لا تنكره العقول وتظهر الجهة الجامعة بينهما[٥].

---

(١) صفحات في أدب الرأي (ص: ٨٥).

(٢) كيف تحاور (ص: ١٤).

(٣) رواه البخاري [١٠٠]، كتاب العلم، باب تعليم الرجل أمته وأهله، ومسلم [٢٦٧٣]، كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن، والترمذي [٢٦٥٢].

(٤) الحوار آدابه وضوابطه (ص: ٣٦٤).

(٥) الحوار آدابه وضوابطه (ص: ٣٧٢).

من فوائد ضرب الأمثلة:

١- وسيلة لإقناع المحاور بالفكرة الصحيحة.

٢- وسيلة لتقريب وجهات النظر والتعبير عن المعاني وشرحها، فالأمثلة الجيدة تزيد المعنى وضوحاً وبياناً.

٣- تيسير الفهم وتثبيت المعنى في الذهن.

وقد لخص الحافظ ابن حجر -رحمه الله- بعض فوائد ضرب الأمثلة في تعليقه على حديث النخلة وتشبيهها بالمؤمن فقال: وفيه ضرب الأمثال والأشباه لزيادة الإفهام وتصوير المعاني لترسخ في الذهن ولتحديد الفكر في النظر في حكم الحادثة[1].

ويبين ابن القيم: أن الأمثال تضرب لتقريب المراد وتفهيم المعنى وإيصاله إلى ذهن السامع وإحضاره في نفسه بصورة المثال الذي مثل به؛ فإنه قد يكون أقرب إلى تعلقه وفهمه وضبطه واستحضاره له باستحضار نظيره فإن النفس تأنس بالنظائر والأشباه الأنس التام، وتنفر من الغربة والوحدة وعدم النظير ففي الأمثال تأنيس النفس وسرعة قبولها وانقيادها لما ضرب لها مثله من الحق وهو أمر لا يجحده أحد ولا ينكره، وكلما ظهرت لها الأمثال ازداد المعنى ظهوراً ووضوحاً. فالأمثال شواهد للمعنى المراد ومزكية له فهي كالزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه، وهي خاصة العقل ولبه وثمرته[2].

ولا ننسى أن المستمع قد يفقد تركيزه أثناء الحوار فيأتي المثال مشيراً بفكرة لم تسمع أو مجلياً لعبارة لم تدرك، واستخدام الأمثلة فن يحتاج إلى الأمور التالية:

١- اختيار الوقت المناسب لاستخدام الأمثلة.

٢- تجنب الإغراق في استخدامها حتى لا يورث للسامع الملل.

---

(١) فتح الباري في شرح صحيح البخاري (١/ ١٤٧).

(٢) إعلام الموقعين (١/ ١٨٢ – ١٨٣).

٣- تحري دقة المثال.

٤- مراعاة أن تكون بمستوى السامع العادي لا دونه فيحتقرها ولا فوقه فيعجز عن فهمها.

ولما كان ضرب المثل له هذه الأهمية العظمى في الحوار فقد كثر استخدام القرآن الكريم له في مواضع كثيرة بأسلوب سهل وصور موجودة في واقع المخاطبين.

الأدب الخامس: طلب الإنظار وعدم التعجل:

قد يبتلى المحاور بخصم عجول لا يحسن الاستماع ولا يجيد الإنصات يقاطع أثناء الكلام ويرد قبل أن يفهم ويجيب قبل أن ينتهي السؤال فعند ذلك ينبغي للمحاور أن يطلب من خصمه الانتظار والاستماع بهدوء وعدم التعجل وترك المقاطعات والمداخلات، وقد لا يكون الطرف الآخر كذلك ولكن يريد المحاور أن يؤكد أمر الانتظار والتمهل ويخشى من استعجال محاوره فلا بأس بأن يذكره بطلب الإنظار ويؤكد عليه بعدم الاستعجال[١]؛ لأن التسرع يفسد الحوار وقد ذكر العلماء من آداب المناظرة:

١- ألا يتعرض أحدهما لكلام الآخر، حتى يفهم مراده من كلامه[٢].

٢- أن لا يكون متسرعاً يقصد إسكات خصمه في زمن يسير لأن ذلك يفسد عليه رؤيته الفكرية ويبعده عن منهج المنطق السديد والتفكير في الوصول إلى الحق.

إن القرآن الكريم يضرب لنا أروع الأمثلة في إنظار الخصم حتى يتم حججه رغم بطلانها فهذا إبليس يتحدث عن آدم ويجادل ربه فيتبرأ ثم يطلب الإمهال إلى يوم يبعثون فيمهله الله تعالى ﴿ قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن

---

(١) الحِوار آدابه وضوابطه (ص: ٤٦٢).

(٢) آداب البحث والمناظرة (٢/ ٧٦).

طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴾ (الأعراف: ١٢- ١٥).

وليحذر المحاور من بذل دينه وهي المداهنة، قال تعالى: ﴿ودوا لو تدهن فيدهنون﴾ [القلم: ٩]، فالمحاور يطلب الإنظار ويداري لكن لا يداهن فالمدارة بذل الدنيا من خفض الجناح للناس ولين الكلمة وترك الإغلاظ لهم في القول وهي من أخلاق المؤمنين، والمداهنة بذل الدين وهي من أخلاق المنافقين[١].

الأدب السادس: الهدوء وعدم الغضب:

من الآداب التي ينبغي أن يتحلى بها المحاور الهدوء وعدم الغضب فإذا لم يوافقك صاحبك على رأيك فلا تغضب ولا تحاول أن تحمل الناس على ما تراه حقاً وصواباً[٢].

ولا تترك الغضب يستولي على قلبك لأن صاحب العقل السليم يبتغي أن يبتعد عنه، وقد قال رسول الله ﷺ للرجل الذي طلب منه أن يأمره بعمل وأن لا يكثر في الوصية قال: **لا تغضب**. ثم أعاد عليه فقال: **لا تغضب**[٣].

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **ليس الشديد بالصُّرَعَةِ إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب**[٤].

---

(١) فتح الباري: ٥٢٨/١٠.

(٢) أصول الحِوار (ص: ٧١).

(٣) رواه البخاري [٦١١٦]، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، ، والترمذي [٢٠٢٠]، من حديث أبي هريرة ﷺ، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في كثرة الغضب، والإمام أحمد في المسند [٢٧٣١١]

(٤) رواه البخاري [٦١١٤]، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، ومسلم [٢٦٠٩]، كتاب البر والصلة، باب فضل من يملك نفسه عند الغضب، وأحمد [٧١٧٨].

وفي الغضب عند الحوار محاولة لإبطال دعوى الخصم قبل أن يقدم الدليل عليها، فالغضب لا يوصل إلى إقناع الخصم وهدايته. وإنما يكون ذلك بالحلم والصبر اللذين هما من صفات المؤمنين ويؤديان إلى أُسلوبٍ من أساليب الحوار الجيد وخصوصاً إن كان محاورك من سريعي الغضب فأنت تأسره بهدوئك وطمأنينة نفسك[١].

ويتحقق هذا الأدب بالوسائل التالية:

١- إشعار المحاور بالهدوء والصفاء وضبط النفس والتحكم في الأعصاب.

٢- الهدوء المطلوب الذي يصحبه ترتيب للأفكار وحسن استماع للخصم وفهم واستيعاب لكلامه وتمييزُ ما يمكن إقراره وما يجب رده ومراقبته لتصرفات الطرف الآخر.

٣- أن لا يجعل الخوفَ والقلقَ والاضطرابَ يتسربُ إلى نفسه وإن أحس به فعليه إخفاؤه عن الطرف الآخر واستعادة توازنه بقدر الإمكان.

٤- حسن الاستماع والصمت والإنصات أما سرعة الانفعال والتوتر العصبي والهياج والقلق فتأثيرها سيئ على ذهن المحاور ونفسيته.

٥- عدم رفع الصوت أكثر مما يحتاج إليه السامع قال تعالى: ﴿ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ﴾ (لقمان: ١٩).

قال الزمخشري: فتشبيه الرافعين أصواتهم بالحمير وتمثيل أصواتهم بالنهاق ثم إخلاء الكلام من لفظ التشبيه وإخراجه مخرج الاستعارة وَجَعْلُهُمْ حميراً وصوتهم نهاقا مبالغة شديدة في الذم والتهجين وإفراط في التثبيط عن رفع الصوت والترغيب عنه وتنبيه على أنه من كراهية الله بمكان[٢].

---

(١) كيف تحاور (ص: ٣٩).

(٢) تفسير الكشاف (٣/ ٢٣٤).

وقال صاحب الظلال: «والغض من الصوت فيه أدب وثقة بالنفس واطمئنان إلى صدق الحديث وقوته وما يزعق أو يغلظ في الخطاب إلا سيئ الأدب أو شاك في قيمة قوله أو قيمة شخصه يحاول إخفاء هذا الشك بالحدة والغلظة والزعاق[١].

٦- الصبر والتسامح والاستعلاء على رغبة النفس في مقابلة الشر بالشر يرد النفوسَ الجامحةَ إلى الهدوءِ والثقةِ فتنقلب الخصومةُ إلى الولاءِ وينقلب الهياجُ إلى وَدَاعَةٍ بكلمة طيبة ونبرة هادئة وَبَسْمَةٍ حانيةٍ في وجهٍ هائجٍ غاضبٍ، غير أن تلك السماحة تحتاج إلى قلب كبير يعطف ويسمح[٢].

والأمثلة في هدوء الأنبياء وعدم الغضب كثيرة جداً فهم يواجهون التهم من أقوامهم على نحو ما استشهدنا به من آيات كريمة في مواضيع شتى.

وينبغي أن لا يسيطر على المحاور الهادئ الخجلُ، لأنه يفضي إلى توتر الأعصاب والتلعثم في الكلام واضطراب الجوارح وعدم الثقة بالنفس، فهو الحياء المذموم لأنه يصد عن الدعوة إلى الله، فالحياء الممدوح الذي كلُّه خير هو الخلق الذي يبعث على ترك القبائح لا أنه باعث على ترك إنكار المنكر والسكوت عن المحرمات وترك الدعوة إلى الله والمحاجة لدين الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

ومما يعين على الهدوء الابتسام، فإن الوجه العابس الغاضب يكون مدخلاً للشيطان، فإن الشياطين تتلاعب بابن آدم عند الغضب، والبشر والطلاقة تملكان الروح كالإغداق بالمال، قال ابن حبان: (من بشَّ للناس وجهاً لم يكن عندهم بدون الباذل لهم ما يملك)[٣].

وقيل لأحد السلف ما أَبشَّكَ قال: إنه يُقوِّم عليَّ برخيص، يريد أن البشاشة لا تكلف مالاً وتستدر صحبة وصديقاً[٤].

---

(١) في ظلال الظلال (٥/ ٢٧٩).

(٢) في ظلال القرآن (١/ ١٩٣).

(٣) روضة العقلاء، ص٧٥ .

(٤) روضة العقلاء، ص٧٥.

وكان عبد الله بن قدامة لا يناظر أحداً إلا وهو يبتسم، حتى قال بعض الناس: هذا الشيخ يقتل خصمه بتبسمه[١]، وروي عن أبي حنيفة أنه قال لأصحابه: إذا ناظرتم فأظهروا الضحك، يقضي عليكم الجمهور بالغلبة[٢].

ما أجمل أن يحاور المرء وهو مبتسمٌ باسمٌ وما أبعده إذا ضجر وعبس في حواره.

الأدب السابع: الاحترام المتبادل بين المتحاورين:

الحوار أسلوب راق للتفاهم بين الأطراف المختلفة للوصول إلى الحق، ولكي نحقق أفضل النتائج لابد من احترام الآخرين؛ لأن الخلافَ ليس مسوِّغاً للتخلي عن الأخلاق الفاضلة، فنجد القرآن الكريم يأمرنا حتى في حالة جدالنا لمن يخالفنا في الدين أن يكون ذلك بالحسنى؛ قال تعالى: ﴿ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ (النحل: ١٢٥).

فعلى المحاور احترام الطرف الآخر مسلماً كان أو غير مسلم، ويمنحه حقه من التقدير والتوقير[٣].

عن عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ قال: لم يكن النبي ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً وكان يقول: **إن من خياركم أحاسِنَكم أخلاقاً**[٤]. فقد كان ﷺ يعطي من يحاوره حقه من التقدير والاحترام، وكذلك الأنبياء عليهم السلام في حوارهم مع أقوامهم.

وسائل احترام المتحاورين:

١- مراعاة منزلة من نتحاور معه إذا كنا نعرفه قبل ذلك. فنحن مأمورون بإنزال الناس منازلهم. فإذا كان له منزلة اجتماعية أو كبر في السن أو مكانة علمية لابد من إضفاء الألقاب المناسبة له بالحق والاحترام دون مبالغة أو نفاق.

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة ٢/ ١٣٧.

(٢) مناقب الشافعي للبيهقي(١/ ٨٨).

(٣) أصول الحِوار (ص: ٥٣).

(٤) رواه البخاري [٣٥٥٩]، كتاب المناقب، باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم، ومسلم [٢٣٢١]، في كتاب الفضائل، باب كثرة حيائه صلى الله عليه وسلم.

أما إذا كان الشخص غير معروف لدينا فلا مانع من تكنيته بأبي فلان أو إضفاء بعض الألقاب المتعارَف عليها مثل الأخ فلان حسبما يقتضيه المقام.

٢- الثناء على جوانب الخير فيه وذكر صفاته الطيبة.

٣- إبداء الإعجاب بأفكاره الصحيحة والاستدلالات الجيدة والمعلومات الجديدة التي يوردها المحاور، ويسلم بها وربما يقتبس المحاور من كلام صاحبه في وقت لاحق عبارة جيدة تفوه بها في وقت سابق، وهذا يفتح قلب الطرف الآخر لقبول آرائه ويذهب بروح التحفز التي تسود عادة أجواءَ المناظرات والمناقشات وتضفي على الحوار صفةَ الموضوعية[١].

٤- محاولة رؤية الأمور من وجهة نظر المحاور.

٥- الإقبال على المحاور والنظر إليه والتبسم له.

٦- إذا انتقل إلى نقطة أخرى دون الاعتراف بالتسليم نحترم رغبته لأننا أردنا إبلاغه الحقَّ، وليس من الضروري الاعترافُ به.

٧- عدم تأويل الكلام إلا على الوجه الأحسن ما دام هناك مجال للتأويل الحسن.

٨- عدم ذكر المحاور بما يكره أو تَنَقُّصه وإظهار جهله وقصوره خاصة إذا كان في ذلك مصلحة عامة للمسلمين وكان القصد إظهار الحق بخلاف الحوار مع أهل البدع والضلالات فإنه يجب توضيح أخطائهم وإظهار بدعهم.

٩- حفظ اللسان من الاستهزاء والاحتقار والكلام السفيه والاحتفاظ باللهجة المهذبة. لأن القرآن الكريم يضرب لنا أروع الأمثلة في احترام الآخرين رغم عنادِهم بل وكفرِهم وإيذائِهم.

---

(١) أصول الحِوار (ص: ٥٤).

فالوصية لموسى وهارون (عليهما السلام) عند ذهابهما إلى فرعون جاءت بالحث على القول اللين: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ (طه: ٤٤) أي: فقولا له قولاً سهلاً لطيفاً برفق ولين وأدب في اللفظ من دون فحش ولا صلف ولا غلظة في المقال ولا فظاظة في الأفعال(١).

إن احترام المحاور يقتضي رحمته والرحمة خلق إسلامي أصيل قال تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وقد يظن بعض الناس أن المناظرة والحوار يقتضيان الخصومة والعداء، وهذا غلط فإن الرحمة عامة للعموم، ألا ترى إلى النبي ﷺ لما جاء شاب يسأله أن يأذن له في الزنا، وزجره مَنْ حولَ النبيِّ ﷺ فقال له النبي: ((أتحبه لأمك)) قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداك، قال ﷺ ولا الناس يحبونه لأمهاتهم، ثم ذكر أتحبه لأختك، لعمتك، لخالتك، فلما ظهرت الحجة عليه قال: اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه(٢).

وكذا انظر إلى حوار النبي ﷺ مع الذي بال في المسجد وكيف وجهه وعلمه، وحواره مع حكيم بن حزام الذي تكلم في الصلاة كما في صحيح مسلم، وذكر حكيم أنه لم ير معلماً للخير مثله فما نهره ولا عنفه، فهو صلى الله عليه وسلم رحمة مهداة.

الأدب الثامن: إقامة الحجة:

الهدف من الحوار هو الوصول إلى الحق على يد أحد المتحاورْين؛ فإذا تجنب المحاور أسلوب الإفحام والتحدي من البداية فإنه يستطيع الوصول إلى هدفه دون أن

---

(١) تفسير السعدي (٣/ ٢٦٢).

(٢) رواه أحمد (٥/٢٥٦)، وصححه الألباني في الصحيحة (١/ ٣٧٠).

يبغضه صاحبه لأنه قد يفحم الخصم ويُعجزه عن الجواب وفي نفس الوقت يترك في نفسه حقداً وغيظاً وهذه نتيجة لا يجب أن يصل إليها المتحاوران وربما كان كسب القلوب أهم من كسب المواقف. وقد يحتاج المحاور أحياناً إلى التحدي والإفحام إذا كان يتحاور مع مِنْ همهم الجدال والاستهزاء وإثارة الشبه وتضليل الآخرين والإساءة إلى الفكرة وإهانة المبادئ فلا بأس بالهجوم الحاد على مثل هذه النوعية لتوضيح وَهَنِ أفكارِهم واضطرابِ أقوالِهم وإزالةِ لَدَدِهم، ومكابرتهم الحقَّ؛ لأنهم إنما يريدون بذلك معارضة ما خالف هواهم دون تدبرٍ للحقائق، وهذا ما فعله إبراهيم عليه السلام عند محاجته للنمرود الذي آتاه الله الملك؛ فاستعلى واستكبر وامتنع عن قبول الحق قال تعالى: ﴿ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ (البقرة: ٢٥٨). وبذلك وقف وانقطعت حجته واضمحلت شبهته وبان كذب دعواه.

الأدب التاسع: معرفة متى ينتهي الحوار:

إن مما يلاحظ في أغلب الحوارات والمناقشات أن الحديث يتفرع ويتشعب وَيُحْدُثُ في الكلام استطرادٌ وتنوعٌ، وتتداخلُ بحيث لو حاول المستمع أن يربط بين الأفكار آخرِها وأولِها لتعب كثيراً. ولو حاول أن يحصر القضايا التي طرحت لوجدها كثيرة، ومثل هذا الأمر يضيع الوقت والجهد ويبدد الطاقة ويجعل المناقشة عقيمة وسطحية وقليلة الفائدة، لذلك على المحاور أن يحرص ما استطاع إلى ذلك سبيلاً على التركيز في موضوع الحوار والنجاة من الاستطراد وأن يصل بالحديث إلى نتيجة واضحة محددة ينصرف بعدها الناس وقد وضحت لديهم الأفكار والموضوعات واستوعبوا ما طرح عليهم[1].

---

(١) أصول الحِوار (ص: ٧٠).

ويجد المحاور نفسه في بعض الأحيان مضطراً إلى وقف الحوار إذا تبين له أن الظروف المحيطة لاستمرادهِ غير مناسبة، أو أن الطرف الآخر دون المستوى المطلوب جدية وعلماً، فإن مَنْ بلغ حد اللجاجة لا ينفع معه الحوار[١].

وفي بعض الأحيان يجد المناقش أن شُقة الخلاف بينه وبين الطرف الآخر كبيرة جداً وأن هناك اختلافاً على أمور أساسية لا يسمح الوقت بمناقشتها أو تكون مناقشتها مع هذا بالذات تضييعاً للوقت وتبديداً للجهد عند ذلك يكون من الأفضل إغلاق المناقشة وإشعار الطرف الآخر بأننا لم ننسحب عجزاً أو نترك النقاش هزيمة[٢].

وقد ذكر القرآن ضرورة الإعراض في بعض المواقف حيث قال تعالى: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ (النساء: ١٤٠).

الأدب العاشر: استخدام كلمات طيبة أثناء الحوار:

إن قوة التعبير وفصاحة اللسان وحسن البيان من أركان المناقشة الجيدة والحوار الناجح فكم من حق ضاع لسوء التعبير عنه، وكم من باطل ظهر لأن الذي يدعو إليه فصيح بليغ؟! ولذلك عندما كلف الله موسى عليه السلام بالتوجه إلى فرعون ودعوته لعبادة الواحد القهار سأل الله تعالى ما يعينه على تلك المهمة الشاقة فقال: ﴿ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ۝٢٧ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِي ﴾ (طه: ٢٧- ٢٨) فالمحاور الجيد يناقش بتلطف وأناة ويقدم لكلامه ويختمه بعبارات تذوب رقة ولطافة وتبلغ من الأثر في نفس السامع ما لا تبلغه الحجة الدامغة قال تعالى ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ (طه: ٤٤) ولابد للمحاور أن يراقب نفسه أثناء حواره هل يتعالى بإشارة أو كلمة؟ هل هو

(١) انظر كيف تحاور (ص: ٦٧).

(٢) أصول الحِوار (ص: ٤٧).

مستمع جيد؟ ويحرص على بساطة العبارة بلفظ موجز. فمن البيان أن يعرف متى يتكلم ومتى ينصت ومتى يجيب.

وهناك بعض الكلمات التي تفتح مغاليق القلوب وتفعل فيها فعل السحر مثل:

- المناداة بالاسم الذي يحب أو بكنيته أو باللقب الذي يستحقه.
- أو قوله: لقد كانت مناسبةً سعيدةً أن تعرفنا عليك يا أخي.
- يطيب لي.
- معذرة اسمح لي.
- عفواً هلا شرحت لي وجهة نظرك.
- إن شهادتك العالية وعقليتك المتفتحة تجعلني أتكلم معك بصراحة.
- تحدث شخص في هذا الموضوع فأبدى رأيه قائلاً... حبذا لو أخذنا من كلامه.
- أقترح كذا.
- إنني أسمعُ لك، إنني مصغٍ إليك.
- هل انتهيتَ من هذه النقطة؟
- نحن متفقان في غالب الأمور، وخلافنا على أمور فرعية.
- إنني أحترم وجهة نظرك.
- اسمح لي أن أُبْدِيَ وجهة نظري في الموضوع.
- قد أكون مخطئاً وأشكرك لو تفضلت وصححت لي خطأي.
- أشكرك على هذه النقطة ولعلي أضيف إضافة صغيرة.
- أرى رأياً آخر قد أكون مخطئاً فيه فلنختبره سوياً.
- لا أدرى أو لا أعلم عن هذه القضية ..... .
- كنت سعيداً بالحوار مع شخص مثلك وأتمني أن يكون بيننا لقاء دائم.
- آسف على ما يحصل، ولكننا اتفقنا على أن يكون الحق هدفنا[1].

(١) كيف تحاور (ص: ٩٦ – ٧٠).

وهناك كلمات قد تفسد الحوار: (أنا - نحن - رأيي - تجربتي - خبرتي - تبين لي) لأن استعمال ضمير المتكلم قد يوقع في مدح النفس، والتأكيد على الخيرة والعلم قد يوقع في فساد النية ويترك انطباعاً سلبياً لدى السامع يجعله ينفر منه والإنسان بطبعه يكره مَنْ يتعالى عليه.

مسائل مهمة أثناء الحوار:

- لا ترفع الصوت بصورة زائدة ولا تخفضه لدرجة يعجز معها المستمع عن متابعة الحديث وإنما خير الأمور الوسط، ويمكننا أن نخفض الصوت ونرفعه انفعالاً مع الحديث فإن لذلك دَخْلا في تجديد الانتباه ولابد أن لا يكون الصوت على وتيرة واحدة، وحتى تتم الفائدة ينْبغي أن لا نسرد الكلام سرداً بل نجزئه ونرتبه ونتمهل فيه ليفكر فيه السامع. فالضجيج لا يستر العجز والهدوءُ لا يضيع الحق. وعلينا التوقف قَبْلَ وَبَعْدَ الأفكار المهمة[٢].
- لا تصر على خطئك، فالإصرار على الخطأ يفقدك احترام الناس والأسلوب الصحيح أن نسلم بأخطائنا.
- لا تواجه محدثك بخطئه بقولك: سأثبت لك عكس ذلك وأنت مخطئ في هذا الأمر؛ لأن هذا الأسلوب يكسبك عَدَاءَهُ.
- لا تَسْخَرْ ممن يتحاور معك سواء بالكلمة أو بتعبيرات وجهك.

وكلمة أخيرة:

الإنصاف عزيز، قال تعالى: ﴿ولا يجرمنكم شنئآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾[المائدة: ٨]، ما أجمل ما قال الشافعي: (ما أوردت الحق

---

(١) كيف تحاور (ص: ٤٢).

والحجة على أحد فقبلها إلا هِبْتُهُ وأَعتقدُ مودتَهُ ولا كابرني على الحق أحد ودافع الحجة إلا سَقَطَ من عيني)[1].

قال ابن القيم:

وَتَعــــرَّ من ثوبين مَنْ يلبسهمـا ❖❖❖ يلقى الـردي بمذمـةٍ وهـــــوان

ثوب من الجهـل المركـــب فوقه ❖❖❖ ثـوب التعصب بئست الثوبـــان

وَتَحَلَّ بالإنصافِ أفخر حـــلةٍ ❖❖❖ زينت بهـا الأعطـاف والكـتفان[2]

(١) صفة الصفوة ٢/١٦٧.

(٢) النونية بشرح. هراس ١/٥٢.

الباب الثاني

التطور التاريخي للحوار

- الفصل الأول: الجذور التاريخية للحوار.
- الفصل الثاني: حوار الأمم السابقة في القرآن الكريم.
- الفصل الثالث: الحوار مع اليهود.
- الفصل الرابع: الحوار مع الملحدين.
- الفصل الخامس: الحوار مع منكري البعث.
- الفصل السادس: الحوار مع المشركين.
- الفصل السابع: الحوار مع المنافقين.
- الفصل الثامن: حوار المؤمنين في القرآن الكريم.

الفصل الأول

الجذور التاريخية للحوار

اعتمدت المجتمعات من أقدم العصور على الحوار في التعليم، ونقل الأفكار والقيم والثقافة السائدة في المجتمع، والمحافظة عليها، ولم يكن الحوار مجرد أداة تعليمية تستخدم داخل قاعات التدريس التي هي في جوهرها شكل من أشكال العلاقة القائمة بين الأفراد والمؤسسات المختلفة داخل المجتمع.

وبالرجوع إلى تاريخ الحوار يتضح أن طريقة الحوار كانت طريقة ذات ملامح متميزة على يد "سقراط"، صحيح أنها كانت لها بذور عند السوفسطائيين، ولكنها لم تكن قد اتضحت معالمها، وقد اعتمد السوفسطائيون على المقدرة الكلامية والقوة البيانية أكثر من اعتمادهم على الدليل والمنطق والبرهان؛ فكل كلام مزخرف عندهم وكل عبارات منمقة في رأيهم هي الطريقة لكسب المنفعة، أما البحث وراء الحقيقة فعبث باطل.

وقد استعمل "اليونانيون" الجدل بمعنى التحاور أو التخاطب بين الناس؛ بينما كان أهل "أثينا" يعدون الجدل فنا عاليا، أو فن البحث عن الحق.

أما طريقة الحوار عند "سقراط"، فتعتمد على طرح الأسئلة والإجابة عنها، ومناقشة الإجابات عن طريق الأسئلة أيضا.. وهذه الطريقة تمر بثلاث مراحل: الأولى أسئلة يقصد منها أن يكتشف الشخص بنفسه أنه على باطل، وليس محقا في اعتقاده.

والمرحلة الثانية أسئلة يقصد منها أن يعرف الشخص أنه جاهل لا يعرف الحقيقة؛ لذا فهو في حاجة إلى سقراط يرشده إليها، وأخيرا.. أسئلة يقصد بها أن يصل الشخص المخطئ أو الجاهل إلى الحق والصواب بنفسه.

وفي العصر الجاهلي مارس العرب نوعاً آخر من المحاورات في المنافرات، وهي تقترب من خطب إصلاح ذات البين التي كان يقيمها الجاهليون؛ فيقيم المتخاصمون

حَكَما يُقِرَّان به، وينهض كل منهما للتفاخر أمامه، متغنياً بشرفه وشرف ذويه، وإظهار عيوب منافسه ومساوئه.

والمنافرة أو المفاخرة بمعنى واحد هي المباهاة في الجمع المحتشد بفضائل الأصل، ومكارم النسب، ومحاسن الأخلاق، وعلو المنزلة، وروعة المكانة، وجليل الفعال؛ ومن ثم كانت الجاهلية تعدها ضرورة طبيعية لكيانها؛ تأليفاً للقلوب حول القبيلة، وكان الحوار في المنافرة يبدو أكثر حيوية وتنوعاً، وأقصر من خطبة إصلاح ذات البين، كما أن العراك يظهر أكثر عنفاً؛ كأن الخصمين يتصارعان ويتجادلان فيها بالقول بما هو أَحَدُّ من وقع السيف، والمعاني تبدو فيها مباشِرةً صريحةً، ولا يلمح إليها، والفرق بين المفاخرة وبين خطب إصلاح ذات البين أنه في خطب إصلاح ذات البين ترى المتصالحين يأخذون بالعقل والروية بقدر ما ينساقون بالانفعال، أما المتنافران، فإن كلا منهما يصدر عن غضب وحقد، وتنزع به الانفعالات نزوعاً، ولا تدع للعقل والروية إليه سبيلا[1].

تطور الحوار في عصر النبوة:

كان العصر الإسلامي في مجمله تنازعا فكريا اجتماعيا، إلى جانب التنازع السياسى الذي حدث بين قريش والنبي ﷺ في مستهل الدعوة، وبين المشركين والمسلمين بعد وفاة الرسول ﷺ. وقد ازدهر دور الحوار في المجتمع، وخاصة بعد أن أخذ التخاصم بين النبي ﷺ والقرشيين صورة الحرب الفكرية، وما تطلبته من جدل وحوار؛ فلا يكاد يقال قولٌ حتى يعارضَه رأي آخر؛ لكي يولد من الإنسان القديم مرة أخرى إنسان جديد متفتح على عوامل الخير والعدالة.

ولهذا كان من الطبيعي أن يأتي الإسلام الذي أطلق العقول، وحطم أغلال الوثنية، وهدم الفلسفة الإغريقية ليعلم المسلم كيف يحاور، وكيف يجادل بالتي هي

---

(١) فعالية مجموعة من الأنشطة الوظيفية لتنمية مهارات الحوار لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية، بثينة محمود محمد (ص: ٧٣).

أحسن، وهذا الحوار لا يتحقق إلا بتبادل الآراء في جو تسوده الشورى والحرية والصراحة؛ ومن هنا فإن الإسلام لم ينظر إلى الحوار على أساس أنه ترف فكري، يدرب الإنسان على الانتصار والتفوق؛ بل على أساس أنه ضرورة تكسب الإنسان القدرة على استعمال أدوات الدفاع عن الحق بطريقة أكثر مرونة وذكاء؛ ولهذا ذم الله الأمم السابقة التي تتبع آراء أسلافها دون تفكير وتمحيص، وعن عمى وجهل.

وقد كان للأفكار الجديدة، التي دعا الإسلام جميع الناس إليها؛ حيث دفعهم إلى إعمالِ الفكر والتحرر من القوالب الجامدة؛ أَثَرُها الكبير في ازدهار الحوار، كما كان للصراع الذي دار بين الدعاة إلى الله والمشركين المعاندين وغيرهم في محاولة كل منهم جذبَ الآخرِ إليه عن طريق الإقناع والاستمالة؛ أَثَرُهُ الكبير أيضا في ازدهار الحوار: وذلك من اللحظة الأولى التي أمر فيها اللهُ الرسولَ ﷺ أن يصدع بما يؤمر، وكانت أولى وسائله هي الحوار مع قومه.

وقد ضرب الرسول ﷺ أعظم الأمثال حين حاول أن يقنع قومه في حوار رائع: فقال لهم: أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تُغير عليكم أكنتم مصدقي؛ قالوا: نعم، ما جربنا عليك كذبا قط، قال: فإني نذير بين يدي عذاب شديد. وكأنه ﷺ يضرب لنا مثلاً لأعظم محاور يستطيع أن يستخدم أدوات الإقناع و الأدلة والبراهين والشواهد؛ ليقنع قومه بالدين الجديد. ومن ذلك أيضاً حواره مع المشركين عندما جاءوا يجادلونه ويستميلونه بالمال تارة، والجاه تارة؛ لينصرف عن الدين[١]، وكان الرسول ﷺ دائماً الطرفَ الأكثرَ إقناعاً بقوة حجته، وسلامة منطقه.

كما ساعد مبدأ الحرية التي أقرها الإسلام ـ أي حرية النقد لإصلاح المجتمع، وإصلاح المنكر باللسان أيضاً ـ على ازدهار الحوار. وفي حياة النبي ﷺ كان الناس يجتمعون في مجالس الرأي والمشورة. وبعد موت النبي ﷺ حدث اجتماع السقيفة [٢]؛

---

(١) الحوار لغة القرآن والسنة النبوية

(٢) تاريخ الأمم والملوك للطبري (ص: ٢٠٧ ـ ٢١٣).

ليتحاوروا من أجل الوصول إلى الحق، وحتى بعد أن مات عمر بن الخطاب ﷺ بالطعنة، انبرى كل منهم ليدلي برأيه، ويشير على الآخرين في حوار هادئ رزين عاقل.

وقد كثرت المحاورة في التخاطب في عصر النبوة، وأصبحت أسلوباً أساسياً مؤثراً من أساليبها المتعددة؛ تبعاً لتعدد المواقف الداعية إليها؛ من تبادل للآراء، أو لاختلافها أو مطالبة فئة معينة من طوائف المجتمع بحقٍّ أو بمطلبٍ خاص. وهنا يشتد الحوار، وتتولد المحاورة؛ لأن كل فئة تريد أن تدلي برأيها، وفي الوقت نفسه تستند إلى حجة تؤيد بها دعواها، وتدحض حجة محاورها.

واتخذت المحاورة ألواناً مختلفة ومتعددة؛ فأحيانا تكون هادئة ومثمرة؛ فلا يراد منها إلا الوصول إلى الحق ومعرفة الصواب والتزامه؛ مثل الحوار الذي دار بين الرسول ﷺ وبين الصحابة قبل غزوة بدر، وكذلك حواره معهم بعد الغزوة حول ما يجب عمله تجاه الأسرى؛ وكذلك الحوار بين المهاجرين والأنصار يوم السقيفة، وجميعها حوارات هادئة لا غلظة فيها ولا لجاجة، ولا مغالطة ولا انفعال لإثبات ذات على حساب الآخرين، إنما تجد جهداً مضنياً في البحث عن الحجة التي تؤيد بها الآراء للوصول إلى خير المسلمين، وتجد بلاغة في القول، وجمالاً في التعبير، ودقة في صوغ العبارات، مع حسن التكيف مع المواقف، التي تفرض نفسها دون قلق، أو اضطراب، أو خلل، في العبارات ذاتها.

وعلى العكس من ذلك تجد حوارات المشركين مع الصحابة أو مع الرسول ﷺ؛ حيث تغلب عليها العصبية والجاهلية؛ إذ الهدف ليس الوصول إلى الحق والصواب، بقدر ما يكون العناد واللجاج والمكابرة، وتحكيم الأهواء والأغراض، والصد عن سبيل الله.

وأول مصدر تعلم منه المسلم فنون الحوار المختلفة هو القرآن الكريم؛ فقد نزل وبه فنون تعليم الكلام؛ معتمداً على الإقناع والتأثير بطريقة دفعت الناس إلى أن يتبعوه ويسيروا على نهجه، وبالحجج والبراهين التي تعطى الفكرة القوة الإقناعية.

والقرآن الكريم يجعل كل قضاياه سبيلها الحوار، ويجعل كل خلافه مع أعدائه ومخالفيه قائما على الحوار المنتج الهادئ الرزين، ولا يجعل من القوة سبيلاً وحيداً إلى التعامل مع المخالفين، إنما يجعلها عقوبة للمُصِرّيْنَ على الباطل بعد سطوع الحق وبيانه؛ لتكون القوة أيضا وسيلة من وسائل إعادتهم إلى الحق لصالح أنفسهم، والدليل على ذلك أن الله تعالى جلت قدرته يتخذ ذاته العليا مثلاً في المحاورة؛ فلا يفرض قوته وقدرته، وإنما يبسط حواره قبل القوة، ويضرب لنا سبحانه وتعالى أمثلة كثيرة على ذلك؛ ومنها على سبيل المثال حواره مع الملائكة على نحو ما شرحناه في مواضع عديدة في الباب الأول.

الحوار في عصر الصحابة رضي الله عنهم:

امتاز الحوار في عصر الصحابة رضي الله عنهم بآداب سامية، ويرجع السبب في ذلك إلى احتكامهم إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ عند وقوع الخلاف، كما أن المجتمع لم يكن قد ابتعد كثيراً عن هدي النبي ﷺ وسنته.

وكانت الحقيقة وحدها هدف المختلفين؛ حيث لا يهم أحدَهم أن تظهر الحقيقة على لسانه أو على لسان أخيه، وكذلك امتازوا بالتزامهم آداب الإسلام مع انتقاء أطيب الكلام، وتجنب الألفاظ الجارحة في الحوار والجدال، مع إحسان كل منهم للآخر، وتنزههم عن التمادي في الحوار بغير حق، وبذلهم أقصى أنواع الجهد في موضوع البحث؛ مما يضفي على الحوار صفة الجدية واحترام الآراء المطروحة، ويدفع المخالف لقبول الرأي الصحيح دون شعور بالحرج والضيق[١].

والأسباب التي كانت تؤدي إلى اختلاف الصحابة رضي الله عنهم في مجموعها لم تكن لتخرج عن تباين في فهم النص: لغوية كانت أو اجتهادية، وتعالج بأدب إسلامي

---

(١) منهج الجدل والمناظرة في الفكر الإسلامي (ص: ٤٧).

خالص ؛ لذلك سرعان ما كانت هذه الاختلافات تضمحل وتزول بلقاء الرسول ﷺ، أو الاحتكام إلى نص من القرآن أو السنة، أدركه بعضهم وغاب عن الآخرين ؛ لأن غايتهم كانت نشد الحق وإصابة الحكم الصحيح، ولكن بوفاة النبي ﷺ الذي كان مصدراً للتشريع ومرجعاً للمسلمين في كل اختلافاتهم، بدأ الجدل يزداد لكثرة الموضوعات المستجدة، وظهور كثير من الأمور التي اختلف فيها الصحابة، وجاء في المقدمة الحوار حول ثلاثة موضوعات ؛ هي :

أ - الحوارات التي كانت في عصر عثمان رضي الله عنه.

ب- الحوارات التي كانت في عصر علي رضي الله عنه.

ج - الحوار حول الإمامة والخلافة.

الحوار في العصر الأموي والعباسي:

وكان لانتشار الفرق الإسلامية في العصرين الأموي والعباسي، التي تبلورت آراؤها في شكل المدارس التي تدافع عن اتجاهاتها وأصولها العقائدية والفكرية - الأثر الكبيرُ والعظيمُ في ازدهار فنون الحوار ؛ الذي كان يهدف أحياناً للوصول إلى الحق فيكون حواراً حقيقياً، وأحياناً يقصد به تغليب مذهب فكرى على آخر، أو تغليب رأي على آخر فيكون جدالاً.

وقد ساعد على تطور صور الجدل التعصب المذموم عند الفرق الإسلامية ودفاعها عن آرائها بشدة، اعتقاداً منها أنها على حق وسواها على باطل، كما أن هجرة العلماء من بلد إلى آخر، وطلبهم للعلم والاستزادة منه، ونشر أفكار وآراء هذا الدين بين مختلف الشعوب كان باعثاً قوياً على الاحتكاك الفكري، ونشأة الجدل، وكثرة المحاورة والمناظرة، وساعد أيضاً على هذا الحوار والجدل تَوَلُّدُ الفرق من بعضها ؛ حتى أصبحت كل مدرسة فكرية تضم عشرات الفرق الإسلامية.

واستمرت الندوة في أداء دورها في العصرين الأموي والعباسي، وفيها كانت تدور فنون الحوار والتشاور، كذلك في مجالس الخلفاء، وفي المساجد، والقصور.

ومن اللافت للنظر في العصر الأموي الحوارات التي كانت تتخلل خطب الوفود على الخلفاء، وكانت هذه الوفود غالباً ما تقدم على الخليفة، وقد سبق لها أن قالت ضده شعراً، يحفظه الخليفة أو أحد حاشيته؛ فيعاد عليها هذا الشعر، وَتُعَاتَبُ فيه؛ فتقره، وتصمم على رأيها، وفي النهاية يجزل الخليفة لها العطاء.

وقد ارتقى الحوار في العصر العباسي؛ نظراً لأن الفكر الفارسي أثر في الحياة الإسلامية، وكان يحمل معه ثمرات من الفكر اليوناني؛ لأن الفلسفة اليونانية كانت منتشرة في بلاد فارس قبل الإسلام، وكان هذا سببا في كثرة العلوم الفلسفية، وانتشارها بين المسلمين، وكانت المناظرات والمناقشات تعقد في كل مكان، وكثير منها كان يعقد في مجالس الخلفاء - مثل الخليفة المأمون الذي كان معجبا بالفلسفة اليونانية - وقد كانت هذه المناظرات موضوع سبق المجيدين للقول فيها؛ يتبارون في البيان وروعته، ويتسابقون في المعاني وأحكامها.

وقد سادت المناظرات في هذا العصر؛ لأن الحياة العقلية كانت لها السيادة، وعظم أمر العلم، وصارت المجالس ميداناً للمسابقة الكلامية والجدلية بين زعماء الفرق الإسلامية وكان المتكلمون يحرصون على بلاغة الكلام والتأثير بالإقناع بعد الإفحام.

ومن عوامل ازدهار الحوار في العصر العباسي ـ أيضاً ـ ما دسه الزنادقة، وما دبروه للإسلام؛ بتأثيرٍ من الفرس الذين كانوا يريدون إحياء ملكهم القديم؛ فلما لم يستطيعوا ذلك عسكرياً، أرادوا تقويض الإسلام من الداخل بكثير من الآراء والمعتقدات، التي أثرت في ازدهار الحوار؛ فلم يجد الخلفاء بُداً من محاربة الأفكار بالأفكار، والقضاء على كثير من تلك النظريات والمعتقدات الغريبة على الإسلام؛ وذلك بالحوار، والجدل، والفكر المضاد.

وبالإضافة إلى ما سبق، فإن العصر العباسي كان عصر نضج العلوم العربية وبداية الازدهار الفكري وتكوين المدارس في مختلف العلوم المرتبطة بالقرآن والسنة، كما ازدهرت حركة الترجمة من اللغات الفارسية واليونانية والهندية إلى العربية، وتمكنت عقول المسلمين من استيعاب ذلك كله وهضمه وتمثيله، وتحويله إلى نظريات ومناهج تخدم العقيدة إثباتاً ودفاعاً، ومادة تساعد على ازدهار الفكر الإسلامي الصحيح.

الفصل الثاني

حوار الأمم السابقة في القرآن الكريم

الحوار مع إبليس:

إن الإباء والكبر والكفر هو الذي دفع إبليس إلى الجدال والعناد، قال تعالى: ﴿ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ (البقرة: ٣٤) ففقد مكانه في الجنة بين الملائكة، وخرج منها مذءوماً مدحوراً ملعوناً إلى يوم القيامة.

ذلك أن الكبر أفقده قدر نفسه، ودفعه إلى التطاول إلى مقام ربه، ليجادله في أمره، وليعطي لنفسه الخيرية على آدم أبي البشرية، و ليسند هذه الخيرية إلى معاييره هو، لا إلى ما شرع الله وأمر ﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُۖ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴾ (ص: ٧٦) مع أن الملائكة وهم من نور لا نار سجدوا وأطاعوا رب العالمين.

ومع أن المعيار الذي ارتضاه رب العالمين ﴿ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ﴾ (الإسراء: ٧٠) ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ ﴾ (الجاثية: ١٣).

ومع أن القاعدة قبل ذلك كله: ﴿ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ (البقرة: ٣٠) ﴿ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ (البقرة: ٢٣٢) ﴿ لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ ﴾ (الأنبياء: ٣٢).

الحوار مع الملائكة:

يقول الله تعالى: ﴿ وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ

قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا فَأَخۡرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِۖ وَقُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ (البقرة: ٣٠ - ٣٧).

حوار ابني آدم:

وتأمل هذا الحوار الذي صاحب الصراع بين ابني آدم، وهو حوار تعليمي:

﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابٗا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ﴾ (المائدة: ٢٧ - ٣١).

ويروي السدي عن ابن عباس وابن مسعود ﷺ: أنه كان لا يولد لآدم مولود إلا ومعه جارية، فكان يزوج غلام هذا البطن جارية هذا البطن الآخر، ويزوج جارية هذا البطن غلام هذا البطن الآخر، حتى ولد له ابنان يقال لهما: هابيل وقابيل، وكان قابيل صاحب زرع، وكان هابيل صاحب ضرع، وكان قابيل أكبرهما، وكان له أخت أحسن من أخت هابيل، وأن هابيل طلب أن ينكح أخت قابيل فأبي عليه، وقال: هي أختى ولدت معى وهي أحسن من أختك، وأنا أحق أن أتزوج بها، وأنهما قربا قربانا إلى الله عز وجل أيهما أحق بالجارية . . فنزلت النار فأكلت قربان هابيل «علامة القبول» وتركت قربان قابيل «علامة عدم القبول» فغضب وقال: لأقتلنك حتى لا تنكح أختى، فقال هابيل ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾[1].

حوار نوح عليه السلام مع قومه:

جاء نوح يدعو إلى الحق: ﴿ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴾ (نوح: ٣) ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾ (نوح: ١٣)، ﴿ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴾ (نوح: ٢١)، ﴿ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴾ (نوح: ٢٣- ٢٤).

حوار إبراهيم عليه السلام:

حطم لهم الأصنام وقال لهم ﴿ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴾ (الأنبياء: ٦٣).

وتدرج بهم من الشك ليصل بهم إلى اليقين ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْـَٔافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٥٠٦).

بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ (الأنعام: ٧٦ - ٧٩).

وواجه أباه - وهو مشرك - واجهه بالحق الذي يدحض الباطل بأسلوب لين كريم يصل إلى القلب، ويعذر إلى الله ألا يصد عن الحق بما ينفر القلب ﴿ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِيٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴾ (مريم: ٤١- ٤٥).

ويفقد الأب - الضال - الحجة، فيلجأ إلى التهديد بالقوة شأن أصحاب الباطل والضلال في كل زمان ومكان. ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴾ (مريم: ٤٦).

فيرد أبو الدعاة رداً حانياً لكنه لا يتخلى عن الحق:

﴿ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴾ (مريم: ٤٧) نهي الله عنه بعد ذلك ﴿ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴾ (مريم: ٤٨) ويموت أبو إبراهيم على الكفر والضلال، ويبقى إبراهيم عليه السلام رائداً للحق والهدي؛ رغم ما ناله من عنت، وصد، وأذى.

﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (التوبة: ١١٤، ١١٥).

حوار موسى عليه السلام:

موسى عليه السلام الذي يمثل الحق المنزَّل من عند الله يتربى في حجر فرعون، الذي يمثل الباطل في أعتى صوره ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴾ (القصص: ٣٨، ٣٩).

﴿ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ (النازعات: ١٧، ٢٤).

هذا فرعون، قمة الباطل، قمة الضلال، قمة الكفر، يواجه موسى الأعزل المحصن بالحق الذي معه، فماذا يحدث؟

﴿ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُواْ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (الأعراف: ١١٨ ـ ١٢٢).

فيلومهم فرعون لأنهم لم يستأذنوه قبل الإيمان

﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُواْ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ (الأعراف: ١٢٣).

ويمضى في التهديد والوعيد الذي يمارسه كل طاغية متكبر
﴿ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾
(الأعراف: ١٢٤).

فكانت قوتهم وثباتهم واعتزازهم بعقيدتهم:
﴿ قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَـٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾ (الأعراف: ١٢٥، ١٢٦).

وفي مكان آخر إجابة مشابهة لكنها أقوى دلالة على الإيمان الحق الذي ملأ الأرواحَ ومَلَكَ القلوبَ:
﴿ قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَـٰيَـٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ (طه: ٧٢، ٧٣).

ويقدم القرآن العظيم في تاريخ الحوار بعد ذلك ما دار بين السيدة مريم – عليها السلام- وقومها ﴿ يَـٰٓأُخْتَ هَـٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُواْ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَـٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَـٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَـٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾
(مريم: ٢٧ - ٣٣).

حوار عيسى عليه السلام مع الحواريين:

﴿ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (المائدة: ١١٢ - ١١٥).

حوار بين الله عز وجل وعيسى عليه السلام:

﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (المائدة: ١١٦ - ١١٨).

الفصل الثالث

الحوار مع اليهود

اليهود هم أبناء يعقوب ﷺ، وهم المنتسبون إلى دين موسى ﷺ، وقد انطووا على أنفسهم دائماً، وعاشوا بمعزل عن أي مجتمع عاشوا فيه، وجاء الإسلام إليهم فوقفوا منه موقفَ عداءٍ تامٍّ، حيث حاجوا النبي ﷺ كثيراً واعترضوا على كل ناحية دعاهم إليها، وبتتبعنا لبعض آيات الجدل في القرآن الكريم نلمح صفاتهم التي استمرت معهم. وانتقلت من جيل إلى جيل.

صفات اليهود في القرآن الكريم:

١ - العنصرية في الجنس:

يؤمن اليهود أنهم من سلالة جنس فاضل عظيم يفوق بعظمته سائر البشر وأنهم رزقوا عبقرية لا نظير لها. جاء في البروتوكول الخامس: إننا نقرأ في الناموس أن الله قد اختارنا لحكم الأرض، وقد وهبنا الله العبقرية لنقوم بهذا العمل، وإذا ما وجد عبقرى في صفوف الأعداء فقد يكون في وسعه مقاتلتنا، ولكن أني لعبقرية جديدة أن تقف في وجه المخضرمين من أمثالنا. وسوف يتخذ القتال صورة من البأس لم يشهد لها العالم مثيلاً. لقد انقضى الوقت الذي تقوم فيه لغير اليهود عبقرية[1].

ولقد أطلقوا على أنفسهم «شعب الله المختار» وهي في الحقيقة عنصرية زائفة لا تستند على شَيْءٍ من الحقائق لأن الحقائق في وضوحها بينة كما يقول تعالى:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (الحجرات: ١٣).

واليهود كغيرهم من الأمم جاءهم رسول، ونزل عليهم كتاب. ولكنهم مع الأيام اكتسبوا بعض الأوهام وألبسوها ثوب الدين ونسبوها إلى الله وزعموا أنه جاء في سفر

---

(١) بروتوكولات حكماء صهيون (ص: ٤٧ ؛ ٤٨).

يشوع أن يشوع أخذ كل الأرض على حسب وعد الرب لموسى وأعطاها يشوع ميراثاً لبني إسرائيل على حسب أقسامهم وأسباطهم واستراحت الأرض من الحرب[١].

والقرآن الكريم في حواره ورده عليهم يوضح هذه الحقيقة، ويدفعها بموضوعية يقول تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ﴾ (المائدة: ١٨).

يذكر ابن عباس رضي الله عنه أنه أتى النبي ﷺ نعمان بن أضاء وبحري بن عمرو وشأس بن عدي فكلموه وكلمهم رسول الله ﷺ ودعاهم إلى الله وحذرهم نقمته فقالوا: ما تخوفنا يا محمد ونحن والله أبناء الله وأحباؤه[٢]. فنزلت الآية. وادعاؤهم هذا باطل ولذلك أمر الله رسوله ﷺ أن يرد عليهم فقال له:

﴿ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ ﴾ (المائدة: ١٨).

أي إن صح ما زعمتم فلأي شئ يعذبكم في الدنيا بالقتل والأسر والمسخ وقد اعترفتم بأنه تعالى سيعذبكم في الآخرة بالنار أياماً بعدد أيام عبادتكم العجل.

وإن كان الأمر كما زعمتم لما صدر عنكم ما صدر ولما وقع عليكم ما وقع والحقيقة المؤكدة أن اليهود بشر كسائر البشر يغفر الله لهم أو يعذبهم إن شاء.

ومن صور هذه العنصرية ﴿ وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ ﴾ (البقرة: ١١١) وكانت أحلامهم أن لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم وأن يردوهم كفاراً، وأن لا يدخل الجنةَ غيرهُم، وكانت تلك أمانيهم اللهَ لكن على لسانِ الرسول ﷺ يقول لهم: ﴿ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ (البقرة: ١١١) أي هاتوا حجتكم على اختصاصكم بدخول الجنة وكان اليهود

(١) سفر يشوع: انظر الإصحاحات ١٣ - ٢١ وفيها بيان تقسيم الأرض على عشائر بنى إسرائيل.
(٢) رواه الطبري في التفسير [٤/ ٥٠٥] [آية المائدة: ١٨].

يعتقدون أنهم لن يعذبوا في النار إلا أربعين يوما بعدد أيام عبادتهم العجل ﴿ وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ﴾ (البقرة: ٨٠).

وكان الجواب على هذا الافتراء من الله حيث قال لرسوله ﷺ: ﴿ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة: ٨٠).

وبالطبع ليس لهم برهان على ادعاء دخول الجنة وليس معهم عهد من الله بعدم العذاب إلا أياماً ولذلك كان الرد عليهم إفحاماً لهم.

ويبقى الواقع المجرد وهو الاعتماد على الإيمان والعمل ولا شَيْءَ سوى ذلك. وما ادعوه من عنصرية فهو من أكاذيبهم التي درجوا عليها تزكية لأنفسهم وفخراً بجنسهم.

واليهود حديثاً هم اليهود في غرورهم وعنصريتهم وتعاليهم خاصة مع العرب ولأمر ما ذكر الله رأيهم في العرب وبينه من واقع حديثهم حيث إنهم قالوا: ﴿ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ ﴾ (آل عمران: ٧٥) والأميون المذكورون هم العرب يسمون بهذا الاسم في مقابل أهل الكتاب[١]. ويتصور اليهود أن العرب ليس لهم قدرة على المطالبة بحقوقهم لأنهم عبيد لليهود وخدم. هكذا يتصورون العرب الأميين ولا يؤمنون بسواه[٢].

ومع هذا الغرور العنصري أشار القرآن الكريم إلى ملمح خطير قد يكون مفتاح هذا التعالي، وهو إحساس اليهود باحتقار الناس لهم وشكهم في هذا الأمر دائماً، وهذه القضية تأتي في وضعها الطبيعي؛ لأن الشعور بالنقص يدفع صاحبه إلى إبراز ما ليس فيه، وتقمص صور خارجة عنه. يشير إلى ذلك قوله تعالى:

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني (١/ ١٨٩).

(٢) الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها (ص: ٣٩١).

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ (البقرة: ٦٧).

فموسى عليه السلام يبلغهم أمراً من تعاليم الله، لكنهم يردون عليه من خلال عقدة النقص فيهم. ومن إحساسهم بأن الناس يسخرون منهم، فيسألون موسى: أتتخذنا هزواً وسخرية بما تأمرنا به، لكنه عليه السلام يرد عليهم بأن إحساسهم غير صحيح؛ لأن الهزء في تبليغ أمر الله جهل وسفه لا يليق برسول.

إن العنصرية اليهودية ثابتة في نفوسهم ومستكنة في غرائزهم، وقد اشتهروا بها حتى صارت إحدى خصائصهم.

٢- المادية في الاعتقادات:

يميل اليهود دائما إلى التجسيد في عقائدهم. ويربطون إيمانهم بالمادة وَتِلْكَ طبيعتهم. وينظرون إلى الله نظرتهم إلى الملموس، ويصفونه بأوصاف لا تليق إلا بالحوادث، تقول توراتهم: «وسمعا - أي آدم وحواء - صوت الرب الإله ماشياً في الجنة عند هبوب ريح النهار فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الإله في وسط شجر الجنة»[1] هكذا تقول التوراة إن الله يمشي ويظهر بوجهه ويختبئ آدم ومعه حواء من وجه الله ومقابلته.

ونظرة اليهود إلى الرسل هي الأخرى امتداد لماديتهم، حيث يلحقون بهم النقص والسوء.

وقد أنزل اليهود بالرسل صفات النقص والخسة وجردوهم من روحانية الوحى وعصمة الرسالة.

والحوار القرآني يبين طبيعة اليهود المادية. ويعقب على فسادها، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾ (آل عمران: ١٨١).

(١) سفر التكوين. الإصحاح الثالث فقرة ٨.

روي أن النبي ﷺ كتب مع أبي بكر ﷺ إلى يهود بني قينقاع يدعوهم إلى الإسلام وإلى إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، وأن يُقْرضوا الله قرضاً حسنا. فقال فنحاص اليهودى: إن الله فقير حتى سألنا القرض[1]. وذلك أنهم لا يجدون مانعاً من تشبيه الإله بالمجسمات.

وقد رد الله على قولهم وذكر أنه جريمة تضاف إلى جرائمهم الأخرى وسوف يعذبون عليها.

ومن أمثلة هذا الحوار القرآني معهم قول الله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾ (التوبة: ٣٠).

فهم لغلوهم في التشبيه والتجسيد لا يستبعدون أن يكون لله ولد هو عزير، ويرد عليهم هذا الزعم فيقول تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ (التوبة: ٣٠) لأنهم بقولهم كاذبون، ويُشْبِهون الكفرة تماماً.

وكان لتأصل العقيدة المادية في اليهود أن قالوا لموسى الطَّيِّلا حينما رأوا قوماً يعبدون أصناماً. ﴿ ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ﴾. فقد جادلوا موسى في شأن الأصنام وأرادوا العودة إليها. فبين لهم جهلهم وبطلان ما هم عليه، وما خديعتهم السريعة بعجل السامري إلا مِنْ هذا الطريق المادي.

ويبين الحوار القرآني كذلك نظرة اليهود إلى الرسل حيث استهزءوا بموسى وقالوا له ﴿ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً ﴾ (البقرة: ٥٥) وقالوا: ﴿ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴾ (المائدة: ٢٤)، ولما طلب منهم هارون أن يتركوا عبادة العجل ﴿ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴾

---

(١) مفاتيح الغيب للرازي (٣ /١٥٩).

(طه: ٩١). وهكذا قامت مجادلتهم على الاستهزاء والسخرية وعدم المبالاة كشأنهم دائماً مع الرسل.

أسلوب دعوة اليهود في الحوار القرآني:

إن إحاطة الداعية بخصائص اليهود تجعله يوجه الدعوة لهم بما يناسبهم ويسوق لهم أقوالاً تلائمهم، وقد ضرب القرآن الكريم وهو يحكي أسلوب دعوتهم نوعاً من هذه الملاءَمة. فنراه يذكرهم بالنعم التي وضعها الله لهم حيث أعطاهم الكتاب والحكم والنبوة ورزقهم طيبات كثيرة وجعلهم أفضل الخلق في عصرهم يقول تعالى حاكياً أسلوب دعوة اليهود[1].

﴿ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّـٰىَ فَٱرْهَبُونِ ۝ وَءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓا۟ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ ۖ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّـٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴾ (البقرة: ٤٠، ٤١).

وهذه الآيات تخاطب اليهود بـ يا بني إسرائيل أحب الأسماء إليهم، وتبين لهم نعم الله عليهم، وتطالبهم بأن يُوفُوا عهودَهم، ويؤمنوا بالقرآن المصدِّق للتوراة وأن يتركوا المادية ويخافوا الله وحده.

ومن المعلوم أن كون القرآن مصدقاً للتوراة يرفع الإحساس بالنقص من فكر اليهودى الذي يسمع القرآن وهو يمدح التوراة، ويبين أنها تحوى هدي ونوراً.

ومن مراعاة القرآن لخصائص اليهود نجده يقدر علماءهم الذين هم قادة القوم وسادتهم. يقول تعالى: ﴿ فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾ (يونس: ٩٤).

---

(١) الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها (ص: ٢٩٧).

والخطاب في الآية وإن كان موجهاً للنبى ﷺ فهو في الحقيقة موجه لعلماء اليهود كعادة الأسلوب القرآني في كثير من مواضعه، وبذلك يخاطب الله المؤمنين، ويطالبهم أن يقدروا علماء اليهود، ويسألوهم عن حقيقة القرآن المنزَّل على النبي ﷺ.

ومن هذه المراعاة تنويه القرآن بموسى ﷺ وببني إسرائيل جميعاً وبتوراتهم؛ فيقول: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ ۝ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (غافر: ٥٣- ٥٤).

ومع كل هذه المراعاة لغرور اليهود وعنصريتهم يحاول القرآن أن يصحح أخطاءهم، ويصحح عقائدهم على صورة التساؤل فيقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾ (آل عمران: ٧٠). ثم يأخذهم إلى الحق من منطق التساؤل فيقول لهم: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران: ٦٤). يقول الرازي: إن هذه الآية تتضمن منهاجاً يشد كل عقل سليم، وطبع مستقيم؛ إنه كلام مبني على الإنصاف وترك الجدال[١].

ويتمشى القرآن مع فكر اليهود، ويسلم لهم بظنهم في أنفسهم؛ تمهيداً لأخذهم إلى الإيمان؛ يقول تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ (الجمعة: ٦). ذلك أن قضية المودة مع الله وأنهم أبناؤه وهو وليهم وحدهم تقتضي حب الإسراع إليه. والموت من أجل لقائه؛ فطالبهم القرآن أن يتمنوا الموت دليلا على صدق زعمهم.

---

(١) مفاتيح الغيب (٢/ ٧٠٤).

لكنهم لا يحبون لقاء الله، ويكرهون الموت، يقول تعالى ﴿ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ (الجمعة: ٧).

والقرآن الكريم مَلِيءٌ بأمثلة أخرى كثيرة تبين أسلوب الحوار مع اليهود ودعوتهم إلى الإسلام.

الفصل الرابــع

الحوار مع الملحدين

لم تكن فكرة الإلحاد في وقت من الأوقات منتشرة انتشار فكرة الشرك، لأن الشرك إقرار بوجود الخالق وعدم توحيده بالعبادة، أما الإلحاد فإنه إنكار مطلق للألوهية، ونفي لوجود الله تعالى، إنه طمس لمعالم الفطرة، والمجتمع الذي جاء القرآن الكريم لإصلاحه يقر غالبه بوجود الخالق، وقد قال تعالى:

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ (لقمان: ٢٥).

لكنهم اتخذوا آلهة أخرى لأغراض في نفوسهم منها الرغبة في التقرب إلى الإله فقالوا:

﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ (الزمر: ٣).

ووجود الله تبارك وتعالى حقيقة لا تقبل النقاش والجدال؛ لأنها ضرورة تسري في الأحاسيس والمشاعر، وتتغلغل في أعماق النفس الإنسانية.

وإذا كان الماديون والطبيعيون يتظاهرون بإنكار وجود الله فإن هذا الوجود الإلهي يفرض نفسه على أحاسيسهم ومشاعرهم ويقولون به من حيث لا يشعرون. (إنهم يقرّون بضرورة وجود قوة تسّير هذه القوى الكونية، وسواء أضافوا هذه القوة إلى قانون السببية للكون أم قانون التفاعل المادي لتلك القوى كما يرددون، فإن هذا إحساس بوجود خالق مدبر لهذا العالم ولكنهم يكابرون فطرتهم وأحاسيسهم؛ فيلجأون إلى القول بأن وجود العالم كان مصادفة واتفاقاً، وزعموا أن العالم لم يزل موجوداً كذلك بنفسه بلا صانع)[1].

وإذا نظرنا إلى النصوص القرآنية لم نجد هدفها يوماً من الأيام إثبات وجود الله تعالى؛ لأن الإيمان بوجود الله ضرورة حتمية وبدهية لا تقبل الفطرة الإنسانية الأخذ والرد فيها وإن انحرفت بعض الفطر الإنسانية ومالت إلى الجحود فهذا لا يعني عدم

---

(١) المنقذ من الضلال للغزالي (ص: ٧٦) باختصار.

الإحساس بوجود الله ولكنها أصيبت بنكسات أودت بها في المتاهات المظلمة، ولم تستخدم ما وهبها الله من تفكير للنظر في الكائنات والتبصر في الموجودات؛ لتستدل به على خالق هذا الكون ومدبره[(١)].

ولذلك كانت طريقة حوار القرآن مع الملحدين لها طابع يختلف عن طريقة الحوار مع المشركين؛ فالقضية هنا أخطر من حيث نوعيتها؛ رغم أن الملحدين أقل عدداً من المشركين، ولكن إلغاء فكرة الألوهية يحتاج في أسلوب حوارهم إلى مناقشة العقل وإثارة الحواس لتصحيح الفكرة.

فالتصور المنحرف الذي يتقبل العقائد الخاطئة لابد من تصحيحه، وقد رسم القرآن منهجاً للحوار بعد عرض قولهم وادعائهم في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئْتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (الجاثية: ٢٤ ـ ٢٨).

ويلخص الإمام الشهرستاني ادعاءهم في قولهم: (نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر) إشارة إلى الطبائع المحسة في العالم السفلي وقصراً للحياة والموت على تركبها وتحللها والجامع هو الطبع، والمهلك هو الدهر)[(٢)].

مثل هذه الدعوى رد عليها القرآن الكريم، ورد تلك المقدمات التي أوردوها دليلاً لدعواهم، وقد رفض مقدماتهم بأمرين:

---

(١) مناهج الجدل (ص: ١٢٦).

(٢) الملل والنحل (٢/٢٣٥) بتصرف.

١- بنفي العلم عنهم ﴿ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ﴾ (الجاثية: ٢٤)

٢- إثبات الظن والتخرص في دعواهم ﴿ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴾ (الجاثية: ٣٢).

وبنفي المقدمات بطلت النتائج، وهكذا نرى أن القرآن قد استخدم في حواره مع الملاحدة العديد من الأدلة العلمية التي يتصل بعضها بالعقل، ويتصل بعضها بالكون.

١- الأدلة العقلية:

ونستعرضها من خلال قاعدتين:

القاعدة الأولى: العدم لا يخلق شيئاً:

فالعدم الذي لا وجود له لا يستطيع أن يصنع شيئاً لأنه غير موجود، فإذا تأملنا في المخلوقات التي تولد في كل يوم من إنسان وحيوان ونبات وتفكيرنا في كل ما يحدث في الوجود من رياح وأمطار وتعاقب الليل والنهار في تحرك منتظم فإن العقل يجزم بأن هذا ليس من صنع العدم، فقوانين المادة تنص على أنه لابد لكل موجود من مُوجِد.

وهذا ما لفت القرآن الكريم انتباه المحاور إليه ليخاطبهم بهذه القاعدة فقال تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ۝٣٥ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴾ (الطور: ٣٥ - ٣٦).

القاعدة الثانية: التفكير في المصنوع يدل على بعض صفات الصانع:

فإن كل شيء يوجد في المصنوع يدل على قدرة أو صفة عند الصانع فلا يمكن أن يوجد شئ إذا كان الصانع لا يملك قدرة أو صفة مكنته من فعل ذلك الشيء. قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٣ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٤ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ

يَعۡقِلُونَ ۝ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۖ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤۡمِنُونَ ﴾ (الجاثية : ٣ - ٦).

﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ (يونس : ١٠١).

﴿ أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ وَأَنۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقۡتَرَبَ أَجَلُهُمۡۖ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَهُۥ يُؤۡمِنُونَ ﴾ (الأعراف : ١٨٥).

فالقرآن يريد أن يدفع الإنسان إلى التفكير في الكون كله بما فيه من ظواهر ومخلوقات من أجل البحث عن أسراره وعن القوانين الطبيعية المودعة فيه التي تحكمه وتوجهه في حركته، فأراد من الإنسان أن يرجع إلى صفاء فطرته[1].

كما تلاحظ أن القرآن الكريم لا يقتصر على دعوة الإنسان للتفكير في ذلك كله بل يحاول أن يطرح أمامه الخطوات الأولى في هذا السبيل ليدله على بدايات الطريق. وهو يكثر من ذكر الآيات الكونية لكنه ساقها في أساليب مختلفة يجمع مرة الآيات السماوية إلى الآيات الأرضية في إطار واحد، وأخرى يذكر الآيات الأرضية منفردة، للتنبيه على عموم الاستدلال بها لقربها من مشاهد الحس الممد للعقل بالعلم عن طريق الحواس.

فالحواس هي النوافذ المادية التي يستطيع العقل أن يدرك بواسطتها - في أول خطوة نحو الحقائق الكونية - والروابط العنصرية والوشائج الطبيعية بين ذرات الموجودات على تنوع أشكالها واختلاف أنواعها فيحكم ويستنبط[2].

٢- الأدلة الكونية:

إن الحياة تتحرك أمام نظر الملحد بجمالها الرائع لتخاطب وجدانه وعقله وفكره وفي نفسه السؤال مَنْ خلق هذا وَمَنْ أوجده؟ يقول تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ

---

(١) الإيمان للزنداني (ص: ٢٩- ٣٢). بتصرف.

(٢) القرآن العظيم هدايته وإعجازه في أقوال المفسرين (ص: ٢٧٨).

ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (البقرة: ١٦٤).

ويقول تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأنعام: ٩٥ - ٩٩).

ويقول تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (الرعد: ٢ - ٤).

ونحن لا نقصد من خلال عرض هذه الآيات أن يستشهد بها المحاور عند حواره مع الملحد؛ لأن الملحد منكر لوجود الله، وإنما فيها دلالات تعلم المحاور كيف يخاطب عقل الملحد بحشد الآيات الكونية، وقد يثير ذلك اهتمامه فيصغي لها سمعه ويفتح لها قلبه فتخرجه من الظلمات إلى النور.

ونلاحظ أن القرآن لا يتحدث عن مظاهر الكون بالطريقة الفلسفية الجامدة ولا بالطريقة الخيالية إنما بالواقع المُحَسّ الذي لا يستطيع أن يخرج عن نطاق حواس أي إنسان[1] وذلك بالطريقة العقلية.

ويكون ذلك بطرح الفكرة المعتادة إلى جانب فكرة الإيمان بالله ثم طرح الفروض المحتملة؛ فتبدأ بعملية النفي والإثبات لتكون النتيجة في مصلحة الفرض الذي يثبت أمام النقد كما ورد في قوله تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴾ (الطور: ٣٥).

فهناك فروض ثلاثة:

١- أن لا يكون هناك خالق.

٢- أن يكون الخالق هو المخلوق نفسه.

٣- أن يكون الله هو الخالق[2].

وقد طرحت الآيات الفرضين الأولين بأسلوب إنكارى؛ لضعفهما وبطلانهما، وذلك بأن العقل والعلم والحس يرفض وجوداً من غير موجود، وأن الفرض الثاني مستحيل أيضاً؛ لأن خلق الإنسان نفسه يفرض كونه سابقاً لنفسه في الوجود فيلزم أن يكون الشيء موجوداً في حالة عدمه، وهذا تناقض ومستحيل، فلم يبق إلا الفرض الثالث وهو أن الله هو الخالق وهو الصحيح، ويثبت ذلك في قوله تعالى:

---

(١) القرآن والملحدون (ص: ٢١١).

(٢) الحوار في القرآن (ص: ٩٠).

﴿ نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ۝٥٧ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ۝٥٨ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۝٥٩ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ۝٦٠ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٦١ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ۝٦٢ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ۝٦٣ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ۝٦٤ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ۝٦٥ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ۝٦٦ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ۝٦٧ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ۝٦٨ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ۝٦٩ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ۝٧٠ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ۝٧١ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ۝٧٢ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ۝٧٣ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴾ (الواقعة: ٥٧ ـ ٧٤).

وقد استوعب هذا المنهج أئمة الإسلام، فها هو الإمام أبو حنيفة النعمان يحاور طائفة من الملحدين فيجيبهم بنفس هذا الطريق وبتلك الحجة.

فقد اجتمع طائفة من الملاحدة بأبي حنيفة، فقالوا: ما الدليل على وجود الصَّانع؟

فقال: دعوني فخاطري مشغولٌ بأمرٍ غريبٍ.

قالوا: ما هو؟

قال: بلغني أنَّ في دجلة سفينةً مملوءةً من أصناف الأمتعة العجيبة، وهي ذاهبةٌ وراجعةٌ من غير أحد يُحركها، ولا يقوم عليها!.

فقالوا له: أمجنون أنت؟!.

قال: وما ذاك؟!

قالوا: إن هذا لا يصدقه عاقل.

قال لهم: فكيف صدَّقت عقولكم أنَّ هذا العالم بما فيه من الأنواع والأصناف والحوادث العجيبة، وهذا الفلك الدَّوَّار السَّيَّار يجري، وتحدث هذه الحوادث من غير محدث وتتحرك هذا المتحركات بغير متحرك، فرجعوا على أنفسهم بالملام[1].

(١) العقل والنقل لابن تيمية (١٢٧/٣).

الفصل الخامس

الحوار مع منكري البعث

تعتبر قضية إنكار البعث من أهم القضايا الأساسية التي واجهها الإسلام إذ أن الناس تعودوا أن يقصروا علومهم على الحس الملموس، وهذه نظرة قاصرة محدودة، فاستبعدوا أن يتحول الجماد إلى حياة، وأن تعاد حياة الإنسان بعد الوفاة.

ومن ناحية ثانية فهم لا يريدون البعث؛ لأنهم يرفضون قضية الحساب والجزاء ﴿ بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ﴾ (القيامة: ٥).

والبشرية بما هو مرتكز في فطرتها من حب اللقاء تقاوم فكرة العدم المحض لأنها تحس بالحسرة عندما تختنق فيها بواعث الأمل باستمرار هذه الحياة، وقضية إنكار البعث والجزاء ممتدة في الأمم الماضية عبر القرون والعصور، وقد ذكر الله تعالى أقوال الأمم المكذبة؛ فقال تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ (المؤمنون: ٨٢ - ٨٣)، وقال تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ۚ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ (ق: ١٢- ١٥).

شبهات منكري البعث:

١- استبعاد إعادة الأجساد بعد تحللها، وتفتت العظام.

٢- أن الإنسان إذا مات وفارقته الروح لا تعود إليه مرة أخرى.

٣- أن السباع لو أكلت إنساناً وصارت أجزاء المأكول في أجزاء الآكل فكيف يمكن التفريق بينها.

والقرآن الكريم يرد على جميع المنكرين للبعث مهما اختلفت بيئاتهم وتنوعت أساليبهم بمنطق الحجة والبرهان، ويقيم البراهين الحسية والعقلية على المعاد، ولقد نهج القرآن في استدلاله على إمكان البعث وتحقق وقوعه منهجاً قويماً يجمع بين ما فُطِرت عليه النفوس من الإيمان بالمُحَس وبين ما تقرره العقول السليمة ولا يتنافى مع الفطر المستقيمة.

الطرق التي استخدمها القرآن في الاستدلال على البعث:

١ - طريقة ذكر قصص السابقين:

وهم الذين رد الله عليهم أرواحهم بعد موتهم، وقد رأى ذلك من كان في زمانهم.

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ۝ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (البقرة: ٥٥ - ٥٦)،

وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَٰٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ۝ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (البقرة: ٧٢ - ٧٣).

وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ (البقرة: ٢٤٣).

وقال تعالى: ﴿ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِا۟ئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِا۟ئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى

ﭐلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًاۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (البقرة: ٢٥٩).

فالقرآن الكريم اتبع عدة وسائل لتصحيح هذه الفكرة وناقشها معهم.

٢- الطريقة العقلية:

وهي قياس الإعادة على البدء، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (الروم: ٢٧).

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ (يس: ٧٨ - ٨٢).

فإن القدرة على الانتقال من العدم إلى الوجود في البداية تستلزم القدرة على تلك في النهاية. لأن أساس الإمكان والاستحالة فيهما واحد لا يختلف ولا يتعدد.

٣- الطريقة الحسية:

وذلك بتقريب ما يستبعدونه إلى ما يقع تحت محسوساتهم ويتكرر مشهده عليهم دائماً قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا

يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ۝ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ۝ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ ﴾ (الحج: ٥ - ٧).

وفي هذه الآية دليلان على إمكان البعث؛ دليل في الأنفس ودليل في الآفاق، إنه نظام الحياة الذي لا يتغير، إيجاد من العدم، ثم مصير إلى العدم، ثم حياة، وهذا حال الإنسان والنبات الذي يرونه في واقعهم: ﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا ۝ ۞ قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا ۝ أَوۡ خَلۡقٗا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِي صُدُورِكُمۡۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَاۖ قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖۚ فَسَيُنۡغِضُونَ إِلَيۡكَ رُءُوسَهُمۡ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَۖ قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبٗا ﴾ (الإسراء: ٤٩ ـ ٥١).

وهي أنكم مهما تفرقتم وعلى أية حالة كنتم فالله قادر على بعثكم وإعادتكم، قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ (الروم: ٢٧).

بهذا المنطق الواضح والبرهان القاطع يرد القرآن الكريم على منكر البعث مما يراه، وبما يقع تحت إدراكه من الأمور.

❁ ❁ ❁

الفصل السادس

الحوار مع المشركين

ها هو القرآن العظيم يعلمنا كيف تكون دعوة المشركين إلى ساحة الإيمان فها هو الله عز وجل يضرب لنا الأمثال؛ فيخاطب العقول والقلوب بأكثر من طريق:

فأما الأول، ففي قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ (الرعد: ١٦، ١٧).

وفيه يُشبه رب العالمين الحق بالماء؛ بما يحمل من خير وحياة، كما يشبهه بالمعدن النفيس أو المعدن المفيد، ويشبه الباطل بالزبد يطفو على الماء بما يحمل من غثاء، أو بالخبث يطفو حين يدخل المعدن النفيس النار، كذلك يضرب الله الحق والباطل، فماذا تكون النتيجة؟

فأما الزبد فيذهب جفاء لا قيمة له؛ كما يذهب الباطل، وأما ما ينفع الناس وهو الماء والمعدن النفيس فيمكث في الأرض كما يمكث الحق على الأرض، كذلك يضرب الله الأمثال.

وأما المثل الثاني ففي قوله تعالى: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾ (الأنبياء: ١٨).

فقد صور الحق بقذيفة، يطلقها الله تعالى ليصيب بها الباطل في دماغه فتزهقه وتهلكه!
وإذا كان هذا هو الصراع بين الحق والباطل . . .
فإن السؤال الذي يطرح نفسه، لمَّ يّعرضون عن الحق، ويلجأون إلى الصراع؟[١].
﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ (النمل: ١٤).
﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ (الأنعام: ٣٢).
﴿ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة: ١٤٦).

وهنا يرد التساؤل: إذا كانوا يعلمون الحق فلم يكتمون، فلم يجحدون؟! ونستطيع أن نتبين شيئاً من أسباب إعراض كفار مكة عن رسول الله ﷺ وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ (الزخرف: ٣١) أي مكة والطائف، عندئذ فإنهم يريدون رجلاً ذا مواصفات دنيوية معينة.
ويرد القرآن الكريم عليهم ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ﴾ (الزخرف: ٣٢) وتلمح شيئاً من عنادهم وتطاولهم على الله، ورغبتهم في الهلاك بشرط ألا يكون محمد ﷺ رسولاً، وذلك في سورة الأنفال ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُواْ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ۙ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝ وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (الأنفال: ٣١ - ٣٢).

ويريدون بعد هذا رسولاً خاصاً بمواصفات الملك والعظمة الدنيوية، لكن الله تعالى له إرادة أخرى، تأمل مَعْنَى هذه الآيات الكريمة في سورة الفرقان﴿ وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ

---

(١) أدب الحوار والمناظرة (ص: ٤٠).

مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّـٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَـٰلَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًۢا ﴿١٠﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴾ (الفرقان: ٧ - ١١).

ثم انظر إلى كفار مكة وهم يطلبون مطالب خاصة تدخل في أحلام الصحراء كي يؤمنوا، وتحكي سورة الإسراء هذا الحوار القرآني الفريد ﴿ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَـٰرَ خِلَـٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَـٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَـٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴾ (الإسراء: ٩٠ - ٩٦).

ويحاول الكفار احتواء الدعوة الإسلامية، والتأثير عليها من خلال ترغيب النبي ﷺ أو تهديده على النحو الذي أوردته كتب السيرة النبوية التي روت أن عتبة بن ربيعة ـ وكان سيداً في قومه ـ قال يوماً وهو جالس في نادي قريش، ورسول الله ﷺ جالس في المسجد وحده: يا معشر قريش، ألا أقوم إلى محمد، فأكلمه وأعرض عليه أموراً لعله أن يقبل بعضها؛ فنعطيه أيها شاء، ويكف عنا؟ ـ وذلك حين أسلم حمزة ﷺ ورأوا أصحاب رسول الله ﷺ يكثرون ويزيدون، فقالوا: يا أبا الوليد قم فكلمه. فقام إليه عتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ فقال يا ابن أخي: إنك منا حيث علمت من

البسطة في العشيرة والمكان في النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم، فرقت به جماعتهم، وسفهت أحلامهم، وعبت به آلهتهم ودينهم، وكفرت به مَنْ مضى من آبائهم، فاسمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها، لعلك تقبل منها بعضها.

قال فقال له رسول الله ﷺ: قل يا أبا الوليد أسمع. قال: يا ابن أخي، إن كنت تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تريد به شرفاً سودناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رئياً تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الأطباء، وبذلنا فيها أموالنا حتى نبرئك منه، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يُدَاوى منه. حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله ﷺ يستمع منه قال: أفرغت يا أبا الوليد؟ قال: نعم.قال: فاسمع مني. قال: افعل.

قال: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوۡمٍ يَعۡلَمُونَ ۝٣ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ﴾ (فصلت: ١- ٤) ثم مضى رسول الله ﷺ فيها وهو يقرؤها عليه، فلما سمع عتبة أنصت لها، وألقى يديه خلف ظهره، معتمداً عليهما، يستمع منه، حتى انتهي رسول الله ﷺ إلى السجدة منها فسجد ثم قال: قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك!

فقام عتبة إلى أصحابه فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به! فلما جلس إليهم قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد قال: ورائي أني سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالسحر، ولا بالشعر ولا بالكهانة، يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها لي، خلوا بين الرجل وما هو فيه،

فاعتزلوه، فوالله ليكونن لقوله الذي قال به نبأ، فإن تصبه العرب كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم، وعزه عزكم وكنتم أسعد الناس به.

قالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه. قال: هذا رأيي فاصنعوا ما بدا لكم(١).

هذا نموذج من الحوار يوضح لك سبب تعنتهم وغطرستهم مع رسول الله ﷺ.

قال ابن إسحاق: حدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري أنه حدث، أن أبا سفيان بن حرب، وأبا جهل بن هشام، والأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي، حليف بني زهرة، خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله ﷺ وهو يصلى من الليل في بيته، فأخذ كل رجل منهم مجلسا يستمع فيه، وكل لا يعلم بمكان صاحبه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا، فجمعهم الطريق فتلاوموا، وقال بعضهم لبعض لا تعودوا فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئاً ثم انصرفوا.

حتى إذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم إلى مجلسه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا، فجمعهم الطريق، فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرة ثم انصرفوا، حتى إذا كانت الليلة الثالثة أخذ كل منهم مجلسه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق، فقال بعضهم لبعض لا نبرح حتى نتعاهد ألا نعود، فتعاهدوا على ذلك.. ثم تفرقوا فلما أصبحوا.. خرج

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة وعبد بن حميد والحاكم وصححه ابن مردويه وأبو نعيم والبيهقي في الدلائل وابن عساكر عن جابر- الدر المنثور للسيوطي [٥/٦٧٢]، ورواه أبو يعلي في مسنده [١٨١٨]، والبيهقي في الدلائل [١/٢٣٠-٢٣١]، وأبو نعيم في دلائل النبوة [١٨٢].ومصنف ابن أبي شيبة [١٤/٢٩٥-٢٩٦]، وعبد بن حميد في المنتخب [١١٢٣]، والحاكم في المستدرك [٢/٢٥٣]، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وانظر المطالب العالية [٤٢٨٥] وقال الهيثمي: رواه أبو يعلي وفيه الأجلح الكندي وثقه ابن معين وغيره، وضعفه النسائي وغيره وبقية رجاله ثقات- مجمع الزوائد [٦/١٩-٢٠]، وحسنه إبراهيم العلي في صحيح السيرة النبوية.

الأخنس بن شريق حتى أتى أبا سفيان بن حرب في بيته فقال أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد؟ قال: يا أبا ثعلبة، والله لقد سمعت أشياء أعرفها، وأعرف ما يراد بها، وسمعت أشياء ما عرفت معناها ولا ما يراد بها، قال الأخنس وأنا والذي حلفت به ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل فدخل عليه في بيته، فقال يا أبا الحكم ما رأيك فيما سمعت من محمد؟ قال: ماذا سمعت؟! قال: تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف، أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تجاثينا على الركب وكنا كفرسي رِهان، قالوا منا نبي يأتيه الوحي من السماء، فمتى ندرك هذه؟ والله لا نؤمن به أبداً ولا نصدقه! فقام عنه الأخنس وتركه[1].

---

(١) سيرة ابن هشام (ص: ٦٣)، وهذا مرسل، ابن شهاب من صغار التابعين ولم يلق أبا سفيان.

الفصل السابع

الحــوار مع المنافقين

إن أخطر نوع من الناس الذين واجههم الإسلام هم ذلك النوع الذي لم يظهر في بداية الدعوة إذ لم تكن ثمة حاجة إلى ظهوره منذ البداية، حيث الكفر يمارس نشاطه من مركز قوة لا يخشى شيئاً. لذلك نجد الكافرين يصرحون بكفرهم ويحاربون رسول الله ﷺ وصحابته بكل أنواع الأسلحة المادية والمعنوية دون وجل حتى إذا انتقل رسول الله ﷺ إلى المدينة وقويت شوكة الإسلام وتبدلت الصورة؛ بدأ الكفار بالحرب الخفية، وهي النفاق بإظهار الإيمان وإبطان الكفر.

والنفاق من الناحية النفسية يعتبر نتيجةً لضعف النفس وعدم قدرتها على التصريح بمعتقداتها، فالنفوس إذا كانت قوية تصرح بمعتقداتها مهما ترتب على ذلك من نتائج؛ لأن النفاق يورثها عذاباً في النفس ووخزاً في الضمير يهون احتمال عذاب البدن دون احتماله، أما النفوس الضعيفة فإنها عندما تواجه معتقداً قوياً يخالف معتقداتها، وهو يملك الهيمنة عليها لا تصرح بمعتقداتها بل تضعف أمام تلك القوة المهيمنة عليها، وتحاول أن تسلك طريقاً يؤمن لها سبيل الحياة في ظلل تلك القوة المهيمنة عليها، وإن كان ذلك يؤدي إلى تغطية معتقداتها.

وكلما زادت قوة الدولة المهيمنة عليها وتكررت انتصاراتها زاد ضعف تلك النفوس الضعيفة واشتد هلعها، وقد يوجد النفاق ممن يملك قوة وهيمنة على المسلمين؛ فيظهر لهم الإسلام نفاقاً ليحتفظ بمركزه بينهم. ومع ذلك فإن هذا لا يخرج النفاق عن كونه ضعفاً في النفس لأن صاحب النفس القوية لا يرضى لنفسه أن يقيم حكمه على مداهنة من يختلفون معه في العقيدة[1].

وللمنافقين أهداف تحملوا من أجلها هذه المخاطر وأخفوا معتقدهم الحقيقي، ومن أهم هذه الأهداف:

---

(١) المنافقون في القرآن الكريم (ص: ١٩).

١- الحصول على المصالح المادية: وذلك أن المسلم في دولة الإسلام له الحرية التامة في التصرف في أمواله في حدود تعاليم الشريعة، كما أن له حقوقا مشروعة في بيت مال المسلمين تضمن له عيشاً كريماً. وإذا كان من أهل الكفاءة فإنه يستطيع أن يصل إلى عمل في الدولة يتقاضى به أجراً من بيت المال وإذا اشترك في الجهاد كان له حظ من الغنائم، فالمنافقون يطمعون في هذه المصالح التي تفوتهم إذا أظهروا كفرهم.

٢- الحصول على الجاه والشرف: وذلك أن المسلم في دار الإسلام إذا كان متميزاً فإنه يتبوأ المنزلة العالية لدى ولاة الأمر، وهذا الأمر مرغوب فيه، وتشتهيه بعض النفوس الضعيفة، كما تشتهي المال وأكثر، فإذا ما أظهر المنافقون التقوى والورع حصلوا على ما يريدون من هذا الأمر.

٣- اتخاذ النفاق وسيلة للوصول إلى مراكز الحكم والقيادة: إما تلبية لنداء شهوة الرئاسة التي تسيطر علي بعض الناس، وإما للتوصل بذلك إلى تنفيذ مخططاتهم الخبيثة وأهدافهم الدنيئة إذا كانوا من أصحاب المبادئ الهدامة، وبغير النفاق لا يستطيعون الوصول إلى ذلك ماداموا في دار الإسلام؛ لأن المسلمين مهما كانت درجة إيمانهم سيكتشفون أمرهم ويحاربونهم.

٤- وقاية لأنفسهم وأموالهم: وذلك لأن الإسلام يعصم الدماء والأموال، والمنافقون من الكفار إذا أظهروا كفرهم عاملهم المؤمنون معاملة الكفار والمرتدين.

٥- اتخاذ النفاق وسيلة لحرب الإسلام والمسلمين: وذلك بنشر الرذائل في المجتمع الإسلامي، ومحاولة تثبيط المؤمنين عن التمسك بدينهم والجهاد في سبيله وتشكيك ضعفاء الإيمان منهم بمعتقداتهم، والتجسس على دولة الإسلام لصالح أعدائها، وهم بهذا يجمعون بين محاربة المؤمنين وكسب رضا أعدائهم، والتقرب إليهم.

إن الخطاب مع المنافقين له شكل خاص يميزه، وهو المبدأ الذي طلب الحق تبارك وتعالى من رسوله الكريم ﷺ أن يتعامل معهم على أساسه؛ حيث قال: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ (التحريم: ٩).

وهو تعامل تبدو عليه سمات الشدة والقسوة مصحوباً بالتهديد والوعيد[١].

والمنافق كما قال عنه الحسن ﷺ: (المنافق يعبد هواه لا يهوى شيئاً إلا ركبه). وقال أيضا: (من النفاق اختلاف اللسان والقلب واختلاف السر والعلانية واختلاف الدخول والخروج)[٢].

ولذلك نجد أن القرآن قد أكد على جهادهم ونبذهم من المجتمع شأنهم شأن الكافرين لأن خطرهم عظيم، وهم يخافون الجهاد والقتال، ولا يشاركون فيه.

يقول تعالى: ﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ قَاتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُواْ ۖ قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَاكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴾ (آل عمران: ١٦٧).

ويبين الله تعالى فرحهم بمكاسبهم الدنيوية ونظرتهم القاصرة: ﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ﴾ (التوبة: ٨١).

ونلاحظ الغلظة في الرد عليهم، وبيان عدم فقههم ومعرفتهم: ﴿ وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُواْ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ (التوبة: ٨٦، ٨٧). وقد تبدو من بعضهم رغبة في الخروج مع المجاهدين للحصول على المغانم، ولكن يأتي العقاب من الله تعالى بالحرمان الكلي من الذهاب لأن خروجهم فيه ضرر على صفوف المسلمين من ناحية، ولأن المسلم صاحب

(١) مناهج الجدل في القرآن الكريم (ص: ٤١٩).

(٢) صفة النفاق وذم المنافقين (ص: ٨٩ – ٩٠).

عقيدة صحيحة ومبدأ ثابت من ناحية أخرى، أما الذبذبة فهي من صفات المنافقين الذين يرفضون الخروج ثم يرغبون فيه أو يغيرون آراءهم حسب مصالحهم الدنيوية[1].

﴿ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُواْ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَـٰتِلُواْ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْخَـٰلِفِينَ ﴾ (التوبة: ٨٣). وهم ينتحلون الأعذار، ويظهرون الرغبة في التوبة ﴿ سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ ﴾ ولكن الله تعالى فضحهم ﴿ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ ﴾ ويواجههم بالحقيقة التي يتجاهلونها ﴿ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا ۚ ﴾ ويقرر الحقيقة العظمى التي تضاد النفاق المبني على الخفاء فيقول: ﴿ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا ﴾ (الفتح: ١١).

أسلوب الحوار مع المنافقين:

والقرآن الكريم في حواره مع المنافقين اتبع عدة أساليب منها:

أولا: أسلوب التوبيخ والتخويف:

فهذه الآيات تصرح بتوبيخهم ﴿ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴾ (الفتح: ١٢).

ينتقل الخطاب إلى زيادة في التوبيخ باستخدام التخويف من الله تعالى والتذكير بأن من يفعل ذلك ثمَّ فهو من الكافرين ومصيره النار باستخدام أحد أسمائها ﴿ وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴾ (الفتح: ١٣).

(١) الحوار في القرآن (ص: ١٠١).

ثانيا: الأسلوب العقلي:

ثم يأتي دور العقل فلو كانت عندهم عقول يفكرون بها ما وصلوا إلى هذه الحالة. فيقول تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (الفتح: ١٤). فمن كان يحكمه ملك الملوك كيف تسول له نفسه معصيته؟ ويبين الله تعالى أنهم بجهلهم يظنون أن في قدرتهم معاندة الله والخروج عن أمره وتحدي إرادته ولكن السبب دائما أنهم لا يفقهون كما وصفهم الله بذلك بقوله تعالى: ﴿ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (الفتح: ١٥).

ثالثا: أسلوب فضح الصفات:

والآيات تفضح صفات المنافقين، ولكنها فضيحة مقرونة بالتذكير وليست مجردة، فمن صفاتهم:

١ - الشك في وعد الله، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَأَتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَٰرَ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ (الأحزاب: ١٢ - ١٧).

٢- والبخل على الإسلام والمسلمين: ﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ ۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ (المنافقون: ٧).

وهكذا نلاحظ دائماً أن المنافقين ينسون حقيقة هامة، وهي أن الأمر كله لله وأن مقاليد السماوات والأرض بيده سبحانه، وأنه المعطي المانع المحيي المميت المعز المذل، ولذلك نجد الآيات تتجه إلى تذكيرهم بهذه الحقائق، ﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَـٰكِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (المنافقون: ٨).

٣- المعصية والإعراض عن حكم الله إلا إذا كان في مصلحتهم: ﴿ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴾ (النور: ٤٧ ـ ٤٩).

ثم يقرر الله تعالى بعد إخراجهم من الإيمان أن مشكلتهم الحقيقية أن قلوبهم مريضة فيقول: ﴿ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾ (النور: ٥٠).

٤- الخوف من الموت والحرص على المصالح الدنيوية: قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَـٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ (النساء: ٧٧).

وتأتي الحقيقة التي يفر منها المنافقون ليقررها رب العزة والجلال ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾ (النساء: ٧٨).

رابعا: استخدام الأسلوب الواضح في بيان مصيرهم:

هذا هو أسلوب القرآن في بيان مصير المنافقين، وحقيقة حالهم في الآخرة، عسى أن يوقظ هذا الأسلوب تلك المشاعر، وعسى أن تجد هذه الكلمات صدى في نفوسهم.

فإن كانت المصالح الدنيوية قد طغت على عقولهم فأعمت أبصارهم فأين هم يوم القيامة مما كانوا يتظاهرون به؟.

﴿ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَـٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَـٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ ۖ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾. (الحديد: ١٣ - ١٥).

وهكذا نرى منهج القرآن في الحوار مع المنافقين هو المواجهة والتصريح بالعقاب والتخويف والتذكير بآيات الله وقدرة الله وعظمته، وفضح صفاتهم ومواجهتهم بها والتذكير باليوم الآخر وما سيؤولون إليه.

❖ ❖ ❖

الفصل الثامن

حوار المؤمنين في القرآن الكريم

خاطب الله تعالى جميع الفئات وأصلح جميع النفسيات ودعا الكل بأساليب مختلفة كُلٌّ على قدر إيمانه وعلى حسب نفسيته ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ (الملك: ١٤). وقد استعرضنا فيما سبق تاريخ الحوار مع المشركين والملحدين ومنكري البعث والمنافقين، أما هنا فسوف نعرض طريقة القرآن الكريم في خطاب الفئة التي استجابت لربها ونفذت تعاليمه، واتخذت قيمه منهجاً وسلوكاً.

إنها فئة قليلة ولكنها جديرة بالعناية والاهتمام، إذ هذه الفئة هي التي تحمل المشعل لتضيءَ لغيرها، وهي التي تنقل أحكام الله تعالى إلى الناس أجمعين ولذلك نلاحظ أن خطاب الله تعالى لهذه المجموعة خطاب توجيه لكيفية تعاملهم مع غيرهم. وهم أصحاب منهج ورسالة واضحة. قال تعالى: ﴿ فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ (الشورى: ١٥). كما نلاحظ حوار المؤمنين مع غيرهم من المدعوين.

سمات حوار المؤمنين:

إن القرآن الكريم قد رسم للداعية إلى الله صور وأشكال الحوار التي يتبعها في دعوته لأصحاب الملل الأخرى ومنها:

١- بيان مواطن اتفاق المؤمنين مع غيرهم من اليهود والنصارى:

﴿ وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ

إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَـٰعِيلَ وَإِسۡحَـٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ (البقرة: ١٣٥ - ١٣٧).

فالقضية قضية دعوة بالحسنى وليست دعوة إجبارية فإن استمعوا فقد انتفعوا وإلا فالله ولي المؤمنين، وهنا يشعر الداعية بالأمان لسماع الله تعالى وعلمه بما يدور.

٢- الحرص على إسماع غيرهم آيات الله:

سماع القرآن الكريم له تأثير عجيب على الناس كافة، وعلى النصارى بشكل خاص، وقد تواترت الأخبار بسماع الكفار للقرآن وبدا أثره واضحاً على أكثرهم، فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهذا سعد بن زُرارة رضي الله عنه وغيرهم كثير، كان سبب إيمانهم سماع هذه الآيات التي لامست شغاف القلوب فلم يستطعْ لها رداً، ولذلك يلفت القرآن انتباه المؤمنين إلى استخدام هذا الأسلوب في دعوة النصارى.

﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانٗا وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡحَقِّ وَنَطۡمَعُ أَن يُدۡخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾. (المائدة: ٨٢ - ٨٥).

٣- الجدال بالتي هي أحسن:

يضطر المؤمنون أحياناً إلى الدخول في مناظرات مع أهل الكتاب لإثبات ما يدعون إليه وإنكار ما يدعيه غيرهم وعلى المؤمن أن يكون منهجه في الحوار واضحاً وأن يؤكد الاتفاق على المبادئ، فالإله واحد، والشرائع المنزلة من عند الله واحدة، وعلى هذين المبدأين ينبغي أن يكون النقاش فإذا حصل الظلم والتعدى جاءت نهاية النقاش فكل له دينه قال تعالى: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ (العنكبوت: ٤٦).

٤- إظهار حرص الداعية على مصلحة مَنْ يدعوه:

إن إحساس الآخرين بمحبة الداعى وحرصه عليهم له أثر عجيب في كسب القلوب، خصوصاً إذا بَيَّنَ ذلك وقرنه بالعلم ووضح مصير الأمم السابقة وعرفهم بالله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ ﴾ (غافر: ٢٨ - ٢٩).

إن هذه التساؤلات وهذه الحيادية في السماع تُتيحُ أكبر الفرص لسماع دعوة الله لولا دعاة الفتنة الذين يعملون أيضا: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ

وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَـٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَـٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾ (غافر: ٢٩ - ٣٣).

٥- عدم اليأس في طريق الدعوة:

وعند صدق الإيمان ينتفي الإحساس بالخوف، عجيب سحر هذا الإيمان إنه كالشرارة التي تشعل ما حولها؛ إنه كالشعلة التي تضيءُ الكون.

قد ندعو الناس ولكن نخاف من سلطانهم ومن كثرة عنادهم ومكانتهم العلمية أو الاجتماعية، ولكن كتاب الله يُسقِطُ كل هذه الصروح؛ ليبين أن لحظة الهداية ليس لها معيار محدد، فهؤلاء هم سحرة فرعون جاءوا بعلمهم وعملهم لِيَتَحَدَّوْا موسى؛ فماذا كانت النتيجة؟

﴿ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَـٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَـٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَـٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَـٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓا۟

ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الشعراء: ٣٨- ٥١).

إنه اليقين بالله والإيمان الذي لامس شغاف القلوب؛ فسقطت هيبة فرعون الزائفة أمام إجلال الله وعزة الله؛ فصدعوا بالحق، ووثقوا في الله، ورجوا مغفرته ورحمته.

٦- الاعتراف بفضل الله تعالى:

قد تختلط المفاهيم على البعض، ويظنون أنفسهم في أعلى الدرجات قرباً من الله تعالى لمجرد التزامهم ببعض الأمور الشرعية، ويشعر الإنسان بفضله على غيره وأنه أسدى معروفاً لله تعالى، وفي الحقيقة أن الله هو صاحب الفضل والمنّة أن هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وبيان حقيقة الإيمان ويحث النفس على الالتزام بهذه الصفات؛ حتى يصل الإنسان حقاً لأعلى الدرجات.

﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ

شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (الحجرات: ١٤- ١٨).

٧- عرض الأدلة لزيادة الإيمان:

كثير من الناس عندما يُطالِب بالدليل يتهمه البعض بضعف الإيمان وأنه لا ضرورة لذلك، فهذا إبراهيم عليه السلام من أولي العزم من الرسل ومع ذلك طلب رؤية كيفية الخلق ليس للإيمان ولكن للاطمئنان ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (البقرة: ٢٦٠).

وقد يحتاج المؤمن في وقت من الأوقات للأدلة وبيان الحكمة في بعض الأمور حتى يصل إلى الطمأنينة وزيادة الإيمان.

٨- المؤمن يبشر إخوانه المؤمنين برحمة الله:

إن الكلمات التي يخاطب بها الدعاة إخوانهم كلمات كلها خير وبركة ورحمة، والحديث مع المؤمنين ليس كالحديث مع غيرهم؛ إنه حديث يتقاطر منه الحب وتفتح فيه آفاق السلام والود والخطأ عندهم غير مقصود ويتبعه دائماً الإصلاح.

﴿ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (الأنعام: ٥٤).

٩- الدعوة للاحتكام إلى الله:

فليس لهم خِيَرَة إذا قضى الله ورسوله أمراً ؛ لأنهم عرفوا معنى الألوهية ومعنى العبودية ففازوا وأفلحوا. ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾ (النور: ٥١ ، ٥٢).

والمؤمنون طبيعتهم التسليم والطاعة، وإن أخطأوا فعن جهل، وباب التوبة مفتوح لهم، وهم دعاة ولا يتحدثون إلا بخير، ويجادلون بالتي هي أحسن، وَيُذَكِّرُونَ الناس، ولا ييأسون مهما كانت نوعيةُ مَنْ يخاطبون. وخطاب القرآن الكريم لهم خطابٌ رقيق ليس فيه تعنيف ولا توبيخ ؛ بل فيه قبول وتبشير بالفوز، ووعد بالفلاح.

البـاب الثـالـث

الحوار مع النفس والحوار مع الآخر

- **الفصل الأول: الحوار مع النفس.**

  أولاً: الحوار بمحاسبة النفس.

  ثانياً: الحوار بالتدبر والتفكر والتعقل والتأمل.

- **الفصل الثاني: الحوار مع الآخر .**

  أولاً: المناظرة.

  ثانياً: الحوار مع أهل الكتاب.

الفصل الأول

الحوار مع النفس

الحوار مع النفس ينشأ داخلها لتصحيح مسارها، وإقامة اعوجاجها، وذلك بالمراجعة والمحاسبة، أو بالتأمل، والتدبر، والتذكر، الذي يعيد المسلم إلى استجماع خواطره ليستقيم على الجادة.

أولاً: محاسبة النفس

من لوازم الحوار مع النفس محاسبتها، ومناقشتها، ومداومة سؤالها. قال الحسن ﷺ: المؤمن قوام على نفسه يحاسب نفسه لله، وإنما خف الحساب يوم القيامة على قوم أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة، إن المؤمن يفاجئه الشيء، ويعجبه فيقول: والله إني لأشتهيك وإنك لمن حاجتي، ولكن والله ما من حيلة إليك، هيهات حيل بيني وبينك، ويفرط منه الشيء فيرجع إلى نفسه فيقول ما أردت إلى هذا، مالي ولهذا، والله لا أعود إلى هذا أبداً إن المؤمنين قوم أوقفهم القرآن، وحال بين هلكتهم، إن المؤمن أسير في الدنيا يسعى في فكاك رقبته، لا يأمن شيئاً حتى يلقى الله، يعلم أنه مأخوذ عليه في سمعه وفي بصره وفي لسانه وفي جوارحه، مأخوذ عليه في ذلك كله.

وقال مالك بن دينار: رحم الله عبداً قال لنفسه: ألستِ صاحبةَ كذا، ألستِ صاحبةَ كذا، ثم ذمها، ثم خَطَمَها، ثم ألزمها كتاب الله عز وجل فكان لها قائداً.

فحق على المؤمن بالله واليوم الآخر ألا يغفل عن محاسبة نفسه، والتضييق عليها في حركاتها وسكناتها وخطراتها قالَ الله تعالى﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ

مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ (آل عمران: ٣٠).

محاسبة النفس قبل العمل، وبعده:

محاسبة النفس قبل العمل:

وتكون بوقوف صاحبها عند أول همه وإرادته، فلا يبادر بالعمل حتى يتبين له رجحانه على تركه.

قال الحسن رحمه الله: رحم الله عبداً وقف عند همه، فإن كان لله أمضاه، وإن كان لغيره تأخر.

وشرح بعضهم هذا فقال: إذا تحركت النفس لعمل من الأعمال وهم به العبد وقف أولاً ونظر هل ذلك العمل مقدور عليه، أو غير مقدور عليه ولا مستطاع، فإن لم يكن مقدوراً عليه لم يقدم عليه، وإن كان مقدوراً عليه وقف وقفة أخرى وَنَظَر، هل فعله خير من تركه؟ أو تركه خير له من فعله؟ فإن كان الثاني تركه ولم يقدم عليه، وإن كان الأول وقف وقفة ثالثة هل الباعث عليه إرادة وجه الله عز وجل وثوابه أو إرادة الجاه والثناء والمال من المخلوق؟ فإن كان الثاني لم يقدم وإن أفضى به مطلوبه لئلا تعتاد النفس الشرك ويخفف عليها العمل لغير الله، فبقدر ما يخف عليها ذلك يثقل عليها العمل حتى يصير أثقل شيء عليها، وإن كان الأول وقف وقفة أخرى ونظر هل هو مُعَانٌ عليه وله أعوان يساعدونه وينصرونه إذا كان العمل محتاجاً إلى ذلك أم لا؟ فإن لم يكن له أعوان أمسك عنه، كما أمسك النبي ﷺ عن الجهاد بمكة حتى صارت له شوكة وأنصار، وإن وجده معاناً عليه فليقدم عليه فإنه منصور بإذن الله ولا يفوت النجاح إلا مِنْ فَوْتِ خصلة من هذه

الخصال وإلا فمع اجتماعها لا يفوته النجاح، فهذه أربعة مقامات يحتاج العبد إلى محاسبة نفسه عليها قبل العمل.

محاسبة النفس بعد العمل:

وهي ثلاثة أنواع:

الأول: محاسبتها على طاعة قصرت فيها من حق الله تعالى فلم توقعها على الوجه الذي ينبغي، وحق الله في الطاعة ستة أمور: الإخلاص في العمل، والنصيحة لله فيه، ومتابعة الرسول ﷺ، وشهود مشهد الإحسان، وشهود منة الله، وشهود تقصيره فيه بعد ذلك كله.

فيحاسب نفسه هل وَفَّي هذه المقامات حقها؟ وهل أتى بها في هذه الطاعة؟

الثاني: محاسبتها على عمل تركه خير من فعله.

الثالث: محاسبتها على أمر مباح لِمَ فعله؟ وهل أراد به الله والدار الآخرة؟ أم أراد به متاعاً زائلاً؟

وترك المحاسبة والاسترسال مع النفس يؤول به إلى الهلاك وهذه حال أهل الغرور يغمض عينيه عن العواقب ويتكل على العفو فيهمل محاسبة نفسه والنظر في العاقبة، وإذا فعل ذلك سهل عليه مواقعة الذنوب وأنس بها وعسر عليه فطامها ولو حضره رشده لعلم أن الحمية أسهل من الفطام وترك المألوف والمعتاد.

وجماع ذلك: أن يحاسب نفسه أولاً على الفرائض فإن تذكر نقصاً تداركه إما بقضاء أو إصلاح، ثم يحاسبها على المناهي فإن عرف أنه ارتكب منها شيئاً تداركه بالتوبة والاستغفار والحسنات الماحية، ثم يحاسب نفسه على الغفلة فإن كان قد غفل عما خُلِقَ له تداركه بالذكر والإقبال على الله تعالى، ثم يحاسبها على ما تكلم به أَوْ مَشَتْهُ رجلاه أو بطشت يداه أو سمعت أذناه ماذا أرادت بهذا؟

ولم فَعَلَتْهُ وعلى أي وجه فَعَلَتْهُ قال الله تعالى: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ (الحجر: ٩٢، ٩٣). وقال تعالى: ﴿ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ﴾ (الأحزاب: ٨). قال تعالى: ﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴾ (الأعراف: ٦، ٧).

فإذا سُئل الصادقون وحوسبوا على صدقهم فما الظن بالكاذبين؟.

قال تعالى: ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ (التكاثر: ٨).

قال محمد بن جرير الطبري رحمه الله: يقول تعالى ثم ليسألنكم الله عز وجل عن النعيم الذي كنتم فيه في الدنيا: ماذا عملتم فيه؟ ومن أين وصلتم إليه؟ وفيم أصبتموه؟ وماذا عملتم به؟.

وقال قتادة: إن الله سائل كل عبد عما استودعه من نعمه وحقه.

والنعيم المسئول عنه نوعان: نوع أُخِذَ منحة وَصُرِفَ في حقه فَيُسْأَلُ عن شكره، ونوع أُخذ بغير منحة وَصُرِفَ في غير حقه فَيُسْأَلُ عن مستخرجه ومصرفه.

فإذا كان العبد مسئولاً محاسباً على كل شيء حتى على سمعه وبصره وقلبه كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ (الإسراء: ٣٦). فهو حقيق أن يحاسب نفسه قبل أن يُناقش الحساب.

وقد دل على وجوب محاسبة النفس قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ﴾ (الحشر: ١٨).

يقول تعالى: لينظر أحدكم ما قدم ليوم القيامة من الأعمال، أمِنَ الصالحات التي تنجيه، أم من السيئات التي تُوبِقُهُ؟

قال قتادة: مازال ربكم يقرب الساعة حتى جعلها كغد.

والمقصود: أن صلاح القلب بمحاسبة النفس، وفَسادهُ بإهمالها، والاسترسال معها.

فوائد محاسبة النفس:

١ - الاطلاع على عيوبها: ومن لم يطلع على عيب نفسه لم يمكنه إزالته، فإذا اطلع على عيبها، مقتها في ذات الله تعالى.

روى الإمام أحمد عن أبي الدرداء ﷺ عنه قال: «لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يمقت الناس في جنب الله، ثم يرجع إلى نفسه فيكون لها أشد مقتاً».

قال محمد بن واسع: لو كان للذنوب رائحة ما قدر أحد أن يجلس إليَّ.

قال أبو حفص: من لم يتهم نفسه على دوام الأوقات ولم يخالفها في جميع الأحوال، ولم يجرها إلى مكروهها في سائر أوقاته كان مغروراً، ومن نظر إليها باستحسانِ شيءٍ منها فقد أهلكها.

وعن عقبة بن صهبان الهنائي قال: سألت عائشة ـ رضي الله عنها ـ عن قول الله عز وجل: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ﴾(فاطر: ٣٢) فقالت: يا بُنَيّ، هؤلاء في الجنة أما السابق فَمَنْ مضى على عهد رسول الله ﷺ وشهد له رسول الله ﷺ بالجنة والرزق، وأما المقتصد فمن اتبع أثره من أصحابه حتى لحق به، وأما الظالم لنفسه فمثلي ومثلك. فجعلت نفسها معنا[1].

---

(١) الأثر أخرجه الطيالسي وعبد بن حميد وابن أبي حاتم والطبراني في الأوسط والحاكم وابن مردويه، وانظر الدر المنثور للسيوطي (٤٧٢/٥) وهو في الطبراني في الأوسط (٦٠٩٤)، وانظر مجمع البحرين (٣٣٧٥).

وفي كتاب الزهد للإمام أحمد: أن رجلاً من بني إسرائيل تعبد ستين سنة في طلب حاجة فلم يظفر بها، فقال في نفسه والله لو كان فيك خير لظفرت بحاجتك، فأتي في منامه فقيل له: أرأيت ازدراءك نفسك تلك الساعة فإنه خير من عبادتك تلك السنين.

فالنفس داعية إلى المهالك معينة للأعداء طامحة إلى كل قبيح متبعة لكل سوء فهي تجرى بطبعها في ميدان المخالفة.

ومقت النفس في ذات الله من صفات الصديقين، ويدنو العبد به من الله تعالى في لحظة واحدة أضعاف ما يدنو بالعمل.

٢- أن يعرف العبد حق الله تعالى عليه: ومن لم يعرف حق الله تعالى عليه فإن عبادته لا تكاد تجدي، وهي قليلة المنفعة.

وأنفع ما للقلب: النظر في حق الله على العباد، فإن ذلك يورثه مقت نفسه والإزراء عليها ويخلصه من العجب ورؤية العمل ويفتح له باب الخضوع والذل والانكسار بين يدي ربه واليأس من نفسه وأن النجاة لا تحصل إلا بعفو الله ومغفرته ورحمته، فإن من حقه أن يُطاع ولا يُعصى، وأن يُذكر فلا يُنسى، وأن يُشكر فلا يُكفر.

فمن نظر في هذا الحق الذي لربه عليه علم يقيناً أنه غير مؤد له كما ينبغي، وأنه لا يسعه إلا العفو والمغفرة، وأنه إن أحيل على عمله هلك.

فهذا محل نظر أهل المعرفة بالله تعالى وبنفوسهم، وهذا الذي أيأسهم من أنفسهم، وعلق رجاءهم كله بعفو الله ورحمته.

وإذا تأملت حال أكثر الناس وجدتهم بصدد ذلك ينظرون في حقهم على الله ولا ينظرون في حق الله عليهم، ومن هنا انقطعوا عن الله وحُجِبَت قلوبهم عن معرفته ومحبته والشوق إلى لقائه والتنعم بذكره، وهذا غاية جهل الإنسان بربه وبنفسه.

❁ ❁ ❁

ثانيا: الحوار مع النفس بالتدبر والتذكر

إن الذي يتدبر آيات الذكر الحكيم يجد فيها الحث على الاستزادة من العلم: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾ (طه: ١١٤).

وعلى التأمل والبحث والنظر في ملكوت الله: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (يونس: ١٠١). ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۝١٨ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۝١٩ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾ (الغاشية: ١٧ ، ٢٠).

وعلى التفكُّر والتدبُّر: ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ (البقرة: ٢١٩). ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ فِىٓ أَنفُسِهِم ﴾ (الروم: ٨). ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الزمر: ٤٢). ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الحشر: ٢١).

وحث على التذكُّر والتبصُّر: ﴿ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (البقرة: ٢٢١). ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (الرعد: ١٩). ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (النحل: ١٧). ﴿ وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (الذاريات: ٤٩). ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (الواقعة: ٦٢).

كما يجد دعوةً إلى التعقُّل واستنارة البصيرة: ﴿ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (البقرة: ٧٣). ﴿ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (آل عمران: ١١٨). ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (الرعد: ٤). ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ

يَعْقِلُونَ بِهَآ ﴾ (الحج: ٤٦). ﴿ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (المؤمنون: ٨٠). كَذَٰلِكَ ﴿ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (الروم: ٢٨). ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (الزخرف: ٣)[١].

ولا يخفي علينا أن الدعوات القرآنية لا يقوم بواجبها وحقها إلا أولو الألباب (الذين ورد ذكرهم في ستَّ عشرةَ آية قرآنيةً) الذين يتأملون في الكون، ويلتمسون العبرة، ويحسنون التدبر في آيات الله، ويقودهم هذا إلى أداء العبادة الصحيحة، والقُنوت لله تعالى، والحذر منه، ورجاء رحمته[٢].

وهذه المعاني المتقدمة نقرأها عندما نطالع بعض هذه المواضع في قوله تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (البقرة: ١٧٩). ﴿ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (البقرة: ١٩٧). ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (آل عمران: ٧). ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (الرعد: ١٩). ﴿ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (إبراهيم: ٥٢). ﴿ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (ص: ٢٩). ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (الزمر: ٩).

---

(١) الآيات التي ورد فيها ذكر (العقل) في القرآن الكريم هي تسع وأربعون آية؛ تدعو جميعها إلى إعمال العقل في جنبات الكون، ولذا نلاحظ ارتباطها بكلمة (آية) و (آيات) في ثلاث عشرة آية في مثل ﴿ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (الجاثية: ٥) وهذا أمر له دلالته؛ فآيات الله في كونه وفي قرآنه تستنفر العقل الواعي لكي يدرك عظمة الله وإعجازه وإبداعه في هذه الآية.

(٢) الإسلام والبعث الحضاري (ص: ١٤٥).

وتأكيداً لدعوة أولي الألباب إلى التأمل والتعرف إلى جلال الله وعظمته، وبديع صنعه ومحكم آياته، فإننا نجد أن القرآن الكريم لا يدع موطناً في الكون دون أن يطوف بالإنسان خلاله، ويستثير فيه النظرة التأملية، ويلفت أصحاب العقول الراجحة إلى المنهج الصحيح في التعامل مع الكون ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ (فصلت: ٥٣)، وإعادة النظر في ظواهر الكون والبحث عن حِكَمِهَا وتصاريفها يُظْهِرُ لنا حقائق نورانية، ويفتح عين البصيرة، ونزداد من الله هداية ويقيناً، وسبيل ذلك بإعمال آليات الإدراك. واستخدام الحواس استخداماً وظيفياً صحيحاً ﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (النحل: ٧٨). ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ (المؤمنون: ٧٨). ﴿ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ ﴾ (النور: ٤٤).

مواضع آيات التدبر في القرآن التي تتحدث عن أولي الألباب:

١- في سورة البقرة ثلاث آيات مختلفة السياق والموضوع هي:

﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (البقرة: ١٧٩).

﴿ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾ (البقرة: ١٩٧).

﴿ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾ (البقرة: ٢٦٩).

٢- وفي سورة آل عمران آيتان: الأولى تتحدث عن عصمة الفكر من البحث فيما وراء المادة، لأن هذا النوع من البحث يقوم على التخمين والتوهم. قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ

مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (آل عمران: ٧).

والأخرى تطلق العنان للفكر كي يبحث ويستنتج في المادة وأسرارها وقوانينها؛ وقيام الله عليها، وإحكامه لوجودها، قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۝١٩٠ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ (آل عمران: ١٩٠، ١٩١).

٣- وأما في سورة المائدة فنجد تميزاً لأصناف الناس، وذلك ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿ قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (المائدة: ١٠٠).

٤- وفي سورة يوسف بيان بأهمية القصص القرآني:

﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ .(يوسف: ١١١).

٥- وفي سورة الرعد حديث مفصل عن الخلال النبيلة التي يستجمعها أولو الألباب، وتضبط مسالكهم كلها قال تعالى: ﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝١٩ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴾ (الرعد: ١٩، ٢٠).

٦- وفي ختام سورة إبراهيم (الموضع التاسع) نجد وصفاً للصراع بين الحق والباطل والآثار القريبة والبعيدة لهذا الصراع، سواء في دنيا الناس أو في الآخرة مع رب العالمين.

وقد ختمت السورة بهذه الآية: ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (إبراهيم: ٥٢).

٧- وفي سورة (ص) نجد الموضعين العاشر والحادي عشر لأولي الألباب. في الموضع الأول يقول تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (ص: ٢٩).

القرآن غزير بالمعاني، مُفْعَمٌ بالحقائق، بيد أن الطريق لاستبانة هذا كله هو إمعان النظر، وتعميق البصر، وَطَرْق الأبواب دون يأس، فإن حُسْنَ الفهم عطاءٌ أعلى قبل أن يكون كد الذهن وطول التلاوة.

أما الموضع الآخر في سورة (ص)، فنجده في قصة أيوب عليه السلام الذي ألحت عليه الأوجاع، فانحصر داخل عبوديته يتألم ويؤمل، يتحمل ويرجو، حتى تَأَذَّنَ اللهُ بالفَرَجِ، وجاءت العافية المنتظرة: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٤٣ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ (ص: ٤٤، ٤٣).

٨- وفي سورة الزمر ثلاث مواضع:

في الموضع الأول حديث عن القائمين بالليل، هناك رجال في أعصابهم مدخر من نشاط لا يستنفده شبح النهار الطويل، فهم يبقون مع إدبار النهار وإقبال الليل قادرين على العمل، فماذا يعملون؟. يميتون الليل بالغفلة؟ أم يجعلونه أحمر بالعصيان، إنهم يضيئون جوانبه بالعبادة والتهجد مقتدين بإمام العابدين. قال تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ

رَحْمَةَ رَبِّهِۦ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (الزمر: ٩).

ففي أول الآية ذكر لإيقاظ الخاشعين وطوى ذكر النيام الذين لا يرجون ولا يحذرون! كأنهم أقل من أن يذكروا في هذه المفاضلة، وهم بداهة لا يُحسبون من أولي الألباب.

وفي الموضع الثاني من سورة الزمر نرى معالم للشخصية المسلمة التي تنشد الأكمل والأجمل في كل ما يعرض عليها، إنها توُازِن بين المبادئ، والمذاهب، وتُؤْثِر الأحسن باستمرار.

من الناس من تراه صريع عقدة ثابتة في دمه، ومنهم من تراه سائب القيادة يجره تيار هنا وتيار هناك، أما أولو الألباب في هذا الموضع فَهَوَاهُمْ الغالبُ مع الأشرف والأفضل[1].

قال تعالى: ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (الزمر: ١٧، ١٨).

والموضع الأخير لكلمة «أولي الألباب» في سورة الزمر يتناول مصدراً من مصادر الإيمان الحق، وكيف يبني هذا الإيمان على التفكر الواعي؟

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (الزمر: ٢١).

إن أولي الألباب هم الذين يعرفون الله، ويسبحون بحمده، أما الجهال وأنصاف العلماء ومرضى القلوب فهم الذين يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم.

---

(١) علل وأدوية (ص: ٦٠).

٩- وفي سورة غافر الموضع الخامس عشر: قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (غافر: ٥٣، ٥٤).

١٠- أما آخر موضع في القرآن ذُكِرَ فيه أولو الألباب فهو في سورة الطلاق قال تعالى: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ۚ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ ﴾ (الطلاق: ١٠، ١١).

وهكذا فإن الحوار مع النفس بالتأمل والتدبر يمكن أن يرتقي بالمرء إلى مرتبة أُولِي الألباب.

الفصل الثاني
صور الحوار مع الآخر

أولاً: المناظرة:

المناظرة حوار بين اثنين بلوغاً إلى الحق أو وصولاً للصواب في مسألة واحدة أو عدة مسائل، ولها أركان، وشروط، وضوابط، وآداب.

أركان المناظرة:

وهما ركنان: موضوع المناظرة، وطرفا المناظرة.

الركن الأول: موضوع المناظرة:

وموضوع المناظرة إما يتعلق بالعقيدة، مثل المسائل التي خالف فيها أصحابُ الفرق المبتدعة عقيدةَ أهل السنة والجماعة. أو متعلق بأحكام فقهية، مثل المسائل التي تَنَاظَرَ فيها علماء الأمة والسلف الصالح مع غيرهم من العلماء، وإما بموضوعاتِ الخلافةِ ونظامِ الحكمِ.

والصنف الأول من الموضوعات تعتمد المناظرة فيه على النصوص الشرعية والأدلة العقلية.

وأما الموضوعات الفقهية، سواء كانت من المنصوص عليه، واحتاجت لإزالة بعض الشبهات عنها، أم كانت غير منصوص عليها واحتاجت للاجتهاد، فإن أكثر هذه الموضوعات تعتمد المناظرةُ فيها على النصوص الشرعية وعلى قواعدَ أصوليةٍ مُسْتَقَاةٍ من علمِ أصولِ الفقهِ.

الركن الثاني: طرفا المناظرة:

وهما طرفان يبغيان بلوغ الحق ويسمى البادئ «عارض الموضوع» معللاً، والمتعرض سائلاً. أو يسمى البادئ «عارض الموضوع» مانعاً، والمتعرض مستدلاً.

وذلك تبعاً لموضوع المناظرة. وقد يتغير الأمر أثناء المناظرة؛ فينقلب السائل معللاً، والمعلل سائلا، أو المانع مستدلا والمستدل مانعاً.

شروط المناظرة:

الشرط الأول: أن يكون المتناظران على علم بموضوع المناظرة.

الشرط الثاني: أن يكون المتناظران على معرفة بما يُحتاجُ إليه من قوانين المناظرة وقواعدها، حول الموضوع الذي يريدان المناظرةَ فيه.

الشرط الثالث: أن يكون الموضوع مما يجرى التناظرُ فيه فالبدهيات والمسلمات لا يجرى التناظرُ فيها[1].

الشرط الرابع: أن يُجْرِيَ المتناظران مناظرتهما على عرف واحد، فإذا كان الكلام على عرف الفقهاء؛ فلا يلجأ الطرف الثاني إلى عرف النحاة أو الفلاسفة ونحو ذلك.

ضوابط المناظرة:

هذه الضوابط تميز المناظرة عن الجدل المذموم أو السفسطة، فليس الأمر انتصاراً لرأي، أو إعجاباً لكل ذي رأي برأيه، لكنه بحث عن الحقيقة، وبلوغ إلى الصواب، ومن هنا جاءت هذه الضوابط:

١- تَخَلِّي كلٍّ من الفريقين عن وجهةِ نظرٍ مسبقة، وإعلانُهما الاستعداد لتقبل الحقيقة، وقد أرشد إليها القرآن الكريم ﴿ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ (سبأ: ٢٤).

٢- الإمتناع عن الإيذاء والسخرية، أو البذاءة، أو الفحش، قال تعالى ﴿ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ ﴾ (الحجرات: ١١). وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ

---

(١) أدب الحوار والمناظرة (ص: ٦٥).

وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ ﴾ (الحجرات: ١١). وقال تعالى: ﴿ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ (الحجرات: ١٢).

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**ليس المؤمن بالطعان، ولا باللعان، ولا الفاحش ولا البذيء**»[1].

٣- التزام الأدلة الأصولية أو العقلية، و تقديمها مؤيدة بالقرآن أو السنة، وألا يقدم دليلاً ترديداً لأَصْلِ الدعوى، وألا يطعن إلا على الأسس التي يجري عليها التناظرُ، وألا يكون في بعض كلامه ما ينقض الآخر.

٤- التسليم بالمسلمات وقبول النتائج التي توصل إليها الأدلة القاطعة.

آداب المناظرة:

يمكن أن نجمل ما قاله العلماء في آداب المناظرة فيما يلي:

١- الترتيب: بمعنى أنه لا يحسن الاستعجال في البحث قبل تمام الفهم، فإن في ذلك فائدةً للمعلل والسائل على السواء.

أما المعلل: فقد يغير الدليل، أو يزيد عليه بما يدفع الاعتراض، أو يحذف منه ما يوجب الخلل، أو يدلل على مقدمة نظرية، أو ينبه على مقدمة خفية، فيسلم من مناقشة الخصم.

وأما السؤال، فربما يخطئ بالاستعمال فيظهر جهله، وقد يذكر المعلل بعد إقامة دليله ما يظهر به ما خفي على السائل فيكفيه مؤنة البحث، وقد يؤدي استعجال البحث إلى فساد.

---

(١) **صحيح**. رواه الترمذي [١٩٧٧]، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في اللعنة، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي [١٩٧٧]، والسلسلة الصحيحة [٣٢٠]، ورواه أحمد [٣٨٢٩].

٢- ألا يهاب وألا يحقر: بمعنى ألا يقع فريسة الخوف أو فريسة العجب، فكلاهما يؤثر على كفاءته وقد قيل في ذلك: ألا يناظر مَنْ هو أعلى منه مقاماً؛ لأنه يؤدي إلى التساهل، والتسليم له بما يقول خشيةً منه.

والعبرة في هذا بالأثر النفسي، فقد لا يترك الأعلى مقاماً أثراً في نفس المناظر فلا يهابه، ومن ثم لا يؤثر على قدرته على المناظرة.

٣- ألا يختصر، وألا يطيل، وألا يخرج عن المطلوب: فالاختصار يخل بالفهم ولا يوصل إلى المطلوب والإطالة تمل السامع فينقطع عن الوصول إلى المطلوب، والخروج عن موضوع المناظرة يؤدي إلى الانتشار المفوت للمطلوب.

٤- أن يتجنب في ألفاظه الغريب والمحتمل من غير قرينة، وكلام السفهاء؛ لأن الغريب يكون غير موصل، والمحتمل من غير قرينة، كذلك، وكلام السفهاء من صفات الجهال يسترون بها جهلهم.

وأن يكلم كلَّ مقام بما هو وظيفته، ففي علم الكلام يتكلم باليقين المفيد للاعتقاد، وفي الفقه بالأمارات المفيدة للظن.

٥- الجلوس جلسة المنتبه، مقابلاً للمناظر، مقبلاً عليه، متجنباً أوقات عدم الاعتدال [الجوع، الامتلاء، الغضب، المدافعة[1]] ومتجنباً الضحك، والصوت العالي، وما يزيل الهيبة[2].

٦- البدء من نقطة التقاء: فليس النقص والهدم سبيلاً إلى النفوس: إنه لون من الصد عن سبيل الله لا ينبغي أن يقع فيه المسلم المحاور، وكل إنسان، ولو كان غير مسلمٍ، لا يعدم نقطةَ خيرٍ في قلبه يبدأ بها المسلم فيدخل إليها، أو يدخل منها، ثم ينميها ويسير بها إلى هدفه الذي يريد.

---

(١) أي وهو يدافع الأخبثين: البول والبراز.
(٢) علم آداب البحث والمناظرة (ص: ٢٧).

- ﴿ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾ (سورة العنكبوت : ٤٦).

- ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴾ (آل عمران : ٦٤).

- ﴿ وَفَعَلۡتَ فَعۡلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلۡتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝١٩ قَالَ فَعَلۡتُهَآ إِذٗا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ۝٢٠ فَفَرَرۡتُ مِنكُمۡ لَمَّا خِفۡتُكُمۡ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكۡمٗا وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٢١ وَتِلۡكَ نِعۡمَةٞ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنۡ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾ (الشعراء : ١٩- ٢١).

- ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴾ (يوسف : ٣٩).

- ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ ﴾ (يوسف : ٤١).

٧- البدء بإثارة العاطفة وتوجيه الاهتمام : كما في قوله تعالى : ﴿ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴾ (الأعراف : ٥٩).

- ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ۝٢٥ أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ ۝٢٦ فَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا مِّثۡلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأۡيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلِۭ بَلۡ

نَظُنُّكُمْ كَـٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ يَـٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَـٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَـٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَـٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّلَـٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَـٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَـٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ يَـٰنُوحُ قَدْ جَـٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا ﴾ (هود: ٢٥ - ٣٢).

٨- التذكير بأنعم الله ولفت الانتباه لآيات الله في الأنفس والآفاق:

- ﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (الأعراف: ٦٩).

- ﴿ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ (الأعراف: ٧٤).

- ﴿ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ (الأعراف: ٨٦).

- ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَـٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ (الشعراء ١٣٢ ـ ١٣٥).

- ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴾ (المؤمنون: ٨٤ - ٨٩).

- ﴿ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ (النمل: ٥٩ ـ ٦٤).

٩- البدء بصدمة تفيق: وتستخدم عادة مع من كان الرَّانُ على قلوبهم فاحتاجوا إلى ما يزيل هذا الران أو طمست بصيرتهم فاحتاجوا إلى ما يُفِيقُهُم[(١)].

- ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ (الأعراف: ٦٥).

---

(١) أدب الحوار والمناظرة (ص: ٨٤).

- ﴿ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ ﴾ (الأعراف ٧١).

- ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ۝ يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴾ (هود: ٥٠ ـ ٥٢).

وقد قيل في قوله تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾ (النحل: ١٢٥). إن الدعوة بالحكمة تعني تغيير الأسلوب حسب المقام فَمَنْ أصلحتْهُ الكلمةُ الطيبة فلا يُصَارُ إلى غيرها، ومن أصلحته الكلمةُ العنيفةُ فهي الحكمةُ في هذا الموضع.

- ومنها ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ (الحج: ١، ٢).

- ومنها: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴾ (لقمان: ٣٣).

- بل إن الصدمة أحياناً تلزم المؤمنين: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (التحريم: ٦).

١٠- الدعوة إلى إعمال النظر في رفق وأدب:

- ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ﴾ (سبأ: ٤٦). أي: أدعوكم إلى واحدة، قيل خصلة واحدة. أو كلمة واحدة هي: لا إله إلا الله. أو هي: القرآن، أن تقوموا: أي: للحق .. ﴿ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ ﴾ (النساء: ١٣٥).

لله مثنى وفرادى .. أي مجتمعين ومنفردين .. أو متشاورين أو من غير تشاور .. أو المثنى عمل النهار والفُرادى عمل الليل.

ثم تفكروا: دعوة إلى التفكير ... إن وقفنا عليها .. مطلق التفكير في النفس والآفاق .. مما يُفْضِي إلى التوحيد وهو منهج قويم في الحوار. أن تترك خصمك يصل إلى الحق الذي تريد وهو يظن أنه هو الذي اكتشفه فيكون أكثر إقبالا وأكثر استمساكاً.

ومنه: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ (سبأ: ٢٤ - ٢٦).

فقد سألهم عمن يَرْزُقُ. ثم أجابهم أنه الله. ثم جعل تقريرا فيه احتمالان: إما أن يكونوا على هدى أو في ضلال أي أحد الغريمين على هدى والآخر على ضلال، وهو يدعو إلى التفكير. ثم جعل خياراً آخر. ﴿ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾.

ولئن كان الإجرام بمعنى الكسب، فلقد كان في استعماله في جانب المؤمنين، وجعل العمل في جانب الكافرين.. إما لونا من المساواة حيث لا تجب ففيه مجاملة للفريق الآخر، أو لونا من التأليف يجعل الفعل الأقرب إلى الخطأ في جانبهم كما تقول تواضعا: قد أكون مخطئا.

هذا لون من أدب الحوار جميل. وهو موضوع، يرد المخطئ إلى الصواب، ويرد المبطل إلى الحق. وفي النهاية يترك الأمر للتفكير. ﴿ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا ﴾ يعنى يحكم بيننا ﴿ بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴾.

وفي حوار إبراهيم الطَّيِّلاِ مع الكافرين الذين يعبدون الأصنام:

﴿ مَا تَعْبُدُونَ ۝٧٠ قَالُواْ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ۝٧١ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ۝٧٢ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴾ (الشعراء: ٧٠ - ٧٣).

فيها إيقاظ لضمائرهم وعقولهم ودعوة إلى إعمال النظر، فَلَمَّا لم يفلح لجأ إلى وسيلة عملية لإفحامهم، وذلك بأن كسر أصنامهم، وجعل الفأس على رأس كبيرهم، كما تحدثت سورة الأنبياء، وسيأتي تفصيلها بعد قليل.

١١- استخدام أسلوب الاستفهام التقريري، وهو الذي يعتمد على مقدمات بيّنةٍ: ﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴾ (البلد: ٨).

﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ﴾ (يس : ٨١).

﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴾ (الطور : ٣٥).

ومنها قصة إبراهيم عليه السلام مع قومه عندما لم يَصِلْ معهم إلى نتيجة بالحوار لجأ إلى حل عملي ﴿ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴾ (الأنبياء ٥٨ - ٦١).

وهكذا كان الإفحام : ﴿ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴾ (الأنبياء : ٦٢- ٦٣).

وكانت النتيجة : ﴿ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴾ (الأنبياء : ٦٤ ـ ٦٥).

ثم كان التقريع : ﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (الأنبياء : ٦٦- ٦٧).

فتركوا أسلوب المحاورة ولجأوا إلى أسلوب الغاشمين والمعتدين :

﴿ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴾ (الأنبياء : ٦٨).

فتدخلت إرادة الله عز وجل.

﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ (الأنبياء : ٦٩).

ثانيا: الحوار مع أهل الكتاب:

احتوى القرآن الكريم على أفضل الأساليب، وأحكم المناهج وأقوى الحجج في حواره مع أهل الكتاب وغيرهم، وقد نزل القرآن الكريم على النبي ﷺ بالحجج البينة والبراهين القاطعة: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ (سورة الصف: ٩). وقد وَفَّى سبحانه وتعالى بما وعد، وأظهر دينه بالحجة والبيان، ونصره بالسيف والسنان، وأيد أهله على من سواهم، ونصرهم بالحجة على من نَاوأَهُمْ، كما أظهرهم بالسيف على من كانوا له يحاربون، وذلك في قوله تعالى ﴿ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ (الصافات: ١٧٣) وأيد رسوله وأتباعه بالحجج الصحيحة العلمية، والبراهين القاطعة العقلية والنقلية، بما لم يبق بعده للمخالف إلا محضُ العنادِ، وكفي لمن جَانَبَ الاعتسافَ، وَسَلَكَ طريقَ العدلِ والإنصاف ما تضمنه القرآن العربي المبين، من البينات والحجج والبراهين، فهو الشفاء النافع لمن استشفي، والكفاية التامة لمن به استكفي وهو الهدى والنور وشفاء وسوسة الصدور، وهو الكفيل بالانتصار على المبطلين لمن كان به خبيراً كما قال تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ (الفرقان: ٣٣)، فلا يأتي صاحبُ باطلٍ بحجةٍ إلا وفي القرآن ما يُبْطِلُها ويلقيها مِنْ شاهِقٍ، كما قال تعالى: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ (الأنبياء: ١٨).

فكتاب الله تعالى، ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ (فصلت: ٤٢) وكلام الله الحكيم أعلى وأعز من أن يُرَدَّ إلى منهج بشرى قاصر محدود، وإذا تتبعنا منهج القرآن في الحوار مع أهل الكتاب، فسنجد أنه استخدم كافة سبل الإقناع والتأثير بما في ذلك القصص القرآني والوعظ والتهديد.

صور الحوار مع أهل الكتاب في القرآن الكريم:

الحوار بالاستفهام الإنكاري:

وقد ورد هذا كثيراً في القرآن الكريم في سياق محاورة أهلِ الكتاب وهو أن ينكر عليهم أفعالهم المنكرة عن طريق الاستفهام، فلا يملكون جواباً لما تحويه هذه الأفعال من فساد، يعرف بَدَاهَةً بالفطرة، ولما تحويه من تناقض ومخالفة لما في كتبهم.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ ﴾ (آل عمران: ٧٠). وقوله تعالى: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعۡمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ تَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَأَنتُمۡ شُهَدَآءُۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴾ (آل عمران: ٩٨، ٩٩). وقوله تعالى مخاطباً لهم بخطاب الغائب ليكون أبلغَ في التأثير: ﴿ كَيۡفَ يَهۡدِي ٱللَّهُ قَوۡمٗا كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ وَشَهِدُوٓاْ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقّٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (آل عمران: ٨٦).

فإذا سمع الكتابي هذه الاستفهامات فإنه يحار ولا يجد لها جواباً، فإن كان في قلبه أدنى ذرة من خير فإنه يُسلم ويترك ما كان عليه من الكفر والصد عن سبيل الله وكَتْمِ الحق، وإن كان غير ذلك قامت عليه الحجة ويقع في غاية الحرج؛ وذلك لأن الكتابي يُقِرُّ بوقوع هذه الأمور منه فإنه يكفر بآيات الله ويلبس الحق بالباطل مع كتمانه الحق وصده عن سبيل الله وأهل الكتاب لا يستطيعون إنكارَ ذلك كما لا يستطيعون إنكار عِلْمِهِم بصفة النبي ﷺ في كتبهم كما قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾ (البقرة: ١٤٦).

وقد تواترت الروايات عن أهل الكتاب في زمن النبي ﷺ تتضمن اعترافهم بصدقه ومعرفتهم أنه هو المبشَّر به في كتبهم، وقد كانوا ينتظرونه، فلما بعث كَفَرَ به مَنْ كفر ومن هذه الروايات الدالة على ذلك:

١- قصة بحيرى الراهب الذي رأي النبي ﷺ ـ في رحلته الأولى للشام وكان صبياً ـ ورأي خاتم النبوة في ظهره فسأل أبا طالب، ما هذا الغلام منك؟ قال: ابني. قال له بحيرى: ما هو ابنك وما ينبغي أن يكون أبوه حياً، ثم أوصاه به وحذره من اليهود[(١)].

٢- لما خاف النبي ﷺ على نفسه عندما نزل عليه الوحي وأخبر ورقة بن نوفل ـ وكان قد تنصر وتعلم النصرانية ـ فقال له ورقة: والذي نفسي بيده إنك لنبي هذه الأمة، ولقد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء موسى[(٢)].

٣- قدم إلى النبي ﷺ بمكة عشرون رجلاً من نصارى الحبشة، فوجدوه في المسجد، فجلسوا إليه وكلموه، فدعاهم النبي ﷺ إلى الله عز وجل وتلا عليهم

---

(١) سيرة ابن هشام (١/ ١٦٥ ـ ١٦٧)، ورواها الترمذي في السنن [٥/٥٩٠] حديث [٣٦٢٠]، وقال حديث حسن غريب، ورواه الحاكم وصححه [٢/٦١٥-٦١٦] لكنْ تعقبه الذهبي قائلاً: أظنه موضوعاً وبعضه باطل انتهى، وانظر كذلك السيرة النبوية للذهبي [٢٨]، وصححه الألباني في صحيح السيرة النبوية لابن كثير [ص: ٢٨]، ورواه ابن أبي شيبة في المصنف [١٤/٢٨٦]، وابن أبي الدنيا في هواتف الجان [١٩٤] والطبري في التاريخ [٢/٢٧٧-٢٧٨]، والبيهقي في الدلائل [٢/٢٤]، والخطيب في تاريخ بغداد [١٠/٢٥٢]، وأخرجه ابن سعد من طرق معضلة في الطبقات الكبرى [١/ ١٢٠، ١٥٣]، ورواية ابن إسحاق مرسلة، وأبو نعيم في الدلائل [٥١/٥٤]، وذكره أكرم العمري في السيرة النبوية الصحيحة وأطال النَّفَسَ في ذكر الأسانيد والطرق ثم مال إلى ما حكم به الذهبي من النِّكارة بقوله: وإنما سُقْتُ كلام الذهبي بتمامه لأنه أَعْلَمُ مَنْ انتقد هذه الرواية- وكذا انتقدها ابن سيد الناس في عيون الأثر [١/٤٣]، انظر: أكرم العمري [١/١٠٦-١٠٩]. ونقل الشيخ الألباني تصحيحه عند الجزري ومال إلى تصحيحه في تعليق على فقه السيرة [ص: ٦٨]، وصححه إبراهيمُ العلي في صحيح السيرة النبوية [٥٩]، وذكره سعد المرصفي في الجامع الصحيح للسيرة النبوية [ص: ٣٧٢] قال: وقال الجزري: إسناده صحيح، تحفة الأحوذي [١٠/٦٦]، وصححه السيوطي لشواهده الخصائص [١/١٤٢]، وقال ابن حجر: رجاله رجال الثقات وزاد فيها لَفْظُهُ منكرة الإصابة [١/١٨٣]، رقم [٧٩١]، وانظر صحيح سنن الترمذي للألباني [٣/١٩١]، [٢٨٦٢].

(٢) سيرة ابن هشام (١/٢٢٢)، وأصلها في البخاري [٤] بلفظ: «**هذا الناموس الذي نَزَّلَ اللهُ على موسى عليه السلام**»، كتاب بدء الوحي باب [٣]، وذكره أيضاً الذهبي في السيرة النبوية [٦٣-٦٤].

القرآن فلما سمعوا القرآن فاضت أعينهم من الدمع، ثم استجابوا لله وعرفوا منه ما كان يُوصَفُ لهم في كتابهم من أمره[١].

٤- قصة سلمان الفارسي وقد عاصر خمسة أساقفة في بلاد متفرقة، يوصي كلٌّ واحد منهم سلمانَ عند موته إلى الآخر حتى بلغ آخرهم فقال له سلمان: بم تأمرني؟ قال: ولكنه قد أَظَلَّ زمانُ نبيٍّ، وهو مبعوث بدين إبراهيم عليه السلام يخرج بأرض العرب مُهَاجَره إلى أرض بين حرتين بينهما نخل، به علامات لا تخفي: يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة. وبين كتفيه خاتم النبوة. ومعلوم أن سلمان قصد أرض العرب فاستُرِقَّ فبيع إلى يهود المدينة فلما هاجر النبي ﷺ وعلم مطابقة الأوصاف له أسلم[٢].

٥- خبر عبد الله بن سلام عندما أسلم ونصح اليهودَ بقوله: (يا معشر يهود اتقوا الله واقبلوا ما جاءكم به فوالله إنكم لتعلمون أنه لرسولُ اللهِ تجدونه مكتوباً

---

(١) سيرة ابن هشام (٢/ ٢٨ ـ ٢٩).

(٢) سيرة ابن هشام (١/١٩٨- ٢٠٢)، الحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند [٥/٤٤١-٤٤٤]، والبيهقي في الدلائل [٢/٩٢-٩٧]، والخطيب في التاريخ [١/١٦٤-١٦٩]، وأبو نعيم في الدلائل [١٩٩]، ورواه ابن سعد في الطبقات [٤/٧٥-٨٠]، والطبراني في المعجم الكبير [٦٠٦٥] والحديث حَسَّنَهُ إبراهيم العلي في صحيح السيرة النبوية [ص:٤٣]، ورواه الذهبي في السير [١/ ٥٠٦-٥١١]، والحاكم وصححه [٢/١٦]، وقال في مجمع الزوائد: رواه أحمد كله والطبراني في الكبير بنحوه بأسانيد، وإسناد الرواية الأولى عند أحمد والطبراني رجالها رِجالُ الصحيح غير محمد بن إسحاق وقد صرح بالسماع ورجال الرواية الثانية انفرد بها أحمد ورجالها رجال الصحيح غير عمرو بن أبي قرة الكندي وهو ثقة ورواه البزار انتهى، مجمع الزوائد [٩/٣٣٦]، كما حسنه أكرم العمري في السيرة النبوية الصحيحة [١/١٢٢]، وصححه الألباني في صحيح السيرة لابن كثير (٦٢ -٦٣).

عندكم في التوراة باسمه وصفته، فإني أشهد أنه رسول الله ﷺ وأؤمن به وأصدقه وأعرفه)[١].

٦- خبر مُخَيْرِيق وكان يهودياً وكان يعرف النبي ﷺ فلما جاء يوم أحد - وكان يوم السبت - قال: يا معشر اليهود والله إنكم لتعلمون أن نَصْرَ محمدٍ عليكم لَحَقٌّ قالوا: إن اليوم يوم السبت. قال: لا سبت لكم، ثم أخذ سلاحه وَقُتِلَ بأحد فقال النبي ﷺ (مخيريق خير يهود)[٢].

٧- عندما حاصر النبي ﷺ بني قريظة قال كعب بن أسد: يا معشر يهود وقد نزل بكم من الأمر ما تَرَوْنَ وإني عارضٌ عليكم خلالاً ثلاثاً فخذوا أيها شِئْتُمْ. قالوا: وما هي: قال: نتابع هذا الرجل فوالله لقد تبين لكم أنه لَنَبيٌّ مرسل، وأنه الذي تجدونه في كتابكم فرفضوا، فعرض عليهم قتل أبنائهم ونسائهم ثم يقاتلون فرفضوا، فعرض عليهم القتال يوم السبت فرفضوا، فرضوا حكم سعد بن معاذ فقتل مقاتليهم وسبى نساءهم وذراريهم[٣].

والروايات كثيرة، وهي تؤكد عِلْمَهم برسول الله ﷺ واعترافهم بذلك فيما بينهم مما لا يستطيعون إنكاره عند مخاطبة الله عز وجل لهم بتلك الاستفهامات الاستنكارية التي تبلغ مداها في التأثير وإقامة الحجة، وقد وردت تلك الاستفهامات في معانٍ أخرى في حوار أهل الكتاب.

---

(١) المرجع السابق (٢/١١٨)، وأصله البخاري في مناقب الأنصار، باب كيف آخى النبي بين أصحابه [٣٩٣٨].

(٢) المرجع السابق (٢/١١٩)، وذكره الحافظ ابن حجر في الإصابة [٦/٤٧] رقم [٧٨٦٧]، وقال: الزبير بن بكار في أخبار المدينة ... فذكره - وذكرها بلفظ آخر وعزاها لعمر بن شبة في أخبار المدينة.

(٣) المرجع السابق (٣/١٤٢)، الحديث أصله البخاري في كتاب المغازي باب مَرْجِع النبي من الأحزاب [٤١٢١]، ومسلم في الجهاد والسير باب الحكم فيمن حارب ونقض العهد [١٧٦٨] وأبو داود في الأدب باب ما جاء في القيام [٥٢١٥].

الحوار معهم بذكر قصص السابقين:

قد يساق الدليل في قصة وَيَأْخُذُ صورتَه من واقع الحياة في حوادثها فتصغي إليه الآذان، وتميل إليه النفوسُ وترتاح إليه الأفئدةُ، وتتأثر بما فيه من عظاتٍ وعبر، وقد اتخذ القرآنُ الكريم من القصص سبيلا للإقناع والتأثير[1]. فنجد أن القرآن في محاورة أهل الكتاب وغيرهم يورد القصص التي فيها من إقامة الحجة والتأثير الشيء الكثير.

وأكثر القصص التي وردت في القرآن قصصُ الأنبياءِ، وسنكتفي بمثال واحد وهو قصة إبراهيم ﵇. فقد وردت قصة إبراهيم ﵇ في مواضع عديدة منها ما ورد في سورة البقرة ضمن محاورة أهل الكتاب، وقد وردت بعد قوله تعالى ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ ﴾ (البقرة: ١٢٢) وورد بعدها قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ تَهۡتَدُواْۗ ﴾ (البقرة: ١٣٥). والآيات طويلة تبتدئ بقوله تعالى: ﴿ وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ ﴾ (البقرة: ١٢٤). إلى قوله تعالى: ﴿ تِلۡكَ أُمَّةٞ قَدۡ خَلَتۡۖ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَلَكُم مَّا كَسَبۡتُمۡۖ وَلَا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ (البقرة: ١٣٤)، وقد ذكر الفخر الرازي سبب ذكر قصة إبراهيم وفائدتها في محاورة أهل الكتاب وغيرهم بقوله: والحكمة فيه أن إبراهيم ﵇ شخص يَعْتَرِفُ بفضله جميعُ الطوائف والملل، فالمشركون كانوا معترفين بفضله متشرفين بأنهم من أولاده ومن ساكني حرمه وخادمي بيته، وأهل الكتاب من اليهود والنصارى كانوا أيضا مقرين بفضله متشرفين بأنهم من أولاده، فحكي الله سبحانه وتعالى عن إبراهيم ﵇ أمورا توجب على المشركين وعلى اليهود والنصارى قبولَ قولِ محمدٍ ﷺ والاعتراف بدينه والانقياد لشرعه وبيانه من وجوه:

---

(١) مناهج الجدل في القرآن الكريم (ص: ٧٣).

الأول: أنه تعالى أمره ببعض التكاليف فلما وفي بها وخرج عن عهدتها لا جَرَمَ نالَ النبوةَ والإمامةَ، وهذا مما ينبهُ اليهود والنصارى والمشركين على أن الخير لا يحصل في الدنيا والآخرة إلا بترك التمرد والعناد. والانقياد لحكم الله تعالى وتكاليفه.

الثاني: أنه تعالى حكي عنه أنه طلب الإمامةَ لأولاَده فقال الله تعالى: ﴿ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ فدل ذلك على أن منصب الإمامة والرياسة في الدين لا يصل إلى الظالمين، فهؤلاء متى أرادوا هذا المنصب وجب عليهم ترك اللَّجاج والتعصب للباطل.

الثالث: أن الحج من خصائص دين محمد ﷺ فحكي الله تعالى ذلك عن إبراهيم عليه السلام؛ ليكون ذلك كالحجة على اليهود والنصارى في وجوب الانقياد لذلك.

الرابع: أن القبلة لما حولت إلى الكعبة المشرفة شق ذلك على اليهود والنصارى فبين الله تعالى أن هذا البيتَ قبلةُ إبراهيم الذي يعترفون بفضله ووجوب الاقتداء به، فكان ذلك مما يوجب زوال ذلك الغضب عن قلوبهم[1].

ومنها أن إبراهيم عليه السلام دعا بخروج النبي ﷺ ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾ ثم قال بعدها ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ﴾ (البقرة: ١٣٠)، فلا حجة لهم بترك متابعته.

ومنها بيانُ اللهِ أن إبراهيمَ عليه السلام الذي يتشرفون بالنسبة إليه كان على الإسلام والتوحيد كما كانت وصيته لأبنائه ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (البقرة: ١٣٢).

يقول سيد قطب بعد هذه القصة: في ظل البيان التاريخي الحاسم لقصة العهد مع إبراهيم وقصة البيتِ الحرامِ كعبةِ المسلمين، ولحقيقةِ الوراثةِ وحقيقةِ الدينِ، يناقش ادعاءاتِ أهلِ الكتابِ المعاصرين، وَيَعْرِضُ لحججِهم وجدلِهم ومحالهم فيبدو هذا

---

(١) تفسير الرازي (٤/ ٣٣).

كلَّه ضعيفا شاحبا كما يبدو فيه الْعَنَتُ والادعاءُ بلا دليل. كذلك تبدو العقيدةُ الإسلامية عقيدةً طبيعيةً شاملةً لا ينحرفُ عنها إلا المتعنتون[١].

وهكذا فإن القصة في القرآن لها دَوْرُها البالغ في محاورة أهل الكتاب كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۝ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (النمل: ٧٦، ٧٧) وقال تعالى مبينا فوائد القصص القرآني في نهاية قصة يوسف ﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (يوسف: ١١١).

الحوار معهم بالوعظ والتذكير:

إن أهل الكتاب لا تنقصهم الحقائقُ كما لا يخفي عليهم الهدى، وإنما ينقصهم الإيمانُ؛ لذا نجد القرآن الكريم يعظهم ويذكرهم ليردهم إلى الحق، ولكي لا يبقى لديهم حجةٌ أو عذرٌ.

فتارة يذكرهم بنعم الله عليهم والتي من الواجب أن تقابل بالشكر والإيمان لا بالكفر والجحود، فيسرد النعم التي أنعم الله بِها على بني إسرائيل - في آيات كثيرة يطول سردها - ابتداء بتفضيلهم على العالمين ومروراً بإنجائهم من آل فرعون وإغراق آل فرعون وَعَفْوِ الله عنهم بعد اتخاذِهم العجلَ، وإحيائِهم بعد موتِهم، وتظليلِ اللهِ عليهم الغمام وإنزال المن والسلوى، وتفجير الأرض اثنتا عشرة عيناً .. إلى آخر تلك النعم[٢]. وسنذكر مثالاً على ذلك وهو قوله تعالى: ﴿ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ۝

(١) في ظلال القرآن (١/ ١١٧).

(٢) الحوار مع أهل الكتاب (ص: ١٩٢).

وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ﴾ (البقرة: ٤١، ٤٠).

وتارة أخرى يذكرهم بعاقبة الكفر والعصيان بضرب أمثلة لمن عصى أو كفر منهم، وكيف كانت عاقبته؟ كقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعۡتَدَوۡاْ مِنكُمۡ فِي ٱلسَّبۡتِ فَقُلۡنَا لَهُمۡ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ۝٦٥ فَجَعَلۡنَٰهَا نَكَٰلٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهَا وَمَا خَلۡفَهَا وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾ (البقرة: ٦٥- ٦٦).

وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبۡلِ أَن نَّطۡمِسَ وُجُوهٗا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ أَوۡ نَلۡعَنَهُمۡ كَمَا لَعَنَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلسَّبۡتِۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولًا ﴾ (النساء: ٤٧) وكقوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ قُلۡنَا ٱدۡخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ فَكُلُواْ مِنۡهَا حَيۡثُ شِئۡتُمۡ رَغَدٗا وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُولُواْ حِطَّةٞ نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطَٰيَٰكُمۡۚ وَسَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝٥٨ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوۡلًا غَيۡرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمۡ فَأَنزَلۡنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ﴾ (البقرة: ٥٨، ٥٩) ويقول تعالى عن بعض بني إسرائيل: ﴿ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلۡمَسۡكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴾ (البقرة: ٦١).

وتارة يذكرهم بيوم القيامة وبشدة عذاب الله للعصاة، ليكون ذلك رادعاً لهم عن عصيانهم وكفرهم بمحمد ﷺ. ومن ذلك قوله تعالى مخاطباً بني إسرائيل: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴾ (البقرة: ٤٨)، ويقول تعالى: ﴿ سَلۡ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ كَمۡ

ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ ۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ (البقرة: ٢١١).

ويقول تعالى في سياق محاورة أهل الكتاب: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّۦنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾ (آل عمران: ٢١- ٢٢)، ويقول تعالى ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (المائدة: ٧٢- ٧٣).

ويقول تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (البقرة: ١٧٤).

وقد نزلت هذه الآية في اليهود المعاصرين للنبي ﷺ، قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: نزلت هذه الآية في رؤساء اليهود: كعب بن الأشرف وكعب بن أسد ومالك بن الصيف وحيي بن أخطب وأبي ياسر بن أخطب، كانوا يأخذون من أتباعهم الهدايا، فلما بعث محمد ﷺ خافوا انقطاع تلك المنافع فكتموا أَمْرَ محمدٍ ﷺ وَمْرَ شرائِعِهِ[1].

---

(١) تفسير الرازي (٥/٢٥)، الأثر عن ابن عباس ذكره السيوطي في الدر المنثور، قال: أخرج الثعلبي بسند ضعيف عن ابن عباس- فذكره الدر المنثور [١/٣٠٩]..

وقد كان النبي ﷺ يحاور أهل الكتاب بهذه الآيات وأمثالها، كما كان السلف الصالح يستخدمون هذا الأسلوب في محاورة أهل الكتاب، ومن ذلك تذكير الباجي لأحد الرهبان بقوله: (وأمر الدنيا وشأنها أحقر وأحط من أن يغتر بها ذو عقل أو يسكن إلى غُرُورِهَا ذُو لُبٍّ)[1].

الحوار معهم بالتحدي والمباهلة:

إذا ظهر الحق واستبان فإن التحدي والمباهلة من الأساليب النافعة في إظهار الحق وإبطال الباطل.

أما التحدي فقد ورد في قوله تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ (البقرة: ٢٣- ٢٤) هذه الآية المدنية خطابٌ لأهل الأرض، ويدخل فيهم أهلُ الكتابِ، وقال ابن القيم في بيان دلالتها: إن حصل لكم ريب في القرآن، وَصِدْقِ مَنْ جاء به، وقلتم إنه مُفتعَلٌ فأتوا ولو بسورة واحدة تشبهه، وهذا خطاب لأهل الأرض أجمعِهم، ومن المحال أن يأتي واحد منهم بكلام يَفْتَعِلُهُ ويختلقُهُ مِنْ تِلقاء نفسهِ، ثم يطالب أهلَ الأرضِ بأجمعِهم أن يعارضوه في أيسر جزء منه يكون مقدارُهُ ثلاث آيات من عِدَّةِ أُلوفٍ ثم تعجز الخلائق كلهم عن ذلك ﴿ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ كما يقول المعجز لمن يدعي مقاومته: اجهد على بكل من تقدر عليه من أصحابك وأعوانك وأوليائك ولا تُبْقِ منهم أحداً حتى تستعينَ به.

فهذا لا يقوم عليه إلا أجهل العالم وأحمقه وأسخفه عقلاً إن كان غير واثق بصحة ما يدعيه، والنبي ﷺ يقرأ هذه الآية وأمثالها على أصناف الخلائق أميهم

---

(١) رسالة راهب فرنسا (ص: ٦٩).

وكتابيهم وعربهم وعجمهم، ويقول لن تستطيعوا ذلك ولن تفعلوه أبداً فيعدلون معه إلى الحرب والرِّضى بقتل الأحباب، وهم في حالة لا يقدرون على معارضته[١].

أما المباهلة فهي نوع من التحدي، وقد أمر الله بها في القرآن وبين صفتها فقال تعالى في سياقِ حوارِ أهلِ الكتابِ في عيسى عليه السلام: ﴿ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ (آل عمران: ٦١-٦٣) وقد ورد هذا الأمر الإلهي في الآيات التي نزلت في نصارى نجران لما أتوا النبي ﷺ، وقد روى ابن إسحاق أنه لما أراد النبي ﷺ ملاعنةَ ومباهلةَ النصارى قالوا له: يا أبا القاسم دَعْنا ننظرْ في أمرنا ثم نأتيك بما نريدُ أن نفعلَ فيما دعوتنا إليه. فانصرفوا عنه ثم خلوا بالعاقب وكان ذا رأيهم فقالوا: يا عبد المسيح ماذا ترى؟

فقال: والله يا معشر النصارى لقد عرفتم أن محمداً لَنبيٌّ مرسَلٌ، ولقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم[٢]. ثم قال لهم: فإن كنتم قد أبيتم إلا إِلْفَ دينِكم، والإقامة على ما أنتم عليه من القول فوادعوا الرجلَ، ثم انصرفوا إلى بلادكم. فتركوا الملاعنة، وقالوا للنبي ﷺ: قد رأينا ألا نلاعنك وأن نتركك لدينك ونرجع على ديننا، ولكن ابعث معنا رجلاً من أصحابك ترضاه لنا يحكم بيننا في أشياء اختلفنا فيها من

---

(١) بدائع الفوائد (٤/ ١٣٤- ١٣٥).

(٢) المقصود به عيسى عليه السلام.

أموالنا فإنك عندنا رضا. فبعث معهم أبا عبيدة ﷺ[١]. وهذه القصة من دلائل نبوتة ﷺ

قال الرازي: دلت هذه الموافقة على صحة نبوة محمد ﷺ من وجهين:

أحدهما: وهو أنه ﷺ خوفهم بنزول العذاب عليهم، ولو لم يكن واثقاً بذلك لكان ذلك منه سعياً في إظهارِ كَذِبِ نفسِهِ، لأنه بتقرير أن يرغبوا في مباهلته ثم لا ينزل العذاب فحينئذ كان يظهر كذِبُهُ فيما أخبر، ومعلوم أن محمداً ﷺ كان من أعقل الناس فلا يليق أن يعمل عملاً يُفْضِي إلى ظهور كَذِبِهِ، فلما أصر على ذلك علمنا عندما أصر عليه كوْنَهُ واثقاً بنزول العذاب عليهم.

وثانيهما: أن القوم لما تركوا المباهلة فلولا أنهم عرفوا من التوراة والإنجيل ما يدل على نبوته وإلا لَمَا أحجموا عن مباهلته، بل ودفعوا إليه المال الوفير، وصرحوا بتصديقه[٢].

وهذه المباهلة قد أمر الله بها ودعا إليها النبي ﷺ، ودعا إليها أصحابه، وهي سنة إلى يوم الدين، ليست خاصة برسول الله ﷺ.

قال ابن القيم في فوائد قصة نصارى نجران: (إن السنَّةَ في مجادلة أهل الباطل إذا قامت عليهم حجة الله ولم يرجعوا بل أصروا على العناد، أن يدعوهم إلى المباهلة، وقد أمر الله سبحانه بذلك رسوله ولم يقل إِن ذلك ليس لأمتك من بعدك، ودعا إليه ابن عمه عبد الله بن عباس لمن أنكر عليه بعض مسائل الفروع، ولم ينكر عليه الصحابة، ودعا إليه الأوزاعي وسفيان الثوري في مسألة رفع اليدين)[٣].

---

(١) سيرة ابن هشام (٢/ ١٦٦)، الحديث رواه الطبري في التفسير عن آية: [٦٣] من سورة: آل عمران [٢٩٧/٣]، عن عامر الشعبي مرسلاً. وذكره السيوطي في الدر المنثور وعزاه لأبي نعيم في كتاب الدلائل- الدر المنثور [٢/٦٨-٦٩].

(٢) تفسير الرازي (٨/٨٢).

(٣) زاد المعاد (٣/ ٦٢٤).

الحوار معهم بالاستدلال باستحالة ما يَدَّعونه عقلاً:

يناقش القرآن الكريم أهل الكتاب فيما يدَّعونه مناقشة عقلية، ويثبت لهم أن بعض ما يدعونهُ محالٌ عقلاً، أو يلزم منه أمر لم يقع[١]. فمن ذلك نسبتهم الولد لله، فبين الله عز وجل امتناع ذلك عقلاً كما قال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ۝١١٦ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ (البقرة: ١١٦- ١١٧). ولم يزد الرب عز وجل عن تسبيح نفسه، وإخبارهم بأنه مبدع السماوات والأرض، مع كمال قدرته المنافية لاتخاذهم الولد لله وهذا مما علم بالفطرة.

كما أن الإله مستغن عن غيره ضرورةً، والمسيح ﷺ لم يكن كذلك كما قال تعالى: ﴿ مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴾ (المائدة ٧٥).

كما أن نسبةَ الابن لله يلزم منه أَمْرٌ لم يقع فيعلم بطلانه عقلاً كما قال تعالى: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ (المؤمنون: ٩١). والمعنى: أنه ليس مع الله من إله ولو سلم أن معه سبحانه إلهاً للزم من ذلك التسليم ذهابُ كل إله من الاثنين بما خلق، وعلو أحدهما على الآخر، فلا يتم في العالم أمر، ولا ينفذ فيه حكم، ولا تنتظم أحواله، والواقع خلاف ذلك، ففرض إلهين فأكثر محال لما يلزم منه من المحال[٢].

---

(١) الحوار مع أهل الكتاب (ص: ١٩٦).

(٢) مناهج الجدل (ص: ٧٥- ٧٦).

ومن ذلك قول النصارى: الله ثالث ثلاثة، المخالف للفطرة البشرية والذي يحيله العقل لذا لم يزد الرب عز وجل عن إنكار قولهم من بيان أن التوحيد هو الأصل، كما قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ ﴾ (المائدة ٧٣).

وقال سبحانه: ﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ ﴾ (النساء: ٧١).

ومن ذلك وصف اليهود الرب بصفات النقص، وهذا مما يحيله العقل فطرةً فلا يحتاج إلا إلى الإنكار، كقوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾ (آل عمران: ١٨١)، وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ ﴾ (المائدة: ٦٤).

ومن ذلك عبادتهم للملائكة والنبيين: وزعم النصارى أن عيسى دعا إلى نفسه، فبين الله استحالةَ ذلك كما قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران: ٧٩- ٨٠).

وهكذا يهدم القرآنُ دعاوى أهل الكتاب بنظرة عقلية تجعل لمن له أدنى عقل أن يتراجع عن قوله الذي يُحيله العقلُ والفطرةُ.

وقد استخدم كثير من المحاورين المسلمين هذا الأسلوب، ومنهم على سبيل المثال:

ابن حزم الأندلسي: وقد ساق أقوالَ مَنْ قَالَ: إن الفاعل أكثر من واحد، وساق أقوال النصارى بفرقهم المختلفة والتي فيها الشرك بأنواعه، ثم قال: ولولا أن الله وصف قولهم في كتابه إذ يقول تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾ (المائدة: ١٧) وإذ يقول تعالى حاكياً عنهم: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ﴾ (المائدة: ٧٣) وإذ يقول تعالى ﴿ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ (المائدة: ١١٦) لكفى.

وأبو الوليد الباجي: في بيانه أن عيسى ليس إلهاً يقول لأحد الرهبان: بل هو بشر مخلوق لا يعدو عن دلائل الحدوث من الحركة والسكون، والزوال والانتقال، والتغير من حال إلى حال، وأكل الطعام، والموت الذي كتب على جميع الأنام؛ مما لا يصح على إله قديم[١].

وابن تيمية: يقول منكراً على النصارى التثليث: وهم يدعون أن التثليث والحلول والاتحاد إنما صاروا إليه من جهة الشرع وهو نصوص الأنبياء والكتب المنزلة لا من جهة العقل، وزعموا أن الكتب الإلهية نطقت بذلك، ثم تكلفوا لما ظنوه مدلولَ الكتبِ طريقاً عقلياً فسروه بها تفسيراً ظنوه جائزاً في العقل، ولهذا نجد النصارى لا يلجأون في التثليث والاتحاد إلى الشرع والكتب، وهم يجدون نُفْرَ عقولِهم وقلوبِهم عن التثليثِ والاتحادِ والحلولِ، فإن فطرةَ الله التي فطر الناسِ عليها وما جعله الله في قلوب الناس من المعارف العقلية - التي قد يسمونها ناموساً عقلياً طبيعياً يدفع ذلك، وينفيه، وينفر عنه[٢].

وهذا أحدهم: هداه الله إلى للإسلام يحاجهم فيذكر بعض عبارات التوراة المستحيلة عقلاً مثل: «وندم الله على خلق البشر» و«انتبه لم تنام يا رب! استيقظ

(١) رسالة راهب فرنسا (ص: ٦٥).
(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٢/ ٢٠).

من رقدتك» و «والله ندم على تمليكه شؤول على إسرائيل»، ثم يقول: فهذه التوراةُ التي بأيديهم على الحقيقة كتابُ عُزَيْرٍ وليس كتاب الله[١].

الحوار معهم بفضح سوابقهم مع رسلهم:

كان أهل الكتاب يرفضون رسالة محمد ﷺ، وخشية أن يؤثر موقفهم هذا على البعض بوصفهم أهل كتابٍ سابقٍ يطيل القرآن في بيان مخالفتهم لرسلهم وتعنتهم وعنادهم، وذلك ليظهر للناس كافة أن هؤلاء الرافضين لرسالة محمد ﷺ كانوا كذلك مع مَنْ سبقه من الرسل، فلا يضر رَفْضُهم، ولا يدل على صحة ما عندهم، يقول الشيخ السعدي في باب طريقة القرآن في المجادلة مع أهل الأديان الباطلة: يقيم الأدلة على أهل الكتاب بأن لهم من سوابق المخالفات لرسلهم ما لا يستغرب معه لمخالفتهم لرسوله الخاتم محمد ﷺ الذي جاء مصدقاً لما سبق من الرسالات التي مقصدها جميعاً واحد[٢].

والآيات التي يحاور القرآن فيها أهل الكتاب مبيناً فيها هذا الجانب عديدة جداً منها قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ (البقرة: ٦٣- ٦٥).

وبعد هذه الآيات وأمثالها في سورة البقرة يقول تعالى: ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة: ٧٥).

ويقول تعالى: ﴿ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً

---

(١) إفحام اليهود لِلسَّمَوْءَل بن يحي (ص: ١٣٣- ١٤٠).

(٢) القواعد الحسان لتفسير القرآن (ص: ٤٣).

فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴾ (النساء: ١٥٣)
كما يسلي الله نبيه محمداً ﷺ بأن تكذيبهم لدعوته لا يضر الدعوة شيئاً، فإن جميع الرسل كُذِّبُوا كما قال سبحانه: ﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴾ (آل عمران ١٨٤).

بإثبات أن دعواهم خالية من الحجة والبرهان:

وذلك أن كثيراً من دعاوى أهل الكتاب تنقصها الحجة والبرهان، فيطالبهم الله عز وجل ببرهان على دعواهم، وهم لا يملكون على ما يدعون حجة ولا برهاناً وإنما أماني وتخرص؛ فتسقط دعواهم من غير رد لها ومن ذلك دعواهم: ﴿ وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ (البقرة: ١١١).

ومثل ما حكاه الله عنهم: ﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ ﴾ (البقرة: ١٤٠).

الحوار معهم بالاستدلال بنصوص كتبهم:

ومن مسالك الاستدلال على أهل الكتاب، الاحتجاج عليهم بما يسلمون به من حقائقَ ذُكِرَتْ في كتبهم. وقد احتج القرآن الكريم على أهل الكتاب بذلك فرغبهم بالإيمان بمحمد ﷺ وأخبر عن وجود ذلك في كتبهم كما قال تعالى مادحاً مَنْ آمن منهم: ﴿ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ

وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (الأعراف: ١٥٦- ١٥٧).

كما احتج عليهم بذلك في بعض المسائل الفرعية، كما قال تعالى: ﴿ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾ فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ (آل عمران: ٩٣ ـ ٩٤).

الحوار معهم بالاستدلال بلازم كلامهم:

وذلك أن كثيراً من ادعاءات أهل الكتاب يلزم منها أمور لا يقرونها، وقد حاجَّهم الله بذلك حيث كانوا يدعون أنهم مسلمون، وأنهم متبعون لملة إبراهيم؛ فأخبر الله أن الحج من شعائر إبراهيم عليه السلام، وهم معرضون عنه كما قال تعالى: ﴿ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (آل عمران: ٩٥ - ٩٧).

ولما نزلت: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ (آل عمران: ٨٥) قالت اليهود: فنحن مسلمون. فأنزل الله: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ (آل عمران: ٩٧) فقال لهم النبي ﷺ: «**إن الله فرض على**

الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً» فقالوا: لم يكتب علينا، وأبوا أن يحجوا. لذا قال تعالى: ﴿ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (آل عمران: ٩٧)[1].

وذكر الرازي أن في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ (البقرة: ١٣٥)، استدلالٌ بلازم كلامهم حيثُ يقولُ في عرض شُبَهِ أهلِ الكتابِ: الشبهة الأولى: حُكِي عنهم أنهم قالوا: ﴿ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ﴾ (البقرة: ١٣٥)، ولم يذكروا في تقرير ذلك شُبْهَةً، بل أصروا على التقليد، فأجابهم الله تعالى عن هذه الشبهة. أهـ.

وأثبت أحمد ديدات التحريف في مناظراته العديدة وكتبه المختلفة، وسلك هذا المسلك في الاحتجاج على أهل الكتاب، ومن ذلك مناظرته المشهورة مع سوجارت أَنْ ليس بينهما اثنان متماثلان، وعلماؤك يقولون بأنه بين الأربع والعشرين ألفاً التي كتبوها، لا يوجد اثنان متشابهان، إذاً فكيف لك أن تحكم بأن هذه من عند الله، وأن الأخرى ليست من عند الله من بين أربع وعشرين ألف نسخة؟[2].

ثالثاً: الحوار مع أهل البدع:

وهذا المنهج سلكه أئمة المسلمين، في مناظراتهم لأهل البدع وأقتطف منْها هنا جملة من ذلك حوار وهب بن مُنَبِّه مع ذي خولان أحد الخوارج في اليمن:

قال عليٌّ المدني: حدثنا هشام بن يوسف الصنعانيُّ أبو عبد الرحمن قاضي صنعاءَ، قال: أخبرني داود بن قيس قال: كان لي صديق من أهل بيت خولان من حضور، يُقَالُ له أبو شمر ذو خولان، قال: فخرجت من صنعاء أريد قريته، فلما

---

(١) تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٨٦) بتصرف.

(٢) المناظرة الحديثة في علم الأديان بين الشيخ ديدات والقسيس سوجارت (ص: ١٥١).

دنوت منها، وجدت كتاباً مختوماً في ظهره ((إلى أبي شمر ذي خولان)) فجئته، فوجدته مهموماً حزيناً، فسألته عن ذلك، فقال: قدم رسول من صنعاء فذكر أن أصدقاء لي كتبوا إلي كتاباً، فضيعه الرسول، فبعثت معه من رقيقي من يلتمسه من قريتي وصنعاء، فلم يجدوه، وأشفقت من ذلك.

قلت: فهذا الكتاب قد وجدته، فقال: الحمد لله الذي أقدرك عليه، ففضه فقرأه، فقلت: أقرئنيه، فقال: إني لأستحدثُ سنك، قلت: فما فيه؟ قال: ضربُ الرقابِ، قلت لعله إليك، ناس من أهل خروراء في زكاة مالك، قال: من أين تعرفهم؟ قلت إنِّي وأصحاباً لي نُجالس وهب بن منبه، فيقول لنا: احذروا، أيها الأحداثُ الأغمارُ، هؤلاء الحروراء، لا يُدْخِلونكم في رأيهم المخالف؛ فَهُمْ عُرَّةٌ لهذه الأمَّة.

فدفع إلي الكتاب، فقرأته فإذا فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى أبي شمر، سلامٌ عليك، فإنا نَحْمَدُ إليك الله الذي لا إله إلا هو، ونوصيك بتقوى الله وحده لا شريك له، فإن دين الله رُشْدٌ وهُدىً في الدنيا، ونجاةٌ وفوزٌ في الآخرة، وإن دين الله طاعة، ومخالفة من خالف سنة نَبِيه وشريعته، فإذا جاءك كتابُنا هذا فانظر أن تؤدي - إن شاء الله- ما افترض الله عليك من حقه، تستحق بذلك ولاية الله، وولاية أوليائه والسلام عليك ورحمة الله.

قُلت له: فإني أنهاك عنهم. قال: فكيف أتبع قولك، وأترك قول من هو أقدم منك؟!

قال: قلت: أفتحب أن أدخلك على وهب بن منبه؛ حتى تسمع قوله، ويخبرك خبرهم؟!

قال: نعم، فنزلت ونزل معي إلى صنعاء، ثم غدونا حتى أدخلته على وهب بن منبه، ومسعودُ بنُ عوفٍ والٍ على اليمن من قبل عُروة بن محمد قال بن المديني: هو

عُروة بن محمد بن عطية السَّعْديُّ، ولأونا لهم من سعد بن بكر بن هوزان- قال: فوجدنا عند وهيب نفراً من جلسائه، فقال لي بعضهم: مَنْ هذا الشيخ؟ فقلت: هذا هو أبو شمرٍ ذو خولان من أهل حضور وله حاجة إلى أبي عبد الله.

قالوا: أفلا يذكرها؟. قلت: إنها حاجة يريد أن يستشيره في بعض أمره فقام القوم، وقال وهب: ما حاجتك يا ذا خولان؟، فهرج وجُبن من الكلام فقال لي وهب: عبر عن شيخك، فقلت: نعم، يا أبا عبد الله، إن ذا خولان من أهل القرآن، وأهل الصلاح فيما علمنا، والله أعلم بسريرته، فأخبرني أنه عرض له نفر من أهل صنعاء من أهل حروراء، فقالوا له: زكاتُك التي تؤديها إلى الأمراء لا تجزي عنك فيما بينك وبين الله؛ لأنهم لا يضعونها في مواضعها، فأدِّها إلينا، فإنَّا نضعها في مواضعها، نُقسّمها في فقراء المسلمين، ونقيم الحدود.

ورأيت أن كلامك يا أبا عبد الله، أشفى له من كلامي، وقد ذكر لي أنه يُؤدي إليهم الثَّمرة للواحد مئةُ فَرَقٍ[1]، على دوابِّه، ويبعث بها مع رقيقه.

فقال له وَهْبٌ: يا ذا خولان، أتريد أن تكون بعد الكبر حَرُورياً (يعني خارجياً من الخوارج) تشهد على من هو خير منك بالضلالة؟! فماذا أنت قائل لله غداً حين يوقفك الله وَمَنْ شهدت عليه؟!، والله يشهدُ له بالإيمان، وأنت تشهد عليه بالكُفر! والله يشهدُ له بالهُدى، وأنت تشهد عليه بالضلالة!، فأين تقع إذا خالف رَأْيُكَ أمر الله، وشهادتُك شهادةَ الله؟!. أخبرني يا ذا خولان، ماذا يقولون لك؟.

فتكلم عند ذلك ذو خولان، وقال لوهبٍ: إنهم يأمرونني ألاَّ أتصدَّق إلاَّ على من يرى رأيهم، ولا أستغفر إلاَّ له.

فقال وهب: صدقت هذه محنتهم الكاذبة، فأما قولهم في الصدَّقة، فإنَّه قد بلغني أن رسول الله ﷺ ذكر أن امرأة من أهل اليمن دخلت النار في هرة ربطتها، فلا

---

(١) الفَرَق- . بفتح الفاء والراء- : مكيال يسع ثلاثة آصُع، أو ستَّةَ عَشَرَ رِطْلاً عراقياً.

هي أطعمتها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض[1]، أفإنسانٌ ممن يعبدُ الله وحده، ولا يُشرك به شيئاً، أحبُّ إلى الله من أن يُطعمه من جُوعٍ أو هِرَّةٌ.

والله يقول في كتابه: ﴿ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً، إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءاً ولا شكوراً، إنا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطريراً﴾، ويقول يوماً عسيراً غضوباً على أهل معصيته؛ لغضب الله عليهم ﴿فوقاهم الله شر ذلك اليوم﴾، حتى بَلَغَ: ﴿وكان سعيكم مشكوراً﴾ [الإنسان: ٨- ٢٢].

ثُمَّ قال وَهْبٌ: ما كاد تبارك وتعالى أن يفرغ من نعت ما أعدَّ لهم من النعيم في الجنة.

وأما قولهم: لا يستغفر إلا لمن يرى رأيهم، أهم خير من الملائكة؟!، والله تعالى يقول في سورة ﴿حم ع عسق﴾: ﴿والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض﴾ [الشورى: ٥].

وأنا أُقسم بالله ما كانت الملائكة ليقدروا على ذلك، ولا ليفعلوا حتى أُمروا به؛ لأن الله تعالى، قال: ﴿لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون﴾ [الأنبياء: ٢٧].

وإنَّه أَثْبَتَ هذه الآية في سورة ﴿حم عسق﴾[الشورى]، وفسرت في ﴿حم﴾ الكبرى، قال سبحانه وتعالى: ﴿الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا﴾[غافر: ٧].

---

(١) خشاش الأرض: هوامِّها وحشراتها، و واحدها خشاشةٌ.

ألا ترى يا ذا خولان، أني قد أدركت صدر الإسلام، فوالله ما كانت للخوارج جماعة قطُّ إلا فرقها الله على شر حالاتهم، وما أظهر أحدٌ منهم قوله إلا ضرب الله عنقه، وما اجتمعت الأمة على رجل قط من الخوارج، ولو أمكن الخوارج من رأيهم لفسدت الأرض، وقطعت السبل، وقطع الحجُّ عن بيت الله الحرام، وإذاً لعاد أمر الإسلام جاهليةً، حتى يعود الناس يستعينون برؤوس الجبال كما كانوا في الجاهلية، وإذاً لقام أكثر من عشرةٍ - أو عشرين رجلاً - ليس منهم رجلٌ إلا وهو يدعو نفسه بالخلافة، ومع كل رجل منهم أكثر من عشرةِ آلافٍ يقاتل بعضهم بعضاً، ويشهد بعضهم على بعض بالكفر، حتى يصبح الرجل المؤمن خائفاً على نفسه ودينه، وأهله وماله، ولا يدري أين يسلك، أَوْ مَعَ مَنْ يكونُ، غير أن الله بحكمه وعلمه ورحمته نظر لهذه الأمة، وحسن النظر لهم، فجمعهم وألف بين قلوبهم على رجل واحد ليس من الخوارج، فحقن الله به دماءَهم، وستر به عوراتهم، وعورات ذراريهم، وجمع به فُرقتهم، وأمَّن به سُبُلَهم، وقاتل به عن بيضةِ المسلمين عَدُوَّهُمْ، وأقام به حدودهم، وأنصف به مظلومَهم، وجاهد به ظالمهم رحمةً من الله رَحِمَهُمْ بها، قال الله تعالى: ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض﴾ إلى ﴿العالمين﴾ [البقرة: ٢٥١]، ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً﴾ حتى بلغ ﴿تهتدون﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وقال الله تعالى: ﴿إنا لننصُرُ رُسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد﴾ [غافر: ٥١]، فأين هم من هذه الآية؟!، فلو كانوا مؤمنين لَنُصِروا.

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين، إنهم لهُمُ المنصورون، وإنَّ جندنا لهم الغالبون﴾ بالصافات: ١٧١-١٧٣]، فلو كانوا جُنْدَ الله غلبوا ولو مرة واحدةً في الإسلام.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ولقد أرسلنا من قبلك رُسُلاً إلى قومهم﴾ حتى بلغ ﴿نصر المؤمنين﴾ [الروم: ٤٧]، فلو كانوا مؤمنين نُصروا، وقال: ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض﴾ حتى بلغ ﴿لا يشركون بي شيئاً﴾ [النور: ٥٥].

فأين هم من هذا؟!، هل كان لأحد منهم قطُّ أخبر إلى الإسلام من يوم عمر ابن الخطاب بغير خليفة، ولا جماعة، ولا نظرٍ، وقد قال الله تعالى: ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كُله﴾ [التوبة: ٣٣]، وأنا أشهد أن الله قد أنفذ للمسلمين ما عدهم من الظهور والتمكن والنصر على عدوهم، ومن خالف رأي جماعتهم.

وقال وهْبٌ: ألا يسعك يا ذا خولان، من أهل التوحيد، وأهل القبلة وأهل الإقرار لشرائع الإسلام وسُننه وفرائضه، ما وسع نبي الله نوحاً عليه السلام من عبدة الأصنام والكفار، إذ قال له قومه: ﴿قالوا أنؤمن لك واتبعك الأرذلون﴾ حتى بلغ: ﴿تشعرون﴾. [الشعراء: ١١١-١١٣].

أوَ لا يسعك منهم ما وسع نبي الله وخليله إبراهيم عليه السلام من عبدة الأصنام، إذ قال: ﴿واجنبني وبني أن نعبد الأصنام﴾ حتى بلغ ﴿فإنك غفور رحيم﴾ [إبراهيم: ٣٥-٣٦].

أو لا يسعك يا ذا خولان، ما وسع عيسى عليه السلام من الكفار الذين اتخذوه إلهاً من دون الله؟

إن الله قد رضي قول نوح، وقول إبراهيم، وقول عيسى عليهم السلام، إلى يوم القيامة ليقتدي به المؤمنون وَمَنْ بعدهم، يعني: ﴿إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن

تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم﴾ [المائدة: ١١٨]، ولا يُخافون قول أنبياء الله ورأيهم فيمن يقتدي إذا لم يقتدِ بكتاب الله وقول أنبيائهم، ورأيهم.

واعلم أن دخولك عَليَّ رحمةٌ لك، إن سمعت قولي، وقبلت نصيحتي لك، وحُجَّةٌ عليك غداً عند الله، إنْ تركتَ كتابَ الله، وعُدْتَ إلى قولِ حروراءَ.

قال ذو خولان: فما تأمرني؟.

قال وَهْبٌ: انظر زكاتك المفروضة، فأدِّها إلى من ولاه الله أمره هذه الأمة، وجمعهم عليه، فإن الملك من الله وحده وبيده، ويؤتيه من يشاء، وينزعه ممن يشاء، فمن ملكه الله لا يقدر أحدٌ أن ينزعه منه، فإذا أديت الزكاة المفروضة إلى والي الأمر برئت منها، فإن كان فضلٌ فَصِلْ به أرحامك، ومواليك وجيرانك من أهل الحاجة، وضيفٌ إن ضافك. فقام ذو خولان فقال: أَشْهدُ أني نزلتُ عن رأي الحرورية، وصدقتُ ما قلتَ، فلم يلبث ذو خولان إلا يسيراً حتى مات[1].

حوار رجل من أهل الكلام مع الإمام الشافعي:

جاء رجل من أهل الكلام إلى الإمام الشافعي وهو في مصر، فسأله عن مسألة في الكلام، فقال له الشافعي: أتدري أين أنت؟.

قال الرجل: نعم.

قال: هذا الموضع الذي أَغْرَقَ اللهُ فيه فرعونَ، أبلغك أن رسول الله ﷺ أمر بالسؤال عن ذلك؟!.

قال: لا.

قال: هل تكلم فيه الصحابة؟.

قال: لا.

---

(١) أخرجها ابن عساكر في تاريخ دمشق [١٧/ق ٤٧٨، ٤٨٣]، والمروزي في تهذيب الكمال ١٥/٣١، والذهبي في السير (٤/٥٥٣).

قال: هل تدري كم نجماً في السماء؟.

قال: لا.

قال: فكوكب منها تعرف جنسه، طلوعه، أُفولَهُ، مِمَّ خُلق؟.

قال: لا.

قال: فشيء تراه بعينك من الخلق لست تعرفه تتكلم في علم خالقه؟!.

ثم سأله الشافعي عن مسألة من الوضوء، فأخطأ فيها، ففرعها إلى أربعة أوجه، فلم يُصب في شيء من ذلك.

فقال له: شيء تحتاج إليه في اليوم خمس مرات تدع علمه، وتتكلف عِلْمَ الخالق؟!، إذا هجس في ضميرك ذلك، فارجع إلى الله، وإلى قوله تعالى: ﴿وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم، إن في خلق السموات والأرض..... ﴾[البقرة: ١٦٣، ١٦٤].

فاستدِلَّ بالمخلوق على الخالق، ولا تتكلف علم ما لم يبلغه عقلك فتاب الرجل[١]، على يد الإمام الشافعي من الكلام، وأقبل على فقه الكتاب والسنة[٢]، وكان يقول بعد التوبة: ((إنا خُلُقٌ من أخلاق الشافعي))[٣].

حوار الإمام أحمد بن حنبل مع أمير المؤمنين الواثق في مسألة خَلْق القُرآنِ:

قال الآجري - رحمه الله-:

(١) هذا الرجل الذي تاب من علم الكلام هو الإمام العلامة علم الزُّهَّاد أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى ابن مسلمة المُزني المصري تلميذ الشافعي، ولد سنة (١٧٥هـ)، وله المختصر في الفقه، وقد شرحه عدة علماء، توفي - رحمه الله- سنة (٢٦٤هـ)، وانظر: السير (١٢/٤٩٤)..

(٢) المرجع السابق (١٥/٢٥-٣٢).

(٣) المرجع السابق (١٢/٤٩٢).

بلغني عن المهتدي - رحمه الله- أنه قال: ما قطع أبي - يعني الواثق- إلا شيخ جيء به من المصيصة، فمكث في السجن مُدة، ثم إن أبي ذكره يوماً فقال: علي بالشيخ، فأتي به مقيداً، فلما أُوقف بين يديه، سلم عليه، فلم يرد عليه السلام، فقال له الشيخ: يا أمير المؤمنين، ما استعملت معي أدب الله تعالى، ولا أدب رسول الله ﷺ، قال الله تعالى: ﴿وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها﴾ [النساء: ٨٦].

وأمر النبي ﷺ بردِّ السلام.

فقال له: وعليك السلام، ثم قال لابن أبي داؤد: سَلْهُ.

فقال: يا أمير المؤمنين، أنا محبوس مقيد، أُصلي في الحبس بتيممٍ، مُنعت الماء، فمر بقيودي تُحَلّ، وَمُرْ لي بماء أتطهر وَأُصَلِّي، ثم سلني.

قال: أَمَرَ فَحُلَّ قَيْدُهُ، وَأَمَرَ له بماءٍ، فتوضأ وصلى، ثم قال لابن أبي داؤد سَلْهُ.

فقال الشيخ: المسألة لي، تأمره أن يجيبني. فقال: سَلْ.

فأقبل الشيخ على ابنِ أبي داؤد يسأَلُهُ، فقال: أخبرني عن هذا الأمر الذي تدعو الناس إليه، أشيءٌ دعا إليه رسول الله ﷺ؟!

قال: لا.

قال: فشيء دعا إليه أبو بكر الصديق - رضي الله عنه- بعده؟!.

قال: لا.

قال: فشيء دعا إليه عمر بن الخطاب - رضي الله عنه- مِنْ بعدهما؟!.

قال: لا؟.

قال الشيخ: فشيءٌ دعا إليه عثمان بن عفان - رضي الله عنه- بعدهم؟!.

قال: لا.

قال: فشيءٌ دعا إليه عليٌّ بن أبي طالبٍ - رضي الله عنه- بعدهم؟!.

قال: لا.

قال الشيخُ: فشيءٌ لم يَدْعُ إليه رسول الله ﷺ، ولا أبو بكر، ولا عمر، ولا عثمان، ولا عليٌّ - رضي الله عنهم- تدعو أنت الناس إليه؟!، ليس يَخْلو أن تقولَ: عَلِمُوهُ أو جَهِلُوهُ، فإن قلت جَهِلُوهُ وعلمتُهُ أنا، فيا لُكَعُ بْنَ لُكَعَ[1]، يجهل النبي ﷺ والخلفاء الراشدون - رضي الله عنهم- شيئاً، وتعلمه أنت وأصحابُك؟!.

قال المهتدي: فرأيتُ أبي وَثَبَ قائماً، ودخل الحيري[2]، وجعل ثوبه في فيه يضحك، ثم جعل يقول: صدق، ليس يخلو من أن نقول: جهلوه أو علموه، فإن قلنا: علموه وسكتوا عنه، وسعنا من السكوت ما وسع القوم، وإن قلنا: جهلوه وَعَلِمْتَهُ أنتَ وأصحابُك، فيا لُكَعُ بن لُكَعَ، يجهل النبي ﷺ وأصحابه - رضي الله عنهم- ، شيئاً تعلمُهُ أنت وأصحابُك؟!.

ثم قال: يا أحمدُ. قال: لبيك. قال: لست أعنيك، إنما أعني ابن أبي داؤد، فوثب إليه، فقال: أَعْطِ هذا الشيخ نفقةً، وَأَخْرِجْهُ عن بلدنا.

وفي رواية أوردها الذهبي في ((السير)): وسقط من عينه ابن أبي داؤد، ولم يمتحن بعدها أحداً.

وفي رواية: قال المهتدي: فرجعتُ عن هذه المقالة، وأظن أن أبي رجع عنها منذ ذلك الوقت [3].

حوار شيخ الإسلام ابن تيمية مع بعض الطوائف:

لقد كان شيخ الإسلام شديد الانتصار لمذهب السلف، والدفاع عنه بالحجج العقلية والنقلية، وقد عُقِدَتْ له مناظراتٌ في مصرَ والشامِ فمنها:

---

(١) اللُّكَعُ: اللئيم والأحمق..

(٢) الحيري: مِنْ الحير- بالفتح-: شبه الحظيرة. انظر ((لسان العرب)) (٣/٤١٧).

(٣) قال الذهبي: هذه القصة مليحة، وإن كان في طريقها مَنْ يُجْهَلُ، ولها شاهد في ((السير)) (١١/ ٣١٣). وأخرجها الآجري في الشريعة ص: ٩١.

المناظرة الأولى:

وكانت في العقيدة الواسطيَّة التي كتبها لرضيِّ الدين الواسطي من أصحاب الشافعيِّ، حينما طلب منه بإلحاح أن يكتب له عقيدةً تكون عُمدةً له، ولأهل بيته في مدينة واسط، فكتبها الشيخ، وانتشرت بين الناس؛ مما أدى إلى ثورة كبيرة من علماء الجهمية والاتحادية، والرافضة، وغيرِهم من ذوي الأحقادِ، فسعى هؤلاء إلى السلطانِ في البلادِ المصريةِ، فكتب السُلطان إلى نائبه على بلاد الشام يأمره بجمع قُضاةِ المذاهبِ الأربعةِ، وغيرِهم من نُوَّابهم، والمُفْتين، والمشايخ، وعندما وصل الكتابُ إلى أميرِ الشامِ جَمَعَ قضاةَ المذاهبِ الأربعةِ، والعلماء، والشيخ ابن تيمية في قصر الولاية بدمشق، وذلك يوم الاثنين الثامن من رجب سنة (٧٠٥هـ)، ثم بدأ المجلس وقراءة العقيدة الواسطية من أولها،وكانت مناقشة الشيخ ومناظرته بحضور الأمير، فناظرهم الشيخ، ورد عليهم، وَبَيَّنَ له مذهب السلف الصالح، وأن هذه العقيدة هي عقيدة أهل السنة والجماعة، وهي التي يدل عليها الكتاب والسنة، وإجماع السلف، وصار يُناظر أصحابَ المذاهبِ، فكان أعلمَ بمذهبِهم منهم، وأعجزهم أمام الأمير.

ثم انتهى المجلس الأول، واجتمعوا للمجلس الثاني يوم الجمعة بعد الصلاة في الثاني عشر من رجب سنة (٧٠٥هـ)، وقد أحضر قُضاةُ المذاهب الأربعة معهم صفيَّ الدين الهندي، وتكلم مع الشيخ تقي الدين كلاماً كثيراً ولكنَّ ساقيَتَهُ لاطمتْ بحراً عميقاً، ثم استلم من ناظر عقبهُ، فكان كالبحر الزاخر، حتى إن هؤلاء القضاةَ والعلماءَ عجزوا عن مناظرتِهِ؛ لأنه كان يرد عليهم بالكتاب والسنة، ويدعوهم إلى التمسك بمذهب السلف الصالح، ويبين لهم أنه لم يضع هذه العقيدة من ذات نفسه، وليس لأحد أن يشرع للناس ما لم يأذن به الله، وإنما العقيدة تؤخذ من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، و إجماع سلف هذه الأمة، فما أثبته اللهُ لِنَفْسِهِ وكذا أثبته

الرسول ﷺ من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تمثيل، ولا تكييف فَهُوَ ثابتٌ له، وما نفاه عن نفسه، أو نفاه عنه رسولُهُ ﷺ وجب نفيه عنه؛ لأنه تعالى أعلم بنفسه.

وانتهى هذا المجلس أمام الأمير، أما عن ابن تيمية فقد خرج والناس يحملون له الشمع إلى منزله على عادتهم في ذلك.

ثم عُقد المجلسُ الثالثُ في اليومِ السابعِ من شعبان سنة (٧٠٥هـ) في القصر واجتمع الجماعةُ كلهم على الرِّضى بالعقيدة الواسطية، وأخذ بعضهم يمدح الشيخ، ويثني عليه، وكان هذا كلُّه أمام رئيسِ المجلسِ نائبِ السلطان[١].

فأُظهر اللهُ الحقَّ، والباطلَ، وظهرت محاورةُ ابن تيميةَ الحكيمةُ أمام الجميع، فجزاه الله خيراً.

المناظرة الثانية:

وكانت هذه المناظرة - والتي أعز الله بها أهل السنة، وخذل بها أهل البدع والخُرافاتِ- مع الطائفة الأحمدية البطحائية، الذين كانوا يخالفون الشيخ تقي الدين في عقيدة السلف الصالح، وكان يأمرهم باتباع الكتاب والسنة، وينكر عليهم فعلهم وأحوالهم الشيطانية، وفي يوم السبت تاسع جمادى الأولى سنة (٧٠٥هـ) حضر هؤلاء المبتدعةُ في جمع هائلٍ إلى قصر نائب السلطان طالبينَ أن يكف عنهم الشيخ ابن تيمية ومذهبه السلفي، وعندما رآهم الناس اجتمع عليهم جم غفير، ولكن الأمير لم يقبل منهم إلا بحضور الشيخ ومناظرته، فأرسل إليه ووصل، وسأله الأمير، فأخبره ابن تيمية أن هؤلاء من أهل البدع، وقد أفسدوا من دين المسلمين ما اللهُ به عليم، وذكر له جميعَ ما يعرف عنهم، وأنه نهاهم عن البدع، وهم يأتون بأحوال شيطانية، ومنها دخولهم النار، واستعد الشيخ أنهم إذا دخلوا النار في هذا

---

(١) انظـر: ((الفتـاوى)) (٢/١٦٠-٢٠١)، و((حياة ابن تيمية)) (ص:٢٧)، و ((البداية والنهاية)) (١٤/٣٦-٣٧).

اليوم فسيدخل معهم، ومن احترق فعليه لعنة الله، ولكن بعد غسل الأجسام بالخل والماء الحار؛ لأنهم يطلون أجسامهم بأدوية من دهن الضفادع، وباطن قشر النارنج، فإذا غسلت الأجسام بطلت الحيلة.

وحضر شيوخهم الأكابر يطلبون مِنْ الأمير الصُّلْحَ، والعفو عن الماضي والتوبة، واتباع الكتاب والسنة، فقبل منهم ابن تيمية، ولكن عارض شيخ آخر من الصوفية، فناظره ابن تيمية أمام الغفيرة الغفيرة، وتحداهم ابن تيمية في مشارق الأرض ومغاربها بأي شيءٍ يصنعونه في النار من حيلهم إلا صَنَعَ مثلهم بشرط الغسل، ولحكمة ابن تيمية قال: يكفي في ذلك قنديلٌ يُوقدُ داخلَ أصبع المناظر منهم وابن تيمية بعد الغسل.

وعندما سمع الصوفية ذلك انهزموا أمام الجموع، وأقروا بالتزام الكتاب والسنة، وطلب ابن تيمية من الأمير أن يضرب عُنُق مَنْ خالف الكتاب والسنة، فأعلن الأميرُ للناس أن مَنْ خالف الكتابَ والسنةَ ضُرِب عُنُقُهُ، وطلب الصوفيةُ من الشيخ الكتبَ الصحيحةَ، فَبُذِلَتْ لهم، وتفرق الناس على التوبة، وسمع الناسَ يقولون: ﴿ فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون، فَغُلِبُوا هنالك وانقلبوا صاغرين ﴾ [الأعراف: ١١٨، ١١٩][1].

(١) انظر هذه المناظرة مُطولة في ((الفتاوى))٩ (١١/٤٤٥-٤٧٥)، وقد سُقتها بالمعنى، واستفدت ذلك من كتاب ((الحكمة في الدعوة إلى الله))، وانظر مناظرات أخرى مفيدة في ((الفتاوى)) (١١/١٣٥-١٥٦).

الباب الرابع

حـــوار الحضـــارات

- **الفصل الأول:** مفهـوم الحضارة.
- **الفصل الثاني:** مقدمة تاريخية عن عالمية الإسلام.
- **الفصل الثالث:** حوار الحضارات في المفهوم الإسلامي.
- **الفصل الرابع:** التقاء الإسلام بالحضارات الأخرى.
- **الفصل الخامس:** الرؤية المستقبلية لحوار الحضارات.

الفصل الأول

مفهوم الحضارة

الحضارة: مشتقة من الحضر، والحضر خلاف البدو؛ والحاضر خلاف البادي. ويقال: فلان من أهل الحاضرة، وفلان من أهل البادية، والحِضارة - بكسر الحاء - الإقامة في الحضر. وكان الأصمعي يقول: الحضارة بالفتح، قال القطامي:

فمن تكن الحضارةُ أعْجَبَتْهُ ... فأي رجالِ باديةٍ ترانا

والحضر والحاضرة؛ خلاف البادية. وهي المدن والقرى والريف. سميت بذلك لأن أهلها حضروا الأمصار، وسكنوا الديار التي يكون لهم بها قرار[١].

إذن أهل الحضر يوصفون بأنهم أهل القرار كما يقال للحضري: قراري، الذي لا ينتجع ولا يتنقل طلباً للكلأ في مواضعه. كذلك يوصف أهل الحضر بأنهم: أهل المدر، وهو قطع الطين المتماسك. أو أهل الحجر. لأنهم يسكنون بيوتاً متينة ثابتة، خلافاً لأهل الوبر، الذين يسكنون الخيام، من وبر الإبل، أو صوف الغنم، أو شعر الماعز[٢].

ومفهوم كلمة «الحضارة» مفهومٌ تَطَوَّرَ مع الزمن لاسيما في تاريخ الحياة العربية. ولقد عرف العرب الفارق بين حياة البادية وحياة الحضر، منذ كانت باديةٌ ومنذ كان حَضَرٌ. ولكن أول من تصدى لهذا التمييز على أساس الدراسة الواعية هو العلامة عبد الرحمن بن خلدون[٣].

ويرى أن الحضارة هي نمط من الحياة المستقرة الذي يناقض البداوة، ويضفي على حياة أصحابها فنوناً منتظمة من العيش والعمل والاجتماع والعلم والصناعة، وإدارة شئون الحياة والحكم، وترتيب وسائل الدعة وأسباب الرفاهية[٤].

---

(١) لسان العرب (١/ ٦٥٨).

(٢) القيم الحضارية في رسالة الإسلام (ص: ٩).

(٣) عبد الرحمن بن خلدون، توفي سنة ٨٠٨ هـ

(٤) أضواء على الحضارة الإسلامية (ص: ١٧).

والحضارة في فكر ابن خلدون: طور طبيعي أو جيل من أجيال طبيعية في حياة المجتمعات المختلفة وأنها غاية العمران[١].

ويقول: إن الحضارة في الأمصار من قبل الدول، وأنها ترسخ باتصال الدول ورسوخها. إنها أحوال زائدة على الضروري من أحوال العمران زيادة تتفاوت بتفاوتِ الرَّفَهِ، وتفاوتِ الأممِ في القلةِ والكثرةِ تفاوتاً غَيْرَ مُنْحَصِرٍ، ويقع فيها عند كثرة التفنن في أنواعها وأصنافها، فتكون بمنزلة الصنائع[٢].

والباحث يجد أن مفهوم الحضارة في العصور المتأخرة قد امتد إلى ألوان من المعاني هي أبعد وأوسع مما رآه ابن خلدون في عصره، وفي البيئة العربية، وفي انتقالها الاجتماعي والسياسي والمدني من البادية إلى الحضر.

إن لفظ الحضارة في مفهومه العام والحديث المعاصر بصفة خاصة، قد أصبح أكثر اتساعاً مما يدل عليه اللفظ في مفهومه اللغوي التقليدي.

ولذا جاء في المعاجم الحديثة: إن الحضارة هي الرقي العلمي، والفني، والأدبي، والاجتماعي، والاقتصادي في الحضر. وبعبارة أخرى أكثر شمولاً هي: الحصيلة الشاملة للمدنية والثقافة والفكر، ومجموع الحياة في أنماطها المادية والمعنوية.

فالحضارة معناها: بذل المجهود بوصف الناس كائنات إنسانية من أجل تكميل النوع الإنساني وتحقيق التقدم من أي نوع كان في أحوال الإنسانية وأحوال العالم الواقعي.

إن الحضارةَ هي جملةُ المظاهرِ المعنويةِ التي يخلفها التاريخ والتي تبقى في المجتمع على مر الأيام دليلاً على القدرات الذهنية المميزة، وتعبيراً عن روحِ هذا المجتمعِ والشعبِ الذي يمثلُهُ.

ولاشك أن المظاهر المعنوية تأخذ قوالب مادية مختلفة تتجسم فيها تلك المعنويات، وتشكل المظاهر المعنوية في صور مختلفة كالفنون والآداب والعلوم

---

(١) مقدمة ابن خلدون (١/ ٢١٠- ٢١٣)

(٢) مقدمة ابن خلدون (١/ ٦٥٦- ٦٥٧).

والمعارف. ومجموع ما ينتج عن ذلك كله من تسجيلات ومشاهد في الآثار والعمائر وأسلوب الحياة، وآداب المعاش اليومي[١].

فالسلوك الإنساني الذي ينتج الحضارة هو استجابة لِتَحَدٍّ من ظروف الطبيعة يكون هو المثير والدافع والحافز للإنسان. كي يتغلب على ما يواجهه، ومن ذلك عواملُ في طبيعة الإنسان نفسِها مثل حاجاته للطعام، والشراب، والدفء، والاستقرار، والأمن؛ وهناك منافسةُ الإنسان الآخر له على ذلك؛ ثم ما يكون من قصور ظروف بيئته المادية عن تلبية هذه الحاجات[٢].

فالحضارةُ تحقيقٌ للراحة الإنسانية في جوانبها المتعددة، المتقابلة المتكاملة، جسدية، وعقلية، ونفسية، وروحية؛ والسلوك الحضاري هو: جواب الإنسان على التحدي المواجه له؛ تحدى الطبيعة المادية من جهة؛ وتحدى حاجاته هو من جهة أخرى، وتحدي الإنسان الآخر أو المجتمع من جهة ثالثة؛ ويأتي هذا الجواب الإنساني على التحدي في صور نشاط متعدد الجوانب؛ كما تشمل أيضاً صور الإنتاج المادي من عمائر وطرق وجسور وقناطر وغيرها.

والحضارة على أي حال تمثل كل مظهر من مظاهر الإنتاج البشرى. وغالباً ما يحدوها سلوك الإنسان وطرق معيشته وتفاعله مع البيئة. ولذا كان من الطبيعي أن تختلفَ كلُّ حضارة في مظاهرها عن الحضارات الأخرى، فلكل حضارة من الحضارات قديمها وحديثها مظاهرُ مميزةٌ[٣].

ولقد وُاِجدَتْ حضارات مختلفة في الزمان والمكان، وانتفعت من بعضها انتفاعاً أدى إلى تقدمها في مجتمعات كثيرة.

ولا يمكن أن تكون كل حضارة نشأت بمعزل عن غيرها من الحضارات الأخرى، أو أنها لم تتفاعلْ معها. ونظرتنا الأساسية تقوم على أن الحضارات تأخذ وتعطي.

---

(١) فلسفة الحضارة (ص: ١٨).

(٢) القيم الحضارية في رسالة الإسلام (ص: ١٦).

(٣) معالم حضارات الشرق الأدنى القديم (ص: ٢).

تأخذ ما يتفق مع طبيعة البنيان العقلي والفكري للأمة. وتعطي ما تجود به نوعيتها ونشاطها الفعال. وبطبيعة الحال، فإن هذا التفسير أقربُ إلى فهم روح الفكر، والنشاط الإنساني المتصل الذي بدأ تاريخه ومسيرته مع بداية الإنسان على هذه الأرض[1].

ولا يخفى أن النشاط العقلي، والإنتاج الحضاري، لابد وأن يستند إلى أدلة ملموسة والأدلة في هذه الحالة إما مادية مثل: النقوش والمعابد والآثار والمنشآت. وكذا شكل الإنتاج التكنولوجي. وإما فكرية مثل: الوثائق والمؤلفات والكتب والنظريات العلمية، والآراء المدونة كتابةً. أما فيما يتصل بالأدلة المادية، فإنها ميدانُ اهتمام التاريخ وباحثيه، وعلماء الآثار، ودارسيها. فدراسة هؤلاء تهدفُ إلى تفسير الحضارة الإنسانية بالأدلة المادية التي تميز حضارة من الحضارات عن غيرها. على حين أن مؤرخي العلم يهتمون بصورة أساسية بالنشاط الفكري، والنظريات والآراء وتطور الأفكار التي يقومون على تحليلها ونقدها ومحاولة تفسيرها.

(١) المشكاة (ص: ١٦٦).

الفصل الثاني

مقدمة تاريخية عن عالمية الإسلام

ظهرت الطبيعة العالمية لرسالة الإسلام من الأيام الأولى. كان حول الرسول ﷺ سلمان الفارسي وصهيب الرومي وبلال الحبشي - رضي الله عنهم- لقد آخى الإسلام بينهم وصهرت روحهُ القويةُ فوارقَ الدمِ والجنسِ فيهم كما كان حولهَ الرجالُ والنساء والأطفال ؛ أحراراً وعبيداً.

وعندما استقر الرسول ﷺ بالمدينة كان من أعماله الأولى المؤاخاةُ التي قام بها بين المهاجرين والأنصار فقرن كل واحد من المهاجرين بواحد من الأنصار اعتبره أخاه، ووصل كرم الأنصار، وثقتهم في هذه المؤاخاة إلى الدرجة التي كان الأنصاري يعرض على أخيه المهاجر نصف ماله وإحدى زوجتيه بعد أن يطلقها.

وكانت الثانية هي: «صحيفة الموادعة المشهورة» التي جمعت الفئات اليهودية داخل إطار «أمة المدينة» ورتبت عليهم واجباتٍ كما منحتهم حقوقاً وواجبات.

وتعد صحيفة الموادعة من أولى المعاهدات التي ترتفع فوق حواجز الدين وفوارق الجنس وتمنح الجميع حقوقاً وواجباتٍ متساويةً.

ومع مرور الوقت كانت الطبيعة العالمية للإسلام تتضح وأصبحت نصوص القرآن صادعةً بذلك، مُصَرِّحةً ببعثةِ الرسول ﷺ إلى الناس جميعاً وتصف عالمية الإسلام الآيات التالية ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ (الأعراف: ١٥٨)، ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴾ (الأنبياء: ١٠٧)، ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ (سبأ: ٢٨).

وسلك الإسلام طريقة حضارية سليمة في الدعوة لعالميته، فها هي الخطابات التي أرسلها الرسول ﷺ إلى ملوك الدول المعروفة وقتئذ الروم والفرس ومصر

وكانت هذه الكتب تدعو هؤلاء الحكام إلى الإيمان بالإسلام أو تحملهم مسئولية إبقاء جماهيرهم في ظلمات الكفر إن رفضوا.

وكما هو معروف فقد رفض الجميع باستثناء المقوقس الذي لم يرفض ولم يقبل، وأهدى إلى الرسول ﷺ هدايا. ذلك أنه كان لا يسع المسلمين غير ذلك، فليس لديهم قوة أن يقنعوا الملوك ولكن عندما تَوَافَرَتْ لهم القوة كان لا بد لهم من تبليغ الشعوب والأمم، بصفة عامة برسالة الإسلام.

ذلك أن التبليغ برسالة الإسلام باعتباره الرسالة الخاتمة أَمْرٌ إلهيٌّ، قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (البقرة: ١٤٣)، ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾ (النساء: ٤١)، ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ (النحل: ٨٩)، ﴿ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ ﴾ (الحج: ٧٨).

إن الإسلام كما هو عقيدةٌ دينيةٌ، فإنه أيضاً عدالةٌ دنيويةٌ، وقيمٌ حضاريةٌ، وقد استبعد الإسلام فَرْضَ العقيدةِ الدينيةِ بالقوةِ؛ على أهل الكتاب دُونَ مَنْ سِواهم من المشركين والوثنيين الذين خيرهم بين الإيمان أو القتال، حتى يعم التوحيدُ أرجاءَ المعمورةِ.

هنا نجد أفضل صورة للعالمية، صورة تعرف الناس بدين يستبعد عبادة الأحبار والرهبان والملوك والطغاة، ويعرض عبادة الرحمن الرحيم الخالق الكريم رمز القيم والمثل الغائبة والإيمان برسول الله النبي الخاتم ﷺ رحمةِ الله للعالمين.

وفي الوقت نفسه فإن تطبيق القيم والنظم الإسلامية التي تقوم أساساً على العدالة، وتستبعد كل صور الظلم والطغيان تحرر المجتمع، وتفتح أبواب الحرية، وآفاقَ المبادرات للأفراد جميعاً.

إن للإسلام عالميةً وضعها تطبيقاً لتوجيه القرآن ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ ﴾ (الحجرات: ١٣).

وهذه العالميةُ لا تقفُ أمامها حدودٌ أو سدودٌ وهي تنظر إلى الناس جميعاً دون تفرقة بين أبيض وأسود. ذكر وأنثى، والإسلام يجد من واجبه أن يعرف الناس بالإسلام كعقيدة دينية وعدالة دنيوية وقيم حضارية، فالمسلمون هم حملة رسالة عليهم أن يبلغوها.

إن الإسلام بطبيعته عالمي وإن عالميته تقوم على التعريف به، وما فيه من قيم، وإن هذا يمكن أن يتم مع احتفاظ أهل الكتاب بدينهم؛ لأن الإسلام وإن كان عقيدة من ناحية فهو نظام في ناحية أخرى وقاعدته العامة هي الآية ﴿ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران: ٦٤).

سمات عالمية الإسلام ومظاهر ذلك:

وتتمثل عالميةُ الإسلام في عدمِ اختصاصِهِ بجنسٍ من الأجناس البشرية، وبعدم انحصار تطبيقه في إقليم خاص، أو بيئة معينة. ويكون عالمياً بامتداد هدايته أزماناً طويلة تتجاوز العصر الذي بدأت فيه. بمعنى أن يكون الدين صالحاً لكل جنس، وكل جيل ولكل زمان ومكان. وبمعنى آخر: يكون الدين عالمياً: إذا كان شريعة

الإنسان من حيث هو إنسان بغض النظر عن العوامل والفوارق العارضة، التي لا تدخل في ماهية الإنسان كإنسان، وبدون ذلك لا يتحقق معنى العالمية في أي دين.

وهناك خصائص يجب أن يشتمل عليها الدين ليكون عالمياً وصالحاً لكل زمان ومكان، هذه الخصائصُ هي:

١- وفاؤه بحاجة الناس جميعاً، فيما يصون وحدتها، ويرعى إنسانيتها، ويحمي أفرادها في العاجل والآجل.

٢- تشريعاته التي تضمن قيام الإنسانية كلِّها في محيطٍ واحدٍ، ولا تنزع معه إلى عصبية دم، أو اختلاف لون، أو فُرْقَةِ جنسٍ.

٣- اتساقُهُ مع حقائقِ الكونِ، وخصائصِ الوجودِ؛ بحيث لا يتعارضُ مع ما يَثْبُتُ مِنْ حقائقِ العلمِ، أو يختلف مع منطق الفكر.

وكذلك لا يكون عالمياً إلا إذا صحب الإنسان في جميع أزمانه المتطورة، وعصوره المتلاحقة، أي: يكون خالداً، لا يعتريه نسخ أو زوال ولا عقم ولا جمود؛ موفياً بجميع مطالب الإنسان المتنوعة المتجددة في كل الميادين التي يزاول فيها الإنسانُ بعقله الواسع نشاطهَ الكاملَ. ولا يوجد دينٌ فيه هذه المواصفات التي تجعله عالمياً، إلا دين الإسلام.

والعالمية من القيم التي تنبثق من عقيدة الإسلام؛ لأن مجتمع الإسلام هو مجتمع الإنسانيةِ كُلِّها، مجتمع ليس لجغرافيته حدود، وليس للعنصرية فيه وجودٌ.

فالرسالة الإسلامية قد توجهت للناس كافة، من جميع الأجناس والألوان، وفي كل العصور، وبالعالمية التي اتصف بها الإسلام، يتميز عما سبقه من رسالات سماوية كانت تتوجه إلى أقوام بعينهم، في عصر معين[1].

---

(١) هذا هو الإسلام، سماته وحاجة الإنسانية إليه.(ص: ١٣٢).

عناصر ومقومات عالمية الإسلام:

إن الإنسان وهو يتابع عالمية الإسلام يلحظ بوضوح، أن العالمية في الإسلام، قد قامت على عناصر متكاملة:

العنصر الأول: وحدانية الإله، وإنكار تعدد الآلهة، ومن هنا كان أساس الإيمان في شريعة محمد ﷺ أن يكون بالله وحده لا شريك له، وتنزيهه عن كل صفة يتصف بها خلقه.. واقتضى هذا العنصر:

١- وحدانية الربوبية. فلا خالق، ولا مدبر، ولا متصرف سواه.

٢- ووحدانية الألوهية. فلا معبود، ولا مسؤول، ولا مستعان سواه، وبالوحدانية بِشِقَّيْهَا دعا الإسلام.

العنصر الثاني: الإيمان بكتب الله المنزلة على الأنبياء، سواء منها ما أنزل على محمد ﷺ، وما أنزل على إخوانه السابقين؛ لأن هذا الإيمان عنصر من عناصر الإسلام، لا يتحقق إلا به.

فالإيمان بوحدانية الله، والإيمان بكتبه، ورسله، عناصر رئيسة في العالمية التي جاء بها الإسلام.

أدلة عالمية الإسلام:

إن عالمية الإسلام قضية لابد لها من أدلة تدعمها، وشواهد تثبتها، ولهذا سنحاول أن نعرض هذه الأدلة لتكون معالمَ الطريقِ في عالمية الدين الإسلامي.

الأدلة النقلية: وهي أدلة تعتمد على ما ورد في كتاب الله، وسنة نبيه محمد ﷺ من قوله وفعله. وأدلة الكتاب جاءت منها آيات مكية، تدل على أن وصف العالمية لازَمَ الدعوة الإسلامية من أيامها الأولى، ومنذ أشرقت على الناس، كما جاءت منها آيات مدنية تنبئُ عن العالمية واستمراريتها.

فمن الآيات: قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (الأعراف: ١٥٨).

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴾ (يوسف: ١٠٤).

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا عَلَّمْنَـٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ (يس: ٦٩ ـ ٧٠).

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴾ (القلم: ٥٢).

ومن أدلة السنة النبوية: ما رواه جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: «**أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي، كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى كل أحمرَ وأسودَ**» الحديث[1].

ويقول رسول الله ﷺ: «**إني قلت يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً**» الحديث[2].

وفي كتاب النبي ﷺ إلى جيفر وعياذ ابني الجلندي ملكي عمان، قوله: **فإني رسول الله إلى الناس كافة، لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين**[3].

---

(١) رواه البخاري [حديث ٣٣٥- ٤٣٨]، في كتاب الصلاة، باب الصلاة في البيعة، ومسلم [٥٢١]، وهذا لفظه في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب [٥].

(٢) رواه البخاري [٤٦٤٠]، من حديث أبي الدرداء ﷺ، كتاب التفسير، باب: ﴿قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً﴾.

(٣) المواهب اللدنية للقسطلاني (١/ ٢٢٥).

الأدلة العقلية: وهي تقوم على المقومات الأساسية، الخالدة للإسلام إذ أنه قائم على العقل والبرهان، وأن هناك أصولاً أولية يتألف منها دستور علمي، يوجه إلى ينابيع الحكمة، وهي تنحصر في هذه الكليات التي تفيد: دوام النظر، والتفكير في الوجود إجمالاً، وفي الكائنات التي فيه تفصيلاً، ودرس أحوال الأمم، والاعتبار بها، وتنور نواميس الاجتماع خلالها، والاستهداء بالأعلام المنصوبة في الوجود لهداية السالكين إلى الحقائق الخالصة من الشوائب، والتجرد من جميع الصيغ الوضعية، ومن الهوى في الحكم على الأشياء، والاجتهاد في تحصيل العلم حيث كان، واعتبار الفضائل وسائل لبلوغ الكمال؛ الذي قدره الخالق للإنسان في هذا العالم، واعتبار وحدة الإنسانية، وأن الناس ما قسموا إلى أمم وشعوب وقبائل، ليتخالفوا ويتناكروا، وإنما ليتعارفوا ويتحابوا[1].

ويضاف إلى ما سبق من عوامل أساسية كدليل على عالمية الإسلام: أن كلمة «الإسلام» لا تدل على اسم شخص بعينه، أو أمة بعينها، وإنما تدل على صفة مخصوصة بضمنها معنى الإسلام.

ويظهر من هذا الاسم: أنه ما عُنِيَ بإيجاد هذا الدين وتأسيسه رجل من الرجال، وليس خاصاً بأمة معينة، دون سائر الأمم، وإنما غايته أن يصبغ الأرض جميعاً بصفة الإسلام، فكل من اتصف بهذه الصفة من غابر الناس وحاضرهم هو مسلم، ويكون مسلماً كل من سيتحلى بها في المستقبل.

فالكلمة إذن بمدلولها وغايتها عامة شاملة، تتسع لماضي الناس وحاضرهم ومستقبلهم، كما وَسِعَتْ نبوات الأنبياء جميعاً، ولم تتخذ صفة الانتساب لأحدهم دون الآخر.

والإسلام بلغة القرآن: ليس اسماً لدين خاص، إنما هو اسم للدين المشترك الذي هتف به كل الأنبياء، وانتسب إليه كل أتباعهم.

---

(١) الدين العالمي ومنهج الدعوة إليه (ص: ٢٤ ـ ٢٥).

الأدلة الواقعية: وهي كثيرة، وكلها تشهد لعالمية الإسلام وأنه دين الإنسانية كلها فمنها:

أولا: كان من السابقين إلى الإسلام أبو بكر الصديق العربي، وبلال الحبشي، وسلمان الفارسي، وصهيب الرومي.

فأبو بكر الصديق ﷺ كان من رؤساء قريش في الجاهلية محبباً فيهم، مألوفاً لهم، وكان إليه الأشناق[١] في الجاهلية، كان إذا حمل شيئاً صدقته قريش وأمضوا حمالته، وحمالة من قام معه، وإن احتملها غيره خذلوه ولم يصدقوه. فلما جاء الإسلام سبق إليه، وأسلم على يده جماعة لمحبتهم له، وميلهم إليه[٢].

أما بلال بن رباح ﷺ: فقد اشتراه أبو بكر الصديق ﷺ وأعتقه لله عز وجل، وكان عمر بن الخطاب ﷺ يقول: أبو بكر سيدنا، واعتق سيدنا، يعني بلالا.

وقال مجاهد: أول من أظهر الإسلام بمكة سبعة: رسول الله ﷺ، وأبو بكر، وخباب، وصهيب، وعمار، وبلال، وسمية أم عمار[٣].

وأما سلمان الفارسي: فأصله من فارس، وكان ببلاد فارس مجوسياً، سادن النار[٤]. فجاء إلى العرب في قصة طويلة وأسلم.

وأما صهيب الرومي: فكان أبوه وعمه عاملين لكسرى على الأيلة[٥] وكانت منازلهم على دجلة عند الموصل.

---

(١) الأشناق: هي الديات التي يدفعونها ومفردها (دية) ابن الأثير، أسد الغابة (٣/ ٣١٠).

(٢) أسد الغابة (٣/ ٣١٠).

(٣) أسد الغابة (٥/ ٤٨١)، وهذا الأثر جاء مثله عن ابن مسعود بسند حسنه أكرم العمري في السيرة النبوية الصحيحة [١/ ١٣٨]، وقد رواه الإمام أحمد في المسند [١/ ٤٠٤]، والحاكم [٣/ ٢٨٤]، وقال صحيح الإسناد، وصححه الألباني في السيرة النبوية الصحيحة لابن كثير[١٢١].

(٤) أسد الغابة (٢/ ٤١٧).

(٥) هي: بلدة على شاطئ دجلة، على بعد أربعة فراسخ من البصرة في زاوية الخليج، الذي يدخل إلى مدينة البصرة وهي أقدم من البصرة، كان سكانها قوم من الفرس، يعملون في البحر، فلما قرب منهم العرب نقلوا ما خف من متاعهم وعيالهم إلى مدينة سيدان. انظر معجم البلدان (١/ ٧٦ ـ ٧٨)، والروض المعطار (ص: ٨ ـ ٩).

ثانياً: من الحقائق الواقعية في التعامل الإسلامي الدال على عالمية الإسلام: أنه نادى كل الناس، فكانت العقيدة الفائقة التي وضعها الإسلام، والمبدأ العام الذي يجب أن تسير عليه البشرية في تطورها؛ لتصل إلى غايته هو المعبَّر عنه في قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (الحجرات: ١٣).

فالإسلام - كما يفهم من النصوص القرآنية - جاء ليقيم رابطة الإنسانية القائمة على ارتباط البشر جميعاً بالله الخالق، فهم جميعاً عباد الله لا ليجعل شعباً معيناً شعبه المختار.

والرسول ﷺ الذي أمر بتبليغ الإسلام، خوطب في القرآن الكريم على هذا الأساس: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ ولم يرسل ليكون هادياً إلى قومه وحدهم كما أُرسل موسى هُدًى لبني إسرائيل، وكما أرسل عيسى عليه السلام إلى بني إسرائيل إنما أرسل ليكون للناس أجمعين.

ثالثاً: ومن الحقائق الدالة على عالمية الإسلام: الكتب والرسائل التي بعث بها النبي ﷺ إلى ملوك الأمم، يدعوهم فيها إلى الإسلام.

يقول ابن هشام: بعث رسول الله ﷺ رسلاً من أصحابه كَتَبَ معهم كتباً إلى الملوك، يدعوهم فيها إلى الإسلام.

- فبعث دحية بن خليفة الكلبي، إلى قيصر ملك الروم.
- وبعث عبد الله بن حذافة السهمي إلى كسرى ملك الفرس.
- وبعث عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي ملك الحبشة.
- وبعث حاطب بن أبى بلتعة إلى المقوقس عظيم مصر.

وأشار ابن هشام، في سيرة النبي ﷺ إلى كتب ورسائل أخرى إلى ملوك عمان، واليمامة، والبحرين، وتخوم الشام. ومن أمثلة هذه الكتب: ما أرسله النبي ﷺ إلى

النجاشي، إذ قال له: «بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى النجاشي ملك الحبشة. أسلم أنت، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، الملك القدوس، السلام المؤمن، المهيمن، وأشهد أن عيسى ابن مريم روح الله، وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة، فحملت بعيسى، خلقه الله من روحه ونفسه، كما خلق آدم بيده، وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له والموالاة على طاعته، وأن تتبعني وتؤمن بالذي جاءني، فإني رسول الله، وإني أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل فقد بَلَّغتُ ونصحتُ، فاقبلوا نصيحتي، والسلام على من اتبع الهدى»[1].

والأدلة على عالمية الإسلام أكثر من أن تذكر، وتتجلى في الإسلام وأحكامه، وتشريعه، وأخلاقه، وفضائله، وكل ومضة من ومضاته، وإشراقةٍ مِنْ إشراقاته.

---

(١) سيرة ابن هشام (١/ ٢١٨).

الفصل الثالث

حوار الحضارات في المفهوم الإسلامي

تعد قضية الحوار مع الآخر فريضة شرعية اقتضتها دعوة الإسلام، التي اعتمدت في رسالتها إلى العالم منطق الرفق واللين والمجادلة بالتي هي أحسن. ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ (النحل: ١٢٥).

ولعل الحوار في أدق معانيه ودلالاته الاصطلاحية: يعبر عن اتجاه سام بالمجتمعات الإنسانية بعيداً عن نزق الأهواء، وجموح العواطف، وغائلة الظلم، والتعصب، والانفلات... والحوار إلى جانب هذا يعد من أرقى الوسائل إلى إقرار الحق والعدل والمساواة في دنيا البشر؛ إنه توظيف حيوي لملكات الخير في النفس البشرية كي تعمل دورها في الحياة للحيلولة دون انحدار البشر على اختلاف انتماءاتهم الحضارية إلى شَفَا الحروب والصدامات!

والإسلام ابتداء، ومن منطلق دعوته الكونية لم يضمر لأحد من الناس كيداً ولا ضغينة ولا حقداً قط، فالإسلام لا يريد أن يدفع أهل الكتاب إلى الإيمان به قهراً وقسراً كما فَعَلَتْ وتفعلُ حضارة الغرب[1]. فغير المسلمين اعتمد القرآن في خطابه إليهم منهجاً للحوار، ولاسيما القضايا الأكثر حرجاً وتعقيداً، وذلك صيانة للمسلمين والمؤسسات؛ فرغم خلافنا العقدي معهم لم يشأ الله لنا التعرض إليهم بسب أو تجريح؛ تلافياً لما قد لا يعود بنفع على دعوة الله عزل وجل في الأرض ﴿ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ (الأنعام: ١٠٨).

وأهل الكتاب قد ميزهم الله في كتابه الكريم من حيث الخطاب والمعاملة؛ ذلك بأنهم كانوا معنيين قبل بعثة النبي ﷺ بتأمين عقيدة التوحيد في أرض الله، فهم

(١) قضايا التنمية والاستقلال في الصراع الحضاري (ص: ٩١).

أصحاب رسالات سماوية سابقة، وأهل نبوات سابقة، والطبيعي أن يسعوا حثيثاً من جانبهم إلى غرس القيم السماوية في نفوس البشر أجمعين، كل بحسب ما لديه من مرجعيات. فلما كان التفريط من جانبهم والصد والإعراض: أرشدنا الله تعالى إلى كيفية مخاطبتهم: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (آل عمران: ٩٩)، ولما بلغت الإساءة من جانبهم إلى الله مبلغاً؛ أخذ القرآن الكريم يخطب ودهم، متمسكاً بما ينبغي الالتقاء عليه، والالتفاف حوله، والعمل من أجله ﴿ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران: ٦٤).

والإسلام في هذا السياق يعتني بالأصول والكليات، ويهتم بما هو أهل للاتفاق عليه، دون خوض في تفاصيل ثانوية لا طاقة لأولى الجد بها!! ولعل الدعوة القرآنية إلى اعتبار إبراهيم عليه السلام رمزاً مشتركاً لقضية العقيدة من دلالات رغبة الإسلام الصادقة في البعد بالحوار الحضاري عن أجواء الاختلاف والتوتر والعصبية[1].

﴿ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ (البقرة: ١٣٦).

فهي خطوات جادة - من خلال الحوار حول الإيمان بأنبياء الله جميعاً - نحو التقارب والتعارف والتعايش في ظلال مفاهيم سليمة سمحة كريمة، خالية من التمايز الزائف والتفاضل المغشوش ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ

---

(١) حوار الحضارات وإشكالية التصادم، وآفاق الحوار (ص: ٢٦٦).

وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات: ١٣).

ولقد اقتضت عالمية الإسلام: شق قنوات اتصال بالآخرين، ومد يد التعاون والتفاعل الإيجابي معهم، وذلك وصولاً إلى تحقيق قدر معقول من التوازن في حركة الحياة.. ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ (فصلت: ٣٤).

أما من استغنى: فالإسلام وضع بشأنهم العهود والمواثيق، فلقد كانت المدينة المنورة مقام خليط من الملل والأعراق والعصبيات؛ فاتجه النبي ﷺ إلى وضع دستور تتحدد من خلاله معالم الوحدة الاجتماعية، وتصورات التعايش الحضاري مع أصحاب الرسالات وأهل الذمم والعهود.

قال ابن إسحاق: وكتب رسول الله ﷺ كتاباً بين المهاجرين والأنصار، ودعا فيه اليهود وعاهدهم، وأقرهم على دينهم وأموالهم وشرط لهم واشترط عليهم: أن اليهود يقفون مع المؤمنين في حروبهم، وأن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، وأن ليهود بني النجار مثل ما ليهود بني عوف، وإن الله جارٌ لمن بر واتقى ومحمد رسول الله[1].

إن الإسلام يرى اختلاف الأجناس والألوان، وتباين الطبائع والأفهام، وتعدد المواهب والقدرات، من مقتضى حكمة الله جل وعلا: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ

---

(١) السيرة لابن هشام (٢/ ١٢٨)، ورواه البيهقي في السنن الكبرى [١٠٦/٨]، كتاب الديات وابن سيد الناس في عيون الأثر [١/١٩٨]، وأبو عبيد في الأموال [٥١٧] وكتاب الأموال لابن زنجويه [٧٥٠]. وذكرها أكرم العمري في السيرة النبوية الصحيحة [١/٢٧٢-٢٧٥] وقال: ذهب الأستاذ يوسف العش إلى أن الوثيقة موضوعة بل رواها ابن إسحاق بدون إسناد ونقلها عنه ابن سيد الناس ثم ذهب ينقده العمري مطولاً وقوى أمرها- [٤٧٢/١]، وانظر حاشية يوسف العش حاشية [٩] ص [٢٠]، كتاب الدول العربية وسقوطها.

أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۖ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۚ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ (المائدة: ٤٨)، فلعل هذا الاختلاف يحقق للبشرية قدراً من طموحها وتطلعاتها إلى التنمية الحضارية من خلال التعاون والتفاعل الإيجابي فيما بين يدي بني الإنسان من معطيات السماء المادية والروحية.

فالحوار مِنْ ثَمَّ كان ضرورة بشرية، بحكم طبيعة تلك المعطيات، وفضلاً عما ينبغي الائتلاف عليه من أمور ترجح في الحقيقة ما قد يختلف بصدده[1].

فعلى الناس أن يستشعروا الرابطة الأسرية الكبرى التي بينهم، فأبوهم آدم وأمهم حواء، وبهذه الرابطة ذكَّر القرآن الناس وكثيراً ما ناداهم يا بني آدم فلم لا يعيشون عيشة الأسرة الواحدة ويرجئون كلمة الفصل بينهم إلى مَنْ إليه مصيرهم؟![2].

وبعيداً عن جو الصدمات والحروب: أتاح الله للطاقات البشرية مجالات خير متعددة تستوعب زخمها الطاغي اللحوح، ولتثبت من خلال تلك المجالات كفاءتها، وتحقق بالعمل النافع لكل البشرية ذاتها الحضارية، وتميزها بقيم الخير.. ﴿ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾ (المطففين: ٢٦).

﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (البقرة: ١٤٨).

وتأييد الله في هذا السياق لا يقر المحاباة إلا بالحق، فتلك سنةٌ من سنن الله في خلقه لا تبديل لها ولا تحويل[3] ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ

(١) حوار الحضارات وإشكالية التصادم (ص: ٢٧).
(٢) مبادئ التعايش السلمي في الإسلام (ص: ١٥١).
(٣) حوار الحضارات وإشكالية التصادم (ص: ٢٧)

دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴾ (النور: ٥٥).

الفصل الرابع

التقاء الإسلام بالحضارات الأخرى

التقاء الحضارة الإسلامية مع حضارات الأمم المختلفة تم بناء على أن العالم هو أقرب ما يكون إلى منتدى عالمي لحضارات متميزة تشترك أممها في عضوية هذا المنتدى، ومن ثم فإن بينها ما هو مشترك حضاري عام.

والذين يعايشون حياة الشعوب والأمم ذات الحضارات الغنية، والتاريخ القديم، والتراث العريق، أو يغوصون في تراث هذه الأمم وفلسفتها، ومذاهبها، وتقاليدها، وأعرافها يدركون أن العالم الإنساني به أمم متعددة تتميز كل منها بشخصيتها الحضارية المتميزة.

وإننا إذا نظرنا في مذاهب هذه الأمم وأعرافها، وفي معايير الحلال والحرام، والمشروع والممنوع لدى أبنائها، وفي موازين الأذواق والحاسة الجمالية، وفي تصوراتها لمكان الإنسان من الكون، وتصوراتها لمصيره بعد الموت، إذا نحن نظرنا إلى مذاهب هذه الأمم، في هذه القضايا الأمهات أدركنا السماتِ التي تُمايزُ بينها جنباً إلى جنب مع سماتٍ تشترك فيها، فتجمع بينها[١].

ولا يخفي أن الداعية الإسلامي الذي يسبر أغوار المواريث الفكرية لهذه الأمم، ويتتبع خيوط هذا التمايز الحضاري، يجد أنها تضرب بجذورها في أعمق أعماق التاريخ حيث كان البابليون، والآشوريون، والفينيقيون، والمصريون، وغيرهم ممن أسهموا في الفكر الإنساني، وكان لهم تمايز حضاري[٢].

ولعل نظرة فاحصة إلى أمم مثل الفرس والصين والهند واليابان ستفضى بالباحثين إلى الاجتماع على حقيقة تميز الشخصيات والمواريث الحضارية، وطرائق العيش، والحياة، وفي النظرة للكون وتصوره لدى شعوب وأمم هذه الحضارات.

---

(١) حوار الحضارات وإشكالية التصادم (ص: ٨ ـ ٩).
(٢) أضواء على الحضارة الإسلامية (ص: ٨٠)

وكذلك الحال إذا تأملنا الحضارة الغربية منذ اليونان، وحتى نهضتها الحديثة، والحضارة الإسلامية منذ تبلورها كانت ثمرة لاندماج المواريث القديمة للشعوب التي دخلت الإسلام - بعد الإحياء لهذه المواريث - وثمرة لاندماج هذه المواريث في الفكر الإسلامي، الذي صفاها وطورها وفقاً لمعاييره[(١)]. حيث لم يكن المسلمون مجرد نقلة ولكن إضافاتهم للأصول التي نقلوا عنها تشهد بأنهم زادوا، وابتكروا.

إذن لا بد من التصور الذي يقوم على أن الفكر إذا نظرنا إليه على المستوى العالمي الإنساني وجدنا في هذا الفكر ما هو «مشترك إنساني عام» لا يختص بحضارة بذاتها. وفي هذا الفكر أيضاً ما يتميز بالخصوصية والاختصاص.

والعرب هم وارثوا الحضارات القديمة، إذ لم يكونوا قبل الإسلام معزولين عن جيرانهم أصحاب الثقافات العريقة عزلة كاملة؛ فقد انفردت الصحراء العربية بين صحارى العالم أجمع بأنها أحيطت منذ القدم بأرقى حضارات العالم. ففي الشمال ازدهرت حضارة ما بين النهرين، وحضارات الإغريق، والكنعانيين، والآراميين، وجزر بحر إيجه، وفي الغرب ازدهرت حضارة المصريين القدماء، وفي الشرق كانت الحضارة الفارسية ومن ورائها الحضارات الآسيوية الأخرى، وفي الجنوب كانت حضارة اليمن.

وكانت القوافل العربية دائبة الحركة بين مراكز هذه الحضارات عند أطراف الصحراء تنقل البضائع والسلع، وكان لا بد أن تتحرك المعارف والثقافات مع السلع والبضائع، وأن تختلط هذه الثقافات وتتزاوج في حركة بطيئة ولكنها ثابتة مستمرة. وأن يؤدى كل ذلك إلى تصفية الأفكار والمعارف وتقدمها تبعاً لهذا الاختلاط والتزاوج[(٢)].

في هذا الجو جاء الإسلام، إنه لم ينتشر في فراغ؛ فالأمم التي صادفها أو اتصل بها في حركة المد الكبيرة، أو تلك التي اعتنقته ودانت به أمم عرفت حضارات شتى، وثقافات متنوعة، ومرت بتجارب، وخبرات متعددة.

---

(١) الغزو الفكري وهم أم حقيقة (ص: ٩) «بتصرف».

(٢) المصدر السابق (ص: ١٦٤).

وكان الاختلاط بهذه الأمم اختلاط قتال وحروب ومعارك أولاً، ثم اختلاط حضارة وثقافة وأفكار بعد ذلك. ومن هنا كان التأثير والتأثر، ومن هنا كان التفاعل والإخصاب، وكان الأخذ والعطاء، وتبادل الأفكار والآراء.

وبذلك عرفوا حضارة الهند، وحكمة فارس، وفلسفة اليونان، واختلط المسلمون بأقوام تنوعت عقائدهم، وتشعبت آراؤهم. وصادفوا مئات المفكرين والباحثين والمثقفين، واتصلوا بأصناف من الأفراد والجماعات لا تدخل تحت حصر، وشاع التزاوج والإصهار، وتفاعلت العادات والتقاليد والآراء والأفكار والمذاهب والمواقف والعلاقات. وجاءت وحدة الدين لتعطي هذا التفاعل صيغة فريدة، ونتج عن ذلك كله مزاج فكرى واجتماعي وروحي جديد أعطى الحضارة الإسلامية معناها ومبناها[١].

لقد قام المسلمون بتحرير العلوم، وتنقيتها من الشوائب، وتطويرها، وتنميتها، وصقلها، وإصلاح فاسدها مسترشدين بالمنهج العلمي العام الذي رسمه للمسلمين مصدرا التشريع: القرآن والسنة.

إن الدولة الإسلامية الجديدة التي عملت على نشر الإسلام في الممالك المختلفة، والتقت بحضارات الأمم لم تأخذ من الحضارات إلا لكي تعطي، إنها لم تقبل التراث الفكري اليونإني وغير اليونإني إلا لكي تهضمه بعقليتها الجديدة، وتتمثله بمنطق تفكيرها، وروح عقيدتها، وبكل أصالة تاريخها وخصبه، وترده بعد ذلك أضعافاً مضاعفة. فقد أقبل المسلمون على علوم اليونان، والهنود وأصحاب الحضارات القديمة يغترفون منها ما كان في وسعهم أن يغترفوا، لكن تلك العناصر التي التهموها قد تحولت على أيديهم لتكون غذاء جديداً[٢].

---

(١) المرجع السابق (ص: ١٦٤).

(٢) أصالة الفكر العربي (ص: ١٦٧).

إن العلماء المسلمين وهم يستوعبون نتاج الحضارات القديمة والمذاهب والأفكار، ويستعينون بها في عملية البناء كان رائدهم في ذلك البحث عن الحقيقة لذاتها والحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها التقطها.

لقد أخذ المسلمون ما أخذوا لأنهم طلاب حقيقة وهذا حسبهم، إنهم لم يقدموا على النقل والاقتباس للتجمل والزينة، وليباهوا الناس بكثرة الأحجار الكريمة، والأساور والعقود، بل بناء الذات، واستدراك ما فات، واستكمال أسباب الحياة.

لقاء الإسلام بالحضارة الفارسية:

ليس هناك شك في أن الفتح الإسلامي للإمبراطورية الفارسية، ودخول الفرس بمواريثهم الحضارية الغنية في إطار الدولة الإسلامية قد أتاح أوسع الفرص لتفاعل حضاري واسع، وعميق بين الحضارة الفارسية وبين الفكر الإسلامي. لكن الراصد لهذا التفاعل بين الفكر الإسلامي - إبان تبلور حضارته، وبين الميراث الفارسي يستطيع أن يميز بين ما قُبل وبين ما رُفض من هذا الميراث.

لقد فتحت فارس على عهد الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ، وكذلك فتحت الأودية الزراعية للأنهار الكبرى في الدولة الإسلامية: النيل، ودجلة، والفرات. ولم يتردد عمر بن الخطاب ﷺ في تبني النظام الفارسي في ضريبة الأرض الزراعية الذي كان يسمى وضائع كسرى وظل سائداً ومعمولاً به حتى عُدّل في ظل الدولة العباسية.

فأنت ترى أنه في عهد عمر بن الخطاب تم استلهام خبرة وتجربة حضارية فارسية في طرق تقدير الضريبة على الأرض الزراعية. ولكن المسلمين الناشرين للإسلام في فارس كانوا حذرين كل الحذر وشديدي الرفض والمقاومة لكل ما هو خصوصية حضارية فارسية، تتعارض مع معايير الإسلام، وجوهر معتقداته، وخصائصه الحضارية المتميزة.

لقد رفضت الخلافة الإسلامية - وهي نمط متميز في الحكم - ما تميزت به مواريث الحضارة الفارسية في نظام الحكم وفلسفته السياسية التي كانت ترى رأس

الدولة كسرى ابناً للإله أهورا - مزدا يحكم باسمه، ونيابة عنه زاعماً أن لقانونه وتنفيذه قداسة الإله والدين.

كذلك رفضت الحضارة الإسلامية ميراث الفرس في النظام الطبقي المغلق لتعارضه الجذري مع فلسفة الإسلام في المساواة بين الناس في الحقوق والواجبات. والذين يقرءون مصنفات علماء الإسلام في الملل والنحل، وصراعهم الفكري مع الفرق والمذهب غير الإسلامية يدركون المقاومة الباسلة التي ووجهت بها مذاهب الفرس وعقائدهم وفلسفاتهم[1]. فعلى حين فتحت الأبواب للتجارب الإنسانية العملية، ولعلوم التمدن العملي كان الحذر بل المقاومة للفلسفات والمعتقدات المخالفة للمعايير الإسلامية، إنْ في السياسية أو في الاجتماع أو في الدين.

لقاء الإسلام بحضارة الشام ومصر وبلاد الشمال الإفريقي:

لقد أخذ المسلمون ينشرون الإسلام خارج الجزيرة العربية بين الشعوب غير المسلمة ونشأت الحضارة الإسلامية في كنف القرآن الكريم، والسنة النبوية. وكانت الأمم الداخلة في الإسلام ذات حضارات مزدهرة، فنشأ بين حضاراتها والإسلام مزج وتفاعل ولقاء، وبدت أعظمُ مظاهر هذا المزج في النظم الاجتماعية، والآراء العقلية.

واشترك الدعاة إلى الإسلام مع أهل البلاد التي فتحت صدرها للإسلام في الحركة الاجتماعية والاقتصادية. وبهذا كله امتزجت أمور أخرى كثيرة، وتأثرت بهذا الامتزاج كلُّ مرافق الحياة والنظم السياسية الاجتماعية، والطبائع العقلية.

وكانت الأمم المفتوحة للإسلام أرقى من العرب مدنية؛ ولهذا أسهمت في نشأة الحضارة الإسلامية. وحضارة مصر والشام والشمال الأفريقي ـ كانت ذات ميراث بيزنطي ـ استفادت منها حضارة الإسلام في تدوين الدواوين وهو خبرة إدارية بيزنطية.

---

(١) الغزو الفكري وهم أم حقيقة (ص: ٢٠٨).

ويخبرنا التاريخ أن الأمير خالد بن يزيد بن معاوية سعى إلى مدرسة الإسكندرية ؛ ليتعرف على ما فيها من تراث، وقد كتب إلى أبيه يزيد بن معاوية يبشره بنجاح سعيه وبلوغ ما أراد، فكتب قصيدة أرسلها إلى أبيه في هذا الشأن يقول فيها :

أيا راكباً نحو الشـآم عشيـة يؤمُّ دمشقاً قف فاحمـل كتابياً

وبلغ يزيداً حين يتلو رسـالتي وقل خالدٌ قد نال ما كان راجياً

ألا قد ملكت الشمس والبدر عنوة وحزتهما من بعد طـول عنائيا

وخالد بن يزيد يقصد بالشمس الذهب، وبالبدر الفضة. وكانت صناعة الكيمياء آنذاكّ قائمة على أساس تحويل المعادن الخسيسة إلى الفضة والذهب[١].

وبهذا بدأت حركة الترجمة للعلوم الطبيعية والتجريبية، وفنون التمدن العملي والتي سميت بعلوم الصنعة.

وإذا كانت الحضارة الإسلامية تفاعلت مع حضارتي مصر والشام، وتبنت ما في هذه المجتمعات من المعارف والعلوم والتجارب الإنسانية، فإنها في الوقت نفسه حاربت الغنوصية والهلينية في الفلسفة، وعارضت عقائد ومذاهب المسيحية التي أخرجتها الروح الهلينية عن نقاء عقيدة التوحيد.

لقاء الإسلام بالحضارة الهندية:

الهند قارة تسكنها مجموعة شعوب مختلفة الأجناس، والمذاهبُ الدينيةُ، والفكرية، والاجتماعية. وجهودُ الهند في التعليم قديمة جداً، وأكثر نتاج الهند الفكري كُتِبَ باللغة السنسكرتية وهي معروفة الأصول ؛ مما ساعد على معرفة جميع نواحي الثقافة الهندية.

والباحث في الحضارة الهندية يجد أن الهنود أسهموا في كثير من العلوم القديمة، فمن أقدم الرسائل الفلكية كتاب (السدهانتا) حوالي ٤٢٥م، ثم أبحاث (أريابهاتا)

---

(١) أضواء على الحضارة الإسلامية (ص: ٨١).

أعظم الفلكيين والرياضيين الهنود الذي علل الكسوف والخسوف في حركة الأرض حول الشمس. أي قال بدوران الأرض حول الشمس، وشرح كروية الأرض في دورتها الحيوية حول محورها، كما عرف هذا الرياضيُّ النظام العشري[١].

وفي أيام أبى جعفر المنصور قَدِمَ كثيرٌ من علماء الهند، وكان معهم (السدهانتا) السند هند باللغة السنسكريتية. وقد كلف أبو جعفر العلامة أبا إسحاق بن حبيب الفزاري بتعريبه ففعل، وقام الخوارزمي بتصحيحه ومراجعته[٢]. وقد استفاد المسلمون من الأرقام عند الهنود فهذبوها وكونوا منها سلسلتين عرفت إحداهما بالأرقام الهندية، وعرفت الثانية باسم الأرقام الغبارية[٣].

فعندما التقى الإسلام بمواريث الحضارة الهندية أخذ ما يتناسب معه، وترك ما لا يتفق مع مبادئ الإسلام. إن أسلافنا ميزوا بين العلوم الطبيعية، والعلمية، والتجريبية التي أخذوها وطوروها وبين ديانات الهند ومذاهبها وفلسفاتها التي رفضوها؛ لتعارضها مع عقيدة التوحيد[٤].

لقاء الإسلام بالحضارة اليونانية:

لا يوجد في الحضارات القديمة حضارة تثير الدهشة والإعجاب مثل الحضارة اليونانية، لأن هذه الحضارة جمعت آثار الحضارات البابلية، والمصرية، والفينيقية، والفارسية، ثم أضافت إليها آثاراً فنية رائعة، ومذاهب فكرية مبتكرة، ومبادئ خلقية سامية يتجلى فيها الإبداع بأقوى مظاهره. ولا شك أن للعوامل التاريخية، والجغرافية، والاقتصادية، والاجتماعية تأثيراً في تكون الحضارات ولكن هذه الأسباب لا تكفي لتفسير ما تميزت به حضارة اليونان من قوة الإبداع، والابتكار. لقد غربل اليونانيون آثار الحضارات القديمة، ومحصوها أعمق تمحيص،

---

(١) الإسلام في حضارته ونظمه (ص: ٥١١، ٥١٢).
(٢) خزائن الكتب العربية في الخافقين(١/ ٥٠).
(٣) أضواء على الحضارة الإسلامية (ص: ٩٤).
(٤) تاريخ الهند أو تحقيق ما للهند من مقولة في العقل أو مرذولة (ص: ٨٠) بتصرف.

فحذفوا منها ما حذفوا، واستبقوا منها ما استبقوا، ولكن حضارتهم ليست حصيلة الحضارات السابقة فحسب، وإنما هي حضارة متميزة أطلقت حرية العقل، وجاوزت حدود الزمان والمكان[١].

ويذكر العلماء أن الحضارة اليونانية عرفت باسم الحضارة الهلينية نسبة إلى (هلين) الجد الأكبر الخرافي للشعب اليوناني. وقد انتشرت هذه الحضارة الهلينية مع امتداد نفوذ الإغريق التجاري الاستعماري، ولما فتح الإسكندر المقدوني الشرق امتزجت الثقافة اليونانية بروح الشرق، فنشأت حضارة مزيجة عرفت بالهلينية، وأخصبت عدة مراكز في الشرق[٢].

ولما جاء الإسلام وجد في هذه المراكز حضارة يونانية، في الإسكندرية، وفي أنطاكية وغيرهما. وكان لا بد لهذه الحضارة الإغريقية أن تظهر على مسرح الوجود عنواناً على حضارة هذه الأمة الآرية التي علمت الإنسانية الكثير من أنماط الفكر وسياقاته، ولكنْ كان لها النسقُ الخاص بها، المتصل ببيئة المجتمع اليوناني، ولذلك حين وضع الإسلام منهجه المعبر عن حضارته كان لا بد من اختلاف وتعارض في المنهج، وفي المادة بينه وبين الفلسفة اليونانية[٣].

لقد سعى المسلمون إلى ترجمة العلوم الطبيعية اليونانية آخذين إياها من مصادرها الشرقية في البلاد التي فتحوها؛ فترجموا تراث اليونان في الطب، والكيمياء، والهندسة، والرياضيات، والميكانيكا والزراعة، والحساب، والمنطق، وغيرها من العلوم الطبيعية والعلمية، والتجريبية. ولكنَّ المسلمين رفضوا نَقْلَ الآدابِ اليونانية؛ لأنها كانت وثنية تتحدث عن الآلهة وكيف كان يصارع بعضها بعضاً، وفيها فوق هذا كله نقائض البشر. فهناك ميادين في المعتقدات، والإنسانيات اليونانية

(١) تاريخ الفلسفة العربية. (ص: ٥٤).
(٢) الإسلام في حضارته ونظمه (ص: ٥٠).
(٣) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام (١/ ١٠٢).

قد رفضها المسلمون، فضربوا عنها صفحاً ولم يترجموها، وذلك مثل عقائد الوثنية اليونانية، وأساطير آلهتها، وآداب اليونان وفنونها [١].

لقاء الحضارة الغربية بالحضارة الإسلامية:

والباحث في انفتاح الغرب على الحضارة الإسلامية يجد أن هذا الانفتاح قد تحقق من خلال:

١- نقل التراث الإسلامي في صقلية:

ولا يخفي أن المسلمين قضوا في حكم جزيرة صقلية قرابة ثلاثة قرون، وخلال ذلك كانت الحضارة الإسلامية مزدهرة ازدهاراً شد انتباه غير المسلمين، فلما استولى الأوربيون على جزيرة صقلية استفادوا من الحضارة الإسلامية، واستطاعوا أن ينقلوا إلى لغاتهم تراث المسلمين الحضاري المزدهر في جزيرة صقلية؛ مما كان له أثر واضح في النهضة الأوربية الحديثة.

٢- نقل التراث الإسلامي في بلاد الأندلس:

إن المسلمين استطاعوا في قوة أن يقيموا حضارة الإسلام في بلاد الحضارة والعلم؛ مما جعل علماء أوربا يذهبون إليها ليتلقوا العلم على أيدي علمائها، ويترجموا تراثها من العربية إلى اللاتينية.

لقد كانت قرطبة في عهد عبد الرحمن الثاني مركزاً رائعاً للجمال المادي والنشاط الفكري، ونما ذلك في عهد عبد الرحمن الثالث وكان شديد العناية بالعلوم والآداب، وتزايدت هذه النهضةُ في عهد ابن الحكم الثاني الذي كان إلى جانب علمه يرسل مندوبين إلى جميع بقاع العالم الإسلامي لابتياع الكتب أو استنساخها. وَوُفِقّ بذلك إلى إنشاء مكتبة تضم أربعمائة ألف كتاب. وإذا كانت قرطبة وغرناطة وغيرهما من مدن حضارية قد سقطت في أيدي غير المسلمين فإن العلوم والآداب الإسلامية والحضارية واصلت ازدهارها في ظل النقل والترجمة والإبداع.

---

(١) الغزو الفكري وُهْمٌ أم حقيقة (ص: ٢١٢).

٣- نقل التراث الإسلامي أثناء الحروب الصليبية:

كانت الحروب الصليبية صراعاً بين الكنيسة والشرق الإسلامي، وهدف هذه الحروب تخليص الأراضي المقدسة من المسلمين، وقد استمرت قرنين من الزمان. ومن المؤرخين من يرى أن هذه الحروب هي العامل الوحيد في تقدم أوربا حيث تم نقل الصناعات والفنون الإسلامية، ويرى بعض العلماء أن الشرق الإسلامي قد أثر في الغرب المسيحي إبَّانَ الحروبِ الصليبية من أربع نواح هي:

١- في الكنيسة البابوية؛ إذ قامت في بيت المقدس عام ١١٠٠م مملكة دنيوية بدلاً من «التيوقراطية» الدينية التي كان يحلم بها البابا.

٢- كما أثرت الحروب في الحياة الداخلية والاقتصادية في جميع الممالك؛ إذ نشأ نوع جديد من الضرائب على ممتلكات الأشخاص، كما ساعدت تلك الحروب على الإقلال من أراضى الأشراف.

٣- كما أثرت الحروب في العلاقة الخارجية للدول ونظام أوربا بتأثيرها في الكنيسة من ناحية، وبإيجاد رابطة جديدة للوحدة الأوربية.

٤- كما أثرت تلك الحروب في العلاقات القائمة بين أوربا وآسيا. فنهضت حركة الارتياد والرغبة في الاستزادة من المعلومات[١].

لقد اختلط الأوربيون بمن هم أرقى منهم؛ فاستفادوا من الحضارة الإسلامية فساعد هذا على قيام النهضة الأوربية الحديثة.

إن أوربا استطاعت أن تتفاعل مع الحضارة الإسلامية، وتأخذ عنها، وتستفيد منها فيما هو «مُشْتَرَكٌ إنساني عام» أما ما كان من خصوصيةٍ للحضارة الإسلامية فقد رفضه الغرب.

لقد أقبل الغرب بنهم على امتلاك رصيد الحضارة الإسلامية من العلوم الطبيعية: علوم المادة وظواهرها، وخصائصها، وعلوم التمدن المدني والعلمي مثل

---

(١) الحضارة الإسلامية والحضارة الأوربية (ص: ١٦٧، ١٦٨) بتصرف.

علوم الطب، والصيدلة، وقواعد النظافة العامة والخاصة، وعلوم الزراعة والنباتات، والحيوان، وفنون وعلوم الحرف والصناعات، والتجارة والمواصلات، ووسائل الاتصال، وفنون القتال، واستخدامات الحرب، وطبقات الأرض وأنواعها والمعادن، والبصريات، والمناظر، والكيمياء والفلك، والرياضيات من جبر وهندسة وحساب، والجغرافيا، والرحلات، وعلوم البحار، والملاحة وغبر ذلك من علوم وفنون[١].

لقد أخذ الغرب ما سبق أن أخذناه نحن عن أسلافهم اليونان، وغيرهم من الفرس والهنود وما أخذناه من مدرسة الإسكندرية من علوم الصنعة؛ مضافاً إليه إبداع المسلمين.

لقد أخذ الغرب من الحضارة الإسلامية ما هو «مشترك إنسانيٌّ عامٌّ»، وترك من الحضارة الإسلامية ما هو خصوصية حضارية إسلامية.

لقد أجمعت تيارات فكر النهضة الغربية على رفض أبرز خصائص الحضارة الإسلامية، وهي خصيصة التوحيد وخصيصة الوسطية وخصائص أخرى كثيرة تتصل بالإسلام، وعقائده. وَرَفْضُ الغربِ لهذه الخصائصِ الإسلاميةِ هو الذي مَيَّزَ الحضارة الغربية بطابعها المعروف: الطابع المادي.

- فالحضارة الإسلامية قامت بعملية توفيق ما بين الحكمة والشريعة، ولكن الحضارة الغربية تميزت بإخراج الدين من إطار العقل، كما أخرجت الدنيا والدولة وعلوم التمدن من إطار الدين.

- والحضارة الإسلامية ربطت بين الدين والدولة، والحاكم والمحكوم، والحضارة الغربية فصلت بين الدين والدولة في خصوصيةٍ حضاريةٍ فكانت العَلْمانية.

- الحضارة الإسلامية وفقت بين الفرد والمجموع في ربط متناسق، أما الحضارة الغربية فقد انحازت للفرد في ليبرالية واضحة.

---

(١) الغزو الفكري وهم أم حقيقة (ص: ٢٤٨).

- الحضارة الإسلامية وازنت بين سيادة الله وحاكميته، وبين سلطان الأمة وسلطاتها في حين كانت الحضارة الغربية تقوم على أن الإنسان سيد الكون يفعل ما يشاء[1].

إذن وبكل تأكيد هناك ما هو «مشترك إنساني عام» تأخذه الحضارات من بعضها، وتسهم فيه كل حضارة بالعطاء المتجدد الذي يزيده قوة وفائدة.

وهناك ما هو خصوصية حضارية لا تقبل الحضاراتُ الآخذةُ أن يكونَ ضِمْنَ المأخوذِ ونجد ذلك واضحاً في أعمال أوربا الناهضة، فحينما ترجمت أعمال الفيلسوف المسلم ابن رشد أخذت من هذه الأعمال ما يتصل بالفلسفة اليونانية، ورفضت أخذ ما هو خصوصية حضارية إسلامية.

(١) الغزو الفكري وهم أم حقيقة (ص: ٢٤٩-٢٥٠)، بتصرف.

الفصل الخامس

الرؤية المستقبلية لحوار الحضارات

بعد أن قررنا ضرورة الحوار، والتي تقتضيها حاجة البشر إلى عالم تغشاه السكينة ويسوده السلام نتحول إلى أهمية الحوار الحضاري وشروطه، التي تعد ضمانات حقيقية للوصول إلى نتائج تسكن من روع الجهود التنظيرية المضنية، والتي ترنو بلهفة مخلصة إلى تحقيق التعايش الحضاري بين الأمم والشعوب.

ولعل الطامحين إلى الوصول بالحوار الحضاري إلى نتائج إيجابية بصدد فرعيات ثانوية، فضلاً عن الأسس والأصول: لن يعودوا إلا بخفي حنين، ليس ذلك تشاؤماً، ولكنه اعتبارٌ بسنةٍ من سنن الله في خلقه. ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ ﴾ (هود: ١١٨، ١١٩)، فغير خاف على أحد أن الاختلاف بين تيارات النسق الحضاري الواحد له حقيقة ووجود، فأني للأطراف المتحاورة حضاريا بالاتفاق حول الفروع؟

وإذا أخذت استراتيجية الحوار الحضاري وضعاً جاداً، وقصداً سنياً لا شوب فيه، وأحاطت بالأصول والكليات تنظيراً وتطبيقاً: فقد أدرك راسموها مرادهم وثمرة جهودهم. ونحن إنما نَعْنِي بالتنظير هنا: حُسْنَ صياغةِ الأفكارِ وجودةَ مضمونِها وترتيبَ أولوياتِها، وملاءَمتها جوَّ الحوارِ بما لا يخل بثوابتها.

وكما تشق الأفكار الآنفة سبيلاً نحو أهدافها في مبادئ مأمونة من الزلل والتراجع، ثَمَّةَ بعضُ النقاطِ التي ينبغي إلقاءُ الضوءِ عليها لتوضيح مواصفات الحوار الحضاري مع الآخر:

أولا: التكافؤ:

ونعنى به حيازةَ قدرٍ معقولٍ من الأهليةِ الحضاريةِ، يحقق لنا وجوداً متوازنا، وحضوراً فعالاً ومتميزاً حول مائدة الحوار، وهذا التكافؤ الحضاري لا يقاس بمعايير

سياسية أو عسكرية أو اقتصادية، فهذه وتلك تخضع بطبيعتها لتقلبات الظروف والأحوال الدولية، وإنما يقاس التكافؤ في الحقيقة بمقدار ما قدمته حضارةٌ ماَّ لكل الأمم والشعوب من منجزات مفيدة كريمة، وبمدى ما أسهمت به في إثراء الوجود الإنساني وتطويره، وإمداده بالقيم الروحية والأخلاقية على مر التاريخ.

وطبقا لهذه المواصفات القياسية، لن نكون بحاجة إلى شديد عناء بصدد تحصيلِ أسبابِ ومؤهلاتِ التكافؤ الحضاريِّ ولعل ذلك مرهون بمدى استردادنا وعينا بذاتنا الحضارية، واستعادة عافيتنا في خِضَمِّ أمواج من الهموم المتلاطمة، التي تفسد علينا أمرنا وتقوض أركاننا؛ بل وتنال من إحساسنا بوجودنا. تلك الهموم تتصل بإشكالية بلورة الاتجاهات الفكرية - والتي أقل ما يقال بشأنها أنها غير منسجمة مع بعضها البعض - وحشدها في نسق حضاري واحد؛ لتحقيق عُنْصُرَيْ التوازن والتكامل في بنيتنا الحضارية.

لكن في ظل تبرم العلمانية بالمشروع الحضاري الإسلامي، وتجاهلها رصيده التاريخي الضخم؛ فضلا عن ولائها غير المتحسب للحضارة الغربية سيخل ذلك حتماً بالتوازن التأهيلي المطلوب، مما يحول بيننا وبين تحقيق أي نتائج عادلة، وذات جدوى من الحوار.

ولعل الترادف الأيديولوجي بين الساسة والمفكرين على اختلاف مشاربهم، أمر حتمي لا محيص عنه بشأن تحقيق التكافؤ المثمر بيننا وبين الغرب مما يقتضي حواراً محلياً لا يمنع إلحاحُهُ والإسراعُ به من الْجِدية في تحديد متطلباتنا تحديداً دقيقاً في ضوء موروثنا الحضاري الأصيل، والتجرد من الأهواء أمام مصالحنا العليا وغاياتنا البعيدة السامية[1].

ثانيا: إعادة اكتشاف الآخر:

وحتى يتسنى الخروج من حوار الحضارات بنتائج أكثر إيجابية، يتعين على كل فصيل حضاري إجراء ما يمكن تسميته بعملية «تشريح حضاري»، يتوسل بها

---

(١) حوار الحضارات وإشكالية التصادم (ص: ٢٧٤)

المشرحون إلى استكناه الأنساق المعرفية لدى الكيانات الحضارية الأخرى، وذلك للوقوف على موقع الآخر في أدبياتها، ومن ثم قياس أداء آلياتها من حيث عطاؤها المخلص، ومدى استيعابها مفاهيم التعددية الحضارية وتجربتها التاريخية فيما يتصل بقضية التعايش السلمي وحسن الجِوار، وكذا رؤيتها للحياة، العالم، الموروث الثقافي، القيم الدينية، النمط الاجتماعي، الأقليات، كل ذلك من مؤشرات فاعلية وإثمار الحوار الحضاري من عدمه. إن جارودي مثلاً يرى عبثية الحوار بين الغرب والشرق المسلم، وقلة جدواه؛ بل وفشله: ما لم يُطَهِّرْ الطرف الأول عقيدته من صدأ قرون الهيمنة والتسلط الذي رزح تحته، وما لم تَعِ تكنوقراطية الطرف الثاني شروطَ نظامٍ لا يطرحُ المشكلةَ بأبعادِها ومعانيها وأهدافِها الإنسانية[1].

والحقيقة أنه ليس ثمة مبرر يحمل الغرب على القلق والتوجس إزاء الصحوة الإسلامية التي تمتد إشراقاتها حتى تسطع على حدود الإسلام الحضارية، فيصفها الغرب - تحت الضغط النفسي - بالأصولية تارة وبالإرهاب تارة أخرى، مع كونها افتراضاً إحدى بشريات عصور التسامح والالتقاء والتلاقح الحضاري المأمول.

ومازلنا نعاني نحن المسلمين للأسف من قصور في نظر الآخر إلينا، ومن تغافل، وَتَعَامٍ عن تاريخنا، ومن غمط لمآثرنا وأمجادنا الحضارية. فهل الغرب من النزاهة بحيث يقر بالفضل لأهله ويرد الاعتبار لتاريخنا وحضارتنا؟! ثم أليس من واجبنا على جانب آخر أن نرفع هذا الظلم عنا فلا نظلم أنفسنا بإساءتنا إلى هذا الإسلام العظيم، فنكون أصدق تعبير عن قيمه وأخلاقياته ومناهجه وتصوراته؟

ولذلك أصبح من أبجديات نشاطنا الفكري الآتي بشأن السعي إلى تلاشي الانطباعات الخاطئة عن الإسلام لدى الغربيين، ليس الإدانة والانفعال، أو رفع شعاراتِ الدفاعِ عن الإسلامِ ضِدَّ مطاعن واتهامات المبطلين، لا؛ بل بنقدنا ذاتنا، وحسن عرض بضاعتنا، فأولئك لا يرون الإسلام إلا من خلالنا، ومن ثم يعرف

---

(١) ما بعد به الإسلام (ص: ٢٤٧).

قدرنا وتروج تجارتنا، فلا يزايد أحد علينا أو يبيع على بيعنا، ونعود في الأخير برضاء الله في رحالنا.

ثالثا: الاحترام المتبادل:

فإن ظواهر الأحادية والانتقاص من شأن الآخرين، والسعي إلى بسط الهيمنة عليهم والعمل على إرهابهم وملاحقتهم والمظاهرة عليهم لا تعكس بحال أي نوع من الاحترام المتبادل، وإن صح تقييم تلك الظواهر على جانب آخر فإنما يعكس - بمرارة - عدم احترام أولئك الآخرين أنفسهم وتراثهم، فحق فيهم الضعف والارتخاء وقلة الفاعلية وتبدد هيبتهم في نفوس أندادهم.

وفيما تمدنا التجربة التاريخية الإسلامية من دروس وعبر: أن دلائل ومقومات الاحترام الحضاري المتبادل. هي النهوض بالمتعثر، وتنشيط الخامل، وإمداد الضعيف بمقومات القوة، وحفظ مقام الآخر وكرامته وموروثه التاريخي، وتقدير ثقافته. هكذا ينبغي للأمر أن يكون، لكننا نستظهر في كل يوم ينشق فجره مسالك صارخة من جانب خصوم حضارتنا بعامة والحضارة الغربية بخاصة، ابتداء بالأَثَرَةِ والضَّنِّ، ومرورا بالتعويقِ والمزاحمةِ، وانتهاءً بالتحرشِ والإزاحةِ.

ولا سبيل إلى تحقيق أكبر قدر ممكن من احترام الآخر لنا فضلا عن احترامنا لأنفسنا، إلا بالعض على عقيدتنا وقيم حضارتنا بنواجذنا.

والعمل الجاد المخلص على إعادة إنتاج الفعل الحضاري الإسلامي في صدى إشراقات تراثنا الروحية والمادية والأدبية. كذلك بنبذ احتقار الآخر وازدرائه، والتريثِ في رفضِهِ فقد نتخذ هذا الموقف الأخير من الغرب، بدعوى التَّحَوُّطِ من جانبنا لِصَوْنِ قيمٍ إسلامية أَجْمَلُ ما فيها إنسانيتُها التي لم تكن يوماً مَّا حِكْراً على أحد دون أحد من خلق الله.

نعم قد يكون ذلك صحيحاً نسبياً بَيْدَ أنه في الحقيقة مسلكٌ يوحى بالسلبية والانغلاق، الذي يقدح في إنسانية الرسالة وعالميتها، إذ هو يصرف المسلم عن رعاية

حَقِّ اللهِ في هذا العالم بِصَوْنِ رسالتِه ونَشْرِ قيمه وإشاعة مبادئه في دنيا الناس أجمعين بلا استثناء ودون تعصب. مَنْ يَدْرِي فلربما أشرقت شمس الدعوة الإسلامية بنور الهداية الإنسانية من جهة هذا الآخر.؟ ومن ثم فأي مسلك لا يعبر عن روح الإسلام، ولا يجسد جوهره وطبيعته الإنسانية السامية، إنما يعد في سياق الفتنة التي تَقْطَعُ بغير حق شعرة معاوية، ونكون من أولئك: ﴿ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ (الكهف ١٠٤).

وهكذا نَبُوءُ بالفشلِ الذريعِ في أداء رسالتنا التي أناطها الله بنا لأجل حوار يهدي إلى الرشد، ويعصم من البطر والانحراف والمنكرات، فالمسلم الحق يعرف للناس أقدارهم ويحترم الآخر وإن لم يُوَاده.

فالحضارة الغربية وخاصة في قرونها الأخيرة فرضت نفسها كحقيقة ليس لمن يريد التعايش معها أن ينكرها، وطرحت حضارة الغرب رؤى ونظريات. وإن لم نتفق معها بجملتها، فلا يمكن إغفالها، وعلى العاقل الحصيف أن يتلمس أسباب التفاهم معها، وأن يقيم الحوار مع عقلائها، أن يميز بين المعتقد الذي لا نقبل المساس به، وبين أوجه المعاش التي نحترم ما أَصَّله الغرب في ميدانها.

فالأمل في هذا السياق أن يتخلص الخطاب الإسلامي من نبرات الانفعال والتشنج، فكثيراً ما تفوت في غمراته فَرَصٌ هائلة لخدمة الإسلام والكشف عن مذخور فضائله وشمائله في جو من الهدوء والتأمل والاقتناع. فرحابة صدر حضارتنا تتسع لأي قيم ومنتجات حضارية ذات معنى إنساني سام دونما صد أو نفور أو امتعاض[1].

رابعاً: التفاهم والتعاون:

والحقيقة أننا نتطلع إلى التعامل الحضاري يوما ما في إطار مرجعيتنا الإسلامية التي تتحدد من خلالها ملامح وظيفتنا الحضارية في دنيا الوجود، والتي ترتكز في الأساس

---

(١) حوار الحضارات وإشكالية التصادم (ص: ٢٧٨).

على نشر الخير والعدل والإحسان، ونبذ الشر والمنكر والظلم ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (آل عمران: ١٠٤) وذلك هو جوهر الوسطية التي تحوزها آلية التفاهم والتعاون الإسلامي بشأن الحوار مع الآخر الحضاري ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ ۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ (المائدة: ٢)، فإن القرآن الكريم ينادي بمبدأين صريحين لابد منهما إذا شئنا السير في طريقِ وحدةِ البشريةِ وتعاونها في سبيل رُقيها وتقدمها، وهما:

١- أنه لا شيء يهدم وحدة الأسرة البشرية مثل العدوان والتعاون عليه.

٢- أنه لا شيء يقرب ما بين أعضاء الأسرة البشرية مثل العمل على الخير المشترك والتواصي به، وتقوى الله في حقوق الإنسان، في السر والعلن.

ومن وحى التجربة التاريخية: نُبوءُ بِخَيْبةِ أمل فيما يتصل باقتناعِنا إزاء إيمان الغرب بالتعاون والتفاهم مع الأمم والشعوب الأخرى في إطار مبادئ التعددية الحضارية، والتي تقوم أساساً على قيم العطاء الحضاري العام.

ولعل أهم ما تغتم له النفوس، ويبث فيها التوجس والترقب، أن تلعب الألوان والأجناس دورا أساسيا في فلسفة التفاعل الإنساني لدى منظومة الفكر الغربي، وهو ما يعكس الشعور الزائف بسمو الجنس، الذي ينبني بمقتضاه الكيل بمكيالين، والنظر بغير عين، كما هو حادث الآن من القوى الكبرى في العالم.

فاليهود من جانبهم لا يرون أي التزام أخلاقي تجاه الآخرين ممن دونهم، ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (آل عمران: ٧٥)، ولعل شواهد التاريخ البعيدة والقريبة تدلنا على مجافاة اليهود لروح الاجتماع الإنساني وإيثارهم الاعتزال والتقوقع والتربص، فحياتهم رغم

اتصالهم بمختلف الحضارات، حياةُ القبيلةِ البدويةِ الجوالةِ، فهم يُغْفِلُونَ العالم رغم اتصالهم به، ولا ينظرون إليه إلا نظرتهم إلى عدو يخضعون له إذا كان أقوى منهم، وَيَسْتَعْدُونَهُ إذا كانوا أقوى منه، وهم دائماً معبئون أنفسهم تحت السلاح لشن غارة، أو دفع غارة، فروحهم الملية روح بدوية قبلية لا تحسن الاتصال بغيرها ولا تريده[1].

ولعل قضية فلسطين ومسيرة التفاوض بشأنها، وما يختلجها من مواقف هائلة ومشاهد مروعة، مِنْ مؤكداتِ ما ذهبنا إليه في تِبيان العجز الكائن في داخلة ذلك الكيان الحضاري غريب الأطوار مُفْرِطِ النزوعِ إلى الحقدِ والعدوانيةِ والاغتصابِ، والذي لم يألفه التاريخ قط.

وفي حين خرج المسلمون من الحروب الصليبية يلثمون رعاف جروحاتهم بعد نَصْرٍ مُجْهِدٍ تقدمته ألوان شتى من البغي الصليبي والحقد والغدر وخيانة العهود، ظفر الصليبيون بالعلوم، ونقلوا من المعارف والفنون الإسلامية ما تأسس عليه بنيان النهضة الغربية الحديثة.

والخلاصة هنا أن التفاعل الحضاري ضرورة إنسانية لابد منها لقيام الحضارات، وتقدم الإنسان في كل ما من شأنه أن يأخذ بيد الإنسان، ويشيع في المجتمعات الإنسانية السلام والأمن. أما الانغلاقُ الحضاريُّ فهو قاتلٌ للإنسان، والتبعيةُ الحضاريةُ هي الأخرى قاتلةٌ لكل إبداعٍ، ولابد مِنْ حوار الحضارات.

وإذا تأملنا في حال الأمة الإسلامية وجدنا أنها محاصرة بين غُربتين: غُربةُ زمانٍ، وَغُرْبَةُ مكانٍ.

أما غربةُ الزمان فهي بُعْدُ الأمة عن ماضٍ حضاريٍّ مشرقٍ لم تَعُدْ تربطه به عوامل العلوم المؤثرة في بنائِها.

وأما غربة المكان فهي بُعْدُ الأمةِ عن واقع حضاري معاصر تجهل عنه كل شيء مِمَّا مَثَّلَ فجواتٍ حضاريةً كبرى ليس من السهل على الأمة الإسلامية تجاوزُها أو

---

(١) بروتوكولات حكماء صهيون (ص: ٨٣).

تجاهلُها. ولذلك إذا كان لابد لهذه الأمة أن تعودُ إلى التفاعل الحضاري، وتستفيدَ من حضارات الإنسانية. فلابد من خروج الأمة الإسلامية من الاغتراب الزماني والاغتراب المكاني، وذلك بالربطِ بين الواقعِ وثوابتِ الحضارةِ الإسلاميةِ، وبين مصادرِ وعواملِ التقدمِ المعاصرِ. وليس هناك من وسيلة للربط غير الدين، والعلم، فإن فعلت الأمةُ ذلك كان ذلك بدايةً في طريق حضاري.

وإن التقدم البشرى في مختلف المراحل والمجالات ليس إلا حصيلةَ الإبداعِ الفكريِّ والتعاونِ، والاحتكاكِ بين المجتمعاتِ، ولا عيب أن نأخذَ من حضاراتِ الأممِ ما يفيدنا، ولكن العيبَ أن نظل عالةً على أممِ الأرضِ نأخذُ منها ولا نعطى. ويجدر بنا أن ندرك أن الانغلاق ليس بالموقف اللائق بالعقلاء، والتبعية الحضارية غير مفيدة أو ملائمة لمن يمتلكون خصوصية حضارية إسلامية. والعزلة الحضارية والجهل صِنْوَانِ، كلاهما تَخَلُّفٌ وكلاهما حجابٌ يمنع وصولَ الضوءِ، وكلاهما عقبةٌ كَأْدَاءُ في طريق التطور والتقدم. ومن المؤكد أنه لا توجد حضارة قامت بذاتها، واكتفت بذاتها مستغنية عن غيرها، وإنما هي نتيجةُ تطورٍ حضاري دائم وتفاعل بين حضارات أُخَرَ تفاعلت هي بدورها وغيرها من الحضارات في الزمان والمكان. والنموُّ الحضاريُّ إنما يعتمد على التجارب الحضارية الأخرى. وكلما ازدادت فرصُ الالتقاءِ والتفاعلِ بين الحضاراتِ ازدادت فرصُ الحياةِ والنمو والاكتساب والتعلُّم[1].

والأمة الإسلامية وهي تتطلع إلى مستقبل مشرق لابد أن تخوض معركة بناء الذات وتجديدها مَسُوَقَةً بقيمٍ وأفكارٍ ومواريثَ لها في وعيها فاعليتُها القوية.

ولا يخفي أن الأمةَ الإسلامية تملك رصيداً ضخماً من القيم الهادفة وتوجيهات الإسلام، وهذه القيم كفيلةٌ عند استثمارها بأن تجعل الأمة الإسلامية في وضع يسمح لها بأن تنمي فلسفتها الحضارية الإنسانية، وتتسابق مع أمم الأرض في بناء حضارة إنسانية.

---

(١) الحوار الحضاري ضرورة إنسانية (ص: ٢٣٥).

الباب الخامس

ثمــرات الحـــوار

- الفصل الأول: ثمرات الحوار في مجال الدعوة إلى الله
- الفصل الثاني: ثمرات الحوار في مجال التعليم والتربية
- الفصل الثالث: ثمرات الحوار في مجال التعامل الحضاري

الفصل الأول

ثمرات الحوار في الدعوة إلى الله

يعتبر الحوار صناعة الرسل والدعاة؛ لأن تغيير العقائد ليس أمراً سهلاً؛ ولذلك أعطى الله رسله البيان. وأرسلهم بلغة أقوامهم ومنحهم القدرة على المخاصمة؛ لكي يردوا جدل المعارض ويقنعوا السائل. ويأخذوا بيد الجميع على طريق المناقشة الحرة العاقلة.

فوائد الحوار في القرآن:

أولاً: يبين للداعية بعض ما سيلقاه من أعداء دعوته، ويبصره بمشاق الطريق الذي سيسلكه، ذلك لأن المعارضين دائماً يقفون ضد دعوة التغيير. فإذا لاحظنا أن الدعوة الإسلامية تطالب المعاندين بتغيير جذري يشمل الحياة كلها؛ لظهر لنا سر قوة المخاصمة وشدة العناد.

وإذا ما علم الداعية أنه أمام موقف صلب من الناس لزمه أن يستعد له بقوة عقلية ونفسية، وخاض طريقه الصعب صابراً محتملاً. والنبي ﷺ كان هو القدوة في هذا المجال؛ فلقد كان القوم يحاولون هدم رأيه، ويصفونه بمختلف الأكاذيب، يقول تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ (سبأ: ٤٣).

فهؤلاء الكفار حينما سمعوا رسول الله ﷺ يتلو عليهم الآيات البينات ويذكرهم بالأدلة الواضحة قالوا: إن محمداً رجل كاذب وساحر يهدف إلى إبعاد الناس عن دين آبائهم، وقرآنُهُ كلامٌ مختلَقٌ ودينُهُ سِحْرٌ مبينٌ؛ فتراهم اتهموا الرسول ﷺ وكتابه ورسالته خصومة وجدلاً.

إن الله سبحانه وتعالى مع من يدعو إلى دينه يدافع عنه وينصره. ولذلك أمر الرسول ﷺ أن يرد بالطريقة الجدلية على اتهامات معارضيه؛ فلئن تباهوا بما لهم من مال وولد وظنوا أن ذلك يدفع العذاب عنهم. ﴿ وَقَالُواْ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾ (سبأ: ٣٥). فإن الله يعلم رسوله الرد ويأمره به فيقول تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴾ (سبأ: ٣٦، ٣٧).

وهكذا يرد الله مباهاتهم بمالهم؛ لأن هذا المال رزق أعطاه الله لهم، وهو قادر على إزالته من ملكيتهم. وليس الملك أياً كان بمقرب من الله والجنة ومانع من العذاب والنار. ولكن الإيمان والعمل الصالح هما أساس الحساب خيراً كان أو شراً[١].

ولئن وجهوا اتهاماتهم إلى القرآن الكريم: ﴿ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ (الفرقان: ٥)، فإن الله يعلم رسوله الرد ويأمره به في قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (الفرقان: ٦).

ولئن كانوا يستبعدون القيامة. ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ (يونس: ٤٨)، فإن الله يأمر الرسول بالرد فيقول: ﴿ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴾ (سبأ: ٣٠).

ومن هذه الآيات نرى أن مجادلة النبي ﷺ هادفةٌ؛ فهو يسمع مكابرتهم ويرد عليها رداً مقنعاً قاصراً على المعترض عليه.

---

(١) حوار الحضارات وإشكالية التصادم (ص: ٣٨٣).

والداعية يأخذ من هذه المواقف صورة التأييد الإلهي لرسوله ﷺ الداعية الأول، ويسير على الدرب في الدعوة؛ متوقعاً المعارضة البشرية متأكداً من التأييد الإلهي. ويجب عليه أن يصبر على كل ما يلقاه فلقد أمر الله الرسول ﷺ من قبل بقوله تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴾ (المزمل: ١٠) أي إذا دعوتهم وعارضوك وَتَقَوَّلُوا عليك الأقاويلَ فاصبر عليهم وتجلد لقولهم، وأعرض عنهم إعراضاً لا يشوبه أذى ولا شتم ولا مقاومة، وعليك أن تكل الأمر إلى الله تعالى في النهاية.

ثانياً: يبصر بالدعوة ويبين أساسياتها، ويعرض القرآن في هذا الموضع حوار إبراهيم عليه السلام مع النمرود يقول تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ (البقرة: ٢٥٨).

فهذا جدل حول إثبات الألوهية بأدلتها، تراها أدلة مفحمة ملزمة من أقرب الطرق، وقد ترك إبراهيم عليه السلام دليل الإحياء والإماتة؛ حينما أَوْرَدَ النمرود شبهة شكلية عليه. وانتقل إلى دليل لا شبهة فيه عند النمرود وهو مطلع الشمس ومغربها. وهنا بهت النمرود ولم يجد جواباً، وهو نوع من الجدل يعرف بـ «الانتقال» وهو أن ينتقلَ المستدلُّ إلى استدلالٍ غير الذي كَانَ أَخَذَ فيه لعدم فهم الخصم وجه الدلالة من الاستدلال الأول [١].

وهذا الدليل يبطل عبادة الأشخاص ولا يثبتها إلا للإله الواحد القادر على كل شيء المتصرف في سائر الأمور عند الحياة والأحياء.

ولقد جادل المكيون رسول الله ﷺ في شأن دعوة التوحيد، وقال أنصار الشرك والتعدد: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾ (ص: ٥) وقال

(١) الإتقان للسيوطي (٢/ ١٣٧).

الدهريون المنكرون للإله بالكلية ﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ﴾ (الجاثية: ٢٤). وقال المقلدون: ﴿ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ﴾ (البقرة: ١٧٠).

هذه المكابرات من القريشيين توضح موقفهم من دعوة التوحيد. وهنا يبين الرسول ﷺ لهم القول الفصل في هذا الأساس الوطيد، ويقول كما أمره الله تعالى: ﴿ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَـٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ (الزمر: ٣٨).

وهكذا يجادلهم الرسول ﷺ بالأمور المسلَّمَةِ لديهم؛ لأن تسليمهم بها يجعل النتائج مُسَلَّمَةً كذلك، بل إنه يجادلهم بالأمور البدهية لتكون الحجة قطعية فيقول كما قال الله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ (الأنبياء: ٢٢).

فترى الآية تتضمن جدلاً يسلم بمظنوناتهم، ثم يناقشهم فيها، وبالمناقشة يظهر بطلان رأيهم، فكأنه قال ليس مع الله إله آخر. ولو سلمنا بوجود آلهة أخرى معه كادعائهم الكاذب فإننا لا بد أن نرى على ما هي العادة - فساد السماء والأرض، واستقلالَ كلِّ إلهٍ بما خلق، وكون لنفسه ملكاً خاصاً به ولحدث الشجار والتعالي بين الآلهة، ولو كانت الآلهة أصغرَ من الإله الأكبر صاحب العرش لطلبت الآلهة سبيلاً إلى الله معاندةً ومبالغةً.

وكل ما كان منتظراً كنتيجة للفرض المظنون لم يحدث، إذ لم تفسد السماء والأرض، ولم تستقل آلهة بملكها، ولم يتعال إله على إله، ولم تطلب الآلهةُ طريقاً إلى الله الأكبر، والنتيجة الحتمية هو أن التسليم باطل، والفرض المظنون كاذب لا صحةَ فيه. والثابتُ المؤكدُ هو أنه لا إله إلا الله.

وهكذا أسهم الجدل مع سائر الأدلة في إثبات الأساس الأول للدعوة، وهو الإيمان بالله وحده ورد افتراءات المعارضين.

وأما الأساس الثاني، وهو إثبات الرسالة للنبي ﷺ فقد كثر الجدل حوله، إذ جحد المعارضون الرسالة واستبعدوا أن يكون الرسول ﷺ بشراً من الناس وكذبوا. ﴿ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِي ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴾ (القمر: ٢٤).

ولم يستبعدوا إرسال البشر فقط، بل أخذوا في توجيه الاتهامات الباطلة يقول تعالى: ﴿ بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ ﴾ (الأنبياء: ٥).

ودارت مكابراتهم حول هذه الاتهامات فهو شاعر، وكاذب، وساحر وناقل، ولكن الرسول ﷺ جادلهم في دَعاواهم. فلما قال الكافرون: (لست مرسلاً) أمره الله أن يرد عليهم بقوله ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ (الرعد: ٤٣) ذلك لأنهم جاهلون بالحقيقة، ويكفي أن يعلمها الله. ويعرفها مَنْ عِنْدَهُ علمُ الكتابِ.

ويؤكد الله للنبي ﷺ أن المعاندين مغالطون في دعاواهم، فيقول تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴾ (النحل: ١٠٣).

وذلك لأنهم اتهموا النبي ﷺ بأنه يأخذ الكتاب من رجل أعجمي، لكنه تلا عليهم بلسان عربي فكيف التوفيق، خاصة أن النبي ﷺ أمي، ولم ينزل كتاب من قبل هذا، وأيضاً فهم يطلبون بأن يكون الرسول ملكاً وهذا خطأ لأنه لا بد من حصول الفهم المشترك والقدرة على الخطاب. ولا يقدر على ذلك مع البشر إلا بشر منهم. ولقد وصل بهم حدُّ التحدي إلى أن طلبوا من الرسول ﷺ أن يظهر لهم بعض الآيات الحسية العجيبة، لكن الله سبحانه وتعالى بسبب جدلهم ومكابرتهم يأمر رسوله ﷺ بأن يجيبهم ويقول له: ﴿ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴾ (الإسراء: ٩٣).

إن المتبع للحوار في مسألة إثبات النبوة للنبي ﷺ ينتهي إلى وضوح بَيّنٍ بالرسالة وإمكانها وإثباتها.

ثالثاً: يعرف بالناس ويبين طبائعهم. واتجاهاتهم، فإليهم توجه الدعوة، والعلم بأحوالهم ضرورة للداعية؛ ليتمكن من الأخذ بيد مَدْعُوِّيهِ على وجهٍ لائقٍ ومناسبٍ.

رابعاً: أسلوب حكيم يناسب كافة الطوائف الإنسانية؛ لأنه يسوق حججاً إقناعية في بعض الأحيان لتكون موعظة حسنة تثير الانفعال وتهيج النفس، وتدفع إلى الإيمان بما تدعو إليه، وفي هذه الحالة يتلاءم الحوار والجدل مع العامة والجمهورِ الغالبِ من الناسِ حيث يسلم بأفكارهم. وينتقل من فكرة معارضة إلى سواها حتى يصل إلى التصديق.

وفي أحيان أخرى تكون حجةُ الجدلِ قطعيةً يقينيةً، مثل قوله تعالى ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ (الأنبياء: ٢٢).

خامساً: يساير الواقع البشري شأن القرآن كله.

وهو في جملته خطاب بين الرسول ﷺ والبشر، ورواية عن مناقشات سابقة، والإنسان هو الإنسان في كل عصر وزمان - ولذلك جعل الله جدل القرآن فطرياً ومنزوعاً من قضايا الواقع. حتى يكونَ في مقدور الخاصة والعامة من الناس[١].

دور الحوار في إبلاغ الدعوة:

الحوار القرآني وسيلة من وسائل الدعوة يقوم بدوره على وجه كامل وذلك على النحو التالي:

١- الإقناع العقلي المجرد:

خاطب القرآن الكريم العقل، وناقش الخصومَ مناقشةً تعتمدُ على كثير من المسلَّماتِ؛ حتى يقطعوا بصحة المدعى أمامهم؛ وكأن الجدل في هذا المعنى يستنتج

(١) حوار الحضارات وإشكالية التصادم (ص: ٤٠٣).

النتائج الصحيحة بعد ذِكْرِهِ للمقدمات الصادقة. ذكر السيوطي أن الإسلاميين من علماء الكلام استنتجوا من أول سورة الحج إلى قوله تعالى ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ ﴾ خمسَ نتائجَ وعشرَ مقدماتٍ لها، أما النتائج فقد احتواها قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ ﴾ (الحج: ٦، ٧).

وأما المقدمات العشر فهي سهلةُ الإيرادِ، وذلك أن الله أخبر عن يوم القيامة وزلزلة الساعة، وذلك حق منقول إلينا بالتواتر. ولا يخبر بالحق عما سيكون إلا الحق فالله هو الحق، وأخبر سبحانه وتعالى عن أهوال الساعة وعن قُدْرَتِهِ الشاملة. ولابد للساعة من إحياء الموتى فالله القادر يحيي الموتى فالله على كل شيء قدير، وأخبر عن الساعة وخلْقِ الإنسانِ من ترابٍ. وإماتتِهِ بعد ذلك. وخلق الأرض وصدق خبره في كل ذلك، بدلالة الواقع المشاهد. وَمَنْ صَدَقَ خبرُهُ في ذلك صَدَقَ في إخبارِه عن مجيء الساعة. فصدق أن الساعة آتية لا ريب فيها. ولا تأتي الساعة إلا ببعث مَنْ في القبور فثبت أن الله يبعث مَنْ في القبور[1].

هكذا نجد النتائج أمام العقل ثابتة صادقة، وهي نتائج ذات تأثير نفسي بالغ فهي لا تقف عند شكلية القياس؛ بل تجعل المجادِلَ كلما وصل إلى نتيجة ازداد إيمانا وتصديقا؛ حيث تشتمل النتائجُ على إبرازِ حقيقةِ الألوهيةِ، وقدرةِ اللهِ، وَتُخْبِرُ عن إحياء الموتى وبعثهم في يوم الساعة الآتية بلا ريب، وتتحدث عن ضرورة الحساب على الأعمال.

ومن أجل الوصول بالعقل إلى إقناع كامل بالشيء الذي هو محل الجدل رأينا الجدل يأتي بالأمر المناقَشِ فيه، ويحلله إلى منتهي أقسامه، ويرد كل قسم على حده، لينتهي أخيرا إلى الرأي الحق وذلك كقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ

---

(١) الإتقان (٢/ ١٣٥، ١٣٦) بتصرف.

فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾ (غافر: ٢٨).

فترى هذه الآية تقسم الرأي في موسى عليه السلام عقلياً؛ لأنه إما أن يكون كاذباً وإما أن يكون صادقاً، فإن كان كاذباً فكذبه عليه ولا يتعداه، وإن كان صادقاً فاتباعه نفع وفوز ونجاة والتقسيم يؤدى في النهاية إلى عدم التعرض لموسى عليه السلام وعدم محاولة قتله.

ومن هذا النوع قوله تعالى: ﴿ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَـٰذَا ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ (الأنعام: ١٤٣، ١٤٤).

وقد رد الله في هذه الآيات على اليهود تحريمهم لذكورِ الأزواجِ المذكورةِ تارةً، وتحريمهم لإناثِها تارةً ثانيةً، وتحريمهم لما في أرحام الإناث حسبما اتفق تارة ثالثة. فجادلهم الله في رده بطريق «السبر والتقسيم» فبين أنه خلق من كل زوج مما ذكر ذكراً وأنثى، وسألهم عن سبب التحريم وعلته؛ لأن العلة إما أن تكون بسبب الذكورة أو بسبب الأنوثة معاً، أو بسبب خارج عن حدود مصدر الشيء المحرم كأن ينزل به وحي من الله. وتلك هي أسباب التحريم كلُّها. ولا يُعتقَدُ سببٌ سواها.

ويترتب على هذه الأسباب أن يحرم الذكورة جميعاً إن كانت العلة هي الذكورة، أو يحرم الإناث جميعاً إن كانت العلة هي الأنوثة، أو يحرم الذكور والإناث إن كانت العلة هي الذكورة والأنوثة معاً، أو يحرم ما فصله الوحي إن كان هو السبب لكن السبب المشاهد أن اليهود يحرمون على هواهم فيحرمون هذا تارة، وذاك تارة أخرى، ويحللون الشيء بعد تحريمه، وقد حصر الله علة التحريم

الممكنة وسألهم عن تحديدها إن وجدت، وبذلك أبطل فعلهم، وأثبت أن ما قالوه ضلال وكذب.

وهكذا بالسبر والتقسيم، يزال الشك، وتستريح النفس، ويتبقي العقل المجرد والفكر السليم[١].

٢- مراعاة الطبائع النفسية:

يعتز كثير من الناس بآرائهم وأفكارهم، حتى وإن كانت خاطئة، والمعاندون أكثر الناس تشدداً في هذا المجال. والجدل يراعي هذه الناحية في مناقشاته، حيث ترى في طرق الجدل ما عرف بطريقة «مجاراة الخصم» ومجمل هذه الطريقة أن يسلم المجادل ببعض مقدمات الخصم للإشارة إلى أن هذه المقدمات لا تنتج ما يريد أن يستنتجه، وإنما هي بعيدة عنه. ومن أمثلة هذه الطريقة قوله تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ۝ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ﴾ (إبراهيم: ١٠، ١١).

فدعوى الخصم أن الرسل بشر والبشر لا يستطيعون أن يتلقوا وحي الله، وهم بدعوى الرسالة يريدون صد أقوامهم عن عبادة الآباء والأسلاف. وبملاحظة رد الرسل عليهم نرى التسليم للخصوم بأنهم بشر، ويذكرون أن البشرية لا تتنافي أن يمن الله بالرسالة على من يشاء من البشر.

وفي هذا النوع من الجدل استدراج للخصم واستجلاب لإصغائه، وربما كان من الممكن بهذه الطريقة ثنيه عن الإنكار بعد بيان فساد العلاقة بين القضية المسلمة والنتيجة التي رتبت خطأ عليها. يقول الشهرستاني: «واعلم أن الموافقة في العبارة على طريق الإلزام على الخصم من أبلغ الحجج وأوضح المناهج»[٢].

---

(١) الإتقان (٢/ ١٣٥، ١٣٦).

(٢) الملل والنحل (٢/ ٥٦).

وفي «مجاراة الخصم» تقدير للفكر وللعقل السليم عن طريق تقدير قوله الصادق وعقله المكين.

ومن طرق الجدل التي تساير الطبائع الإنسانية، وترضى الغرائز البشرية ما عرف بـ «قياس الخلف» وهو جدل يثبت الأمر بإبطال نقيضه، ومثاله قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ (النساء: ٨٢).

فقد أثبت قولُ الله تعالى هذا أن القرآنَ من عند الله تعالى بإبطال أنه من عند غير الله، لأنه خلا من الاختلاف اللازم له لو كان من عند غير الله[١].

ومن الطرق التي راعت طبائع الناس مجاملة الخصوم وعدم الرد المباشر على دعاويهم مع عدم التسليم بها، مثل قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ (سبأ: ٢٤). ومثل قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴾ (الزخرف: ٨١). وذلك لأن المجاملة أدعى إلى الطاعة، وأقوى في التأثير.

٣- مراعاة صفات المجادل:

يختلف الناس في مجادلاتهم فمنهم المجادل العنيد ومنهم المناقش السهل، ولقد راعى الجدل هذه الاختلافات. فمع العناد يلجأ إلى إفحام الخصم وإلزامه، ثم يأخذ بيده إلى الحقيقة، ويبينها له بوضوح.

فلقد كان المعاندون يطلبون في إصرار أن يكون الرسول ﷺ مَلَكاً لإزالة اللبس من إرسال البشر فرد الله إصرارهم في وضوح وإيجاز وعرفهم أنه لو أرسل ملكاً على صورته الملكية لهلك الناس من رؤيته. ولو جعله على صورة البشرية يعايشهم ويدعوهم في بشريته هذه لبقي اللبس وطلبوا ملكاً آخر. وهكذا في تسلسل لا ينتهي وهو محال نشأ من طلبهم المحال. وعليهم بعد ذلك أن يسلموا بالرسول البشر.

---

(١) حوار الحضارات وإشكالية التصادم (ص: ٤٠٧).

ومن أمثلة هذه المراعاة:

قوله تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ ﴾ (الأنعام: ٩١).

وفي هذه الآية بيانٌ لإنكار اليهود إنزال الوحي على بشر هو محمد ﷺ، بينما هم يؤمنون برسالة موسى ﷺ. وقد رد الله عنادهم وأفحمهم بأقصر طريق بسؤالهم عن مسلمات عندهم؛ هي من نوع ما ينكرون. ولذلك سألهم عن الكتاب الذي جاء به موسى وعمن أنزله عليه؟

وحينما يبدأ المعاند في إنكار المسلمات بإلقاء شبهه عليها. نجد أن القرآن الكريم في قصده الحق يأتي بطريقة «الانتقال»؛ حيث يترك ما ألقيت عليه شبهة الخصم، وينتقل إلى ما لا شبهة فيه، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ (البقرة: ٢٥٨).

٤- الترغيب والترهيب:

يراعى الحوار القرآني هذا النوع في الخطاب؛ لأن الإنسان يحب الخير، ويسعى إليه ويكره الألم وينفر منه، ولهذا الغرض يسوق القرآن حواراً يجري بين أهل الجنة وأهل النار. فيقول تعالى: ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَـٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُواْ نَعَمْ ۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ (الأعراف: ٤٤). والوعد المقصود في الآية الأمور التي جاءت على ألسنة الرسل وتحقق حدوثها في الآخرة كالبعث

والحساب ونعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار، ويقول تعالى: ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (الأعراف: ٥٠). وهذه الآية تبين أن الجنة فوق النار، وأن ماءها العذب ورزقها اللذيذ كثير، فيه فيض وسعة، إلا أنه مع كثرته محرم على الكافرين الذين لم يؤمنوا بالرسالات، وجحدوا أن لهم هذا اليوم الموعود.

وهكذا يقدم الحوار القرآني صوراً متعددة من مناقشة الخصوم مما جعله وسيلة ناجحة للدعوة تملك التأثير في الناس وهدايتهم إلى الصواب.

وإذا كنا أبرزنا فيما تقدم أهمية الحوار في الدعوة إلى الله تعالى، وكونه وسيلة مباشرة وهادفة للدعوة، ثم أكدنا على دور الحوار في تبليغ الرسالات وتوصليها المنهج الإيماني الصحيح إلى المتلقين؛ فإننا نتحول إلى خصوصية الحوار في المجال التربوي التدريسي مع الطلاب، وداخل المؤسسات التعليمية، وثمرات ذلك.

وسائل إبلاغ الدعوة إلى الله:

سنتناول فيما يلي وسائل إبلاغ الدعوة إلى الله، و كيفية إسهام الحوار في التربية الصحيحة

الوسيلة الأولى: إبلاغ الدعوة بالكلمة:

إن تبليغ الدعوة بالكلمة يمثل المرتكز الأول لنشر الدعوة إلى الله وبثها في الناس، والتبليغ بالكلمة، هو منهج النبيين عليهم صلوات الله وسلامه أجمعين، وقد أمر الله رسوله ﷺ بإبلاغها لأقرب الناس إليه، قال تعالى ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ (الشعراء: ٢١٤). ثم وسع له دائرة الدعوة، فأمره بإعلانها وأخبره بحمايته من المستهزئين، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَشْتَرُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ

تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ (النحل: ٩٤ - ٩٦).

ويبين رسول الله ﷺ منهجه في الدعوة بقوله تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ (يوسف: ١٠٨). واستجابة لأمر الله بقوله: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ (النحل: ١٢٥).

واستخدام الكلمة في الدعوة إلى الله له صور متنوعة منها:

١- الخطبة:

الخطبة من صور إبلاغ الدعوة يحشد لها الخطيب من الأسباب ما يمكنه من التأثير في سامعيه وجذبهم إلى جانب ما يدعوهم إليه عن طريق:

أ- الإقناع بما يسوق من حجج وبراهين.

ب- الإمتاع بحسن اختيار الكلمات وجميل العبارات وَمُلاَئِم الإشارةِ، والدقةِ في اختيار الموضوع الذي يشد اهتمام الناس.

٢- المحاضرة:

أسلوب من أساليب الدعوة إلى الله يجالس فيه المحاضر من يتحدث إليهم ويتكلم معهم بما يحضره، ولذلك سميت محاضرة، ويقال فلان حسن الحاضرة أي: متقن لحديثه مع الناس من حيث تنويرهم وإقناعهم بما يقول[1].

والمحاضر يطرح موضوعاً معيناً، وله هدف معين منه، ويشترط فيه:

١- المعرفة الجيدة بالمنهج العلمي.

٢- التدقيق في اختيار موضوع المحاضرة بحيث يكون مما يشغل المخاطبين في حاضرهم ومستقبلهم.

---

(١) فقه الدعوة إلى الله (١/ ١٧٣).

٣- استعمال الألفاظ العلمية الدقيقة الواضحة الدلالة، والابتعاد عن الألفاظ الموهمة أو الفضفاضة التي تحتمل وجوهاً عديدة.

٤- الابتعاد عن التصوير الخيالي للمعاني.

٥- أن يكون موضوع المحاضرة ولغتها والحوار الدائر فيها من جانب المحاضر ملائما لمستوى السامعين ولطبائعهم وظروفهم الاجتماعية؛ حتى تحقق المحاضرة هدفها.

٣- الدرس:

هو دعوة إلى الله بالكلمة عن طريق حلقة تعقد مع عدد من الناس حضروا إلى مَنْ يدرس قصدا في أي مكان ملائم، والدرس وسيلة مهمة من وسائل تعليم الناس أمور دينهم ودنياهم، كما أنه وسيلة جيدة لإيجاد علاقات وروابط بين المهتمين بشئونٍ دينهم من الناس ولابد أن يختار موضوع الدرس بدقة وعناية بحيث يحقق ملاءمة ويثير اهتماما لجمهور الناس الذين يتلقون الدرس، ولكي ينجح الدرس لابد له من أمور:

١- أن تكون لغته سهلة وألفاظه خالية من الغريب.

٢- العبارات واضحة تنقل المعاني إلى ذهن السامع دون إسراف أو زخرفة.

٣- الاستشهاد بالأمثال والقصص للسابقين.

ومن أهداف الدروس:

١- محاورة الناس وسؤالهم والإجابة على أسئلتهم.

٢- التأثير في الناس وربطهم بالعقيدة الصحيحة.

٣- تقرير مفاهيم صحيحة وتصحيح مفاهيم خاطئة.

٤- غرس القيم الفاضلة والأخلاق.

وعند النظر إلى الخطبة والمحاضرة والدرس ومراجعة ما ورد في القرآن الكريم من حوار بين الأنبياء وأقوامهم نجد أنه يحتمل الأساليب الثلاثة فشعيب عليه السلام يسميه

المفسرون خطيب الأنبياء لحسن مراجعةِ قومِهِ وبراعتِهِ في إقامةِ الحجةِ عليهم ودحضِ حججِهم، وقد جاءهم بينة من ربه على صدقه فيما يدعو إليه[١].

ونوح عليه السلام قد نوع في وسيلة دعوته ومواعيدها حتى لكأنه كان يتعهدهم بدروس مستمرة أثمرت مع فئة قليلة.

وموسى عليه السلام في خطابه مع فرعون وملئه يبدو وكأنه يلقي عليهم محاضرات يبين فيها دعوته وصفات إلهه ويتحداهم بالمعجزات.

٤- الرسالة:

وهي استخدام الكلمة عن طريق الكتابة إلى الغير ودعوته إلى الله وإلى الحق من خلال هذه الكتابة أو عقدِ صلةِ مودةٍ مَعَ الآخرين. ولابد من تحديدِ هدفِ الرسالةِ والموضوعِ الذي تدورُ حوله وينبغي أن يكون مثيرا لاهتمام المرسَلِ إليه، ولابد لكي تحقق الرسالةُ هدفَها من أمور:

١- أن تكون لغتها سهلة واضحة للمرسَلِ إليه.

٢- أن يكون تعبيرُها جميلا وأسلوبُها لطيفا رقيقا.

٣- أن تحتوىَ على موضوعٍ واضحٍ محددٍ.

وقد ضرب لنا رسول الله ﷺ أروع المثل في استخدام هذه الوسيلة لتبليغ دعوة الله ومن ذلك رسالته ﷺ إلى هرقل عظيم الروم وكان نَصُّها[٢]:

بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله إلى هرقل عظيم الروم السلام على من اتبع الهدى أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإنما عليك إثم الأريسيين ـ الحديث[٣].

---

(١) قصص الأنبياء (ص: ١٤٥).

(٢) عالمية الدعوة الإسلامية (٢/٤٦٩).

(٣) رواه البخاري [٧]، كتاب بدء الوحي، باب [٦]، ومسلم [١٧٧٣]، كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام.

ومِنْ قَبْل استخدم هذه الوسيلة سليمان عليه السلام مع بلقيس حين أرسل لها رسالة مع الهدهد ألقاها إليها يدعوها فيها إلى الإسلام، قال تعالى: ﴿ قَالَتْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَـٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَـٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴾ (النمل: ٢٩ - ٣١).

٥- المقالة:

وهي فن من فنون القول كالرسالة، وهي وسيلة جيدة لعرض الفكرة والمشاعر في موضوع من الموضوعات المهمة بأسلوب متقبل جذاب والمقال المثمر هو الذي يلامس حاجةَ الفرد، ويمس قضايا الأمة، ويبتعد عن الألفاظ الصعبة، وهو المتوسط فليس بالطويل الممل ولا بالقصير المخل، وهو الذي يختار له صاحبُهُ عنوانا جذابا براقا يجذب العيونَ، وَيُسْتَحَبُّ للمقال المثمر أن يكون مقسما ومجزءاً إذا دعت الحاجة إلى ذلك.

٦- الكتاب:

وهو وسيلة مهمة من وسائل الدعوة، وفي إنزال الله تعالى الكتب على الأنبياء إشارةٌ إلى خطورةِ هذه الوسيلةِ، فإن لكل أمة كتاباً ومنهجاً، وقد كان قرآننا كتابا خالدا محفوظا من التبديل والتغيير. ولذلك نهج السلف في تأليف الكتب يبينون أفكارهم وينشرون علومهم ويثبتون عقائدهم ليتوارثها الأجيالُ فتكون علما ينتفع به. وإن من أصحاب المنكر مَنْ لا يستطيعُ الدعاةُ إقناعَهم إلا بهذه الوسيلة.

الوسيلة الثانية: إبلاغُ الدعوةِ بالعملِ:

تعنى هذه الوسيلة أن على المحاور أن يلجأ إلى الأسلوب العملي القائم على تلبية احتياجات الناس في إصلاح حالهم أو إبعاد الشرور عنهم وحمايتهم من كل ما يفسدُ عليهم أمورَ دينِهم، وعلى ذلك فالتبليغ بالعمل له صور منها:

١- الأمر بالمعروف.

٢- النهي عن المنكر. وهما وسيلتان قوليتان عمليتان.

وذلك لتكونَ حياةُ الناس على هذه الأرض آمنةً مطمئنةً منتجةً نافعةً، تُصْلِحُ الدنيا وَتُعِدُّ للآخرةِ.

مبادئُ عامةٌ للأمر المعروف والنهي عن المنكر:

١- أن عامة المسلمين مطالبون بأن يأمر كل واحد منهم بالمعروف وينهي عن المنكر في حدود قدرته.

٢- أن فئةً من المسلمين لابد أن تتحد وتمارس هذا الواجب وذلك هو الحد الأدنى.

٣- أن الالتزام به يحقق الأمنَ والرخاءَ ويُوجِبُ الجنةَ.

٤- أنه يحتاج إلى قوة ومنعة لأَطْرِ الناسِ على الحق أَطْراً.

٥- أن التخليَ عنه يوجب عذابَ اللهِ وعدمَ استجابةِ الدعاءِ.

مراتبُ ودرجاتُ الأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عن المنكرِ:

١- التعرفُ على وجود المنكر والتأكدُ منه بلا تجسسٍ.

٢- التعريف بالمنكر فقد يقدم عليه بجهل.

٣- النهي بالوعظ والنصح والتخويف من الله.

٤- التعنيف بالقول الغليظ عند العجز عن اللين وعدم جدواه.

٥- التغيير باليد بحيث يبطل صلاحية المنكر.

٦- التهديد والتخويف، فإذا اندفع المنكر كف[1] ومع أن الأصل في دعوة الناس هو الرفقُ والمداراةُ إلا أن بعضَ الناس لا ينفعُ معه الرفقُ.

والحقُّ أن الدعاةَ لم يلجأوا إلى التعنيفِ والتهديدِ إلا عند كثرةِ الجدالِ وعدمِ الإيمانِ وظهورِ التحدي والعناد من أقوامهم ولم يقتصر الأمر في ذلك على الأنبياء بل هذا حال المصلحين في كل زمان ومكان.

وخير مثال نسوقه على ذلك قصة أصحابِ القرية الذين يَعْدُونَ في السبتِ فقد بَيَّنَ تعالى في قصتِهم وحوارِهم مع الآخرين عدمَ استجابتِهم لهم والعقوبة التي

---

(١) فقه الدعوة إلى الله (١/ ١٤٦).

حلت بهم في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (الأعراف: ١٦٣ - ١٦٨).

الوسيلةُ الثالثةُ: إبلاغُ الدعوة بالقدوة:

إذا توافر الفكرُ المستنيرُ ثم الكلمةُ الطيبةُ جاء دورُ العمل الصالح نعملهُ ونجعلُ من أنفسنا فيه للناس أسوة حسنة ومثالا يحتذى به، فما لم نحولْ ما ندعو إليه إلى سلوكٍ عمليٍ لنا وحياةٍ نحياها بقلوبنا وَوُجداننا بسلوكنا ونهجنا فيدرك المخاطبون إخلاصَنا وَصِدْقَ نياتنا من خلال الروحِ الساريةِ في كلماتِنا والمؤكدة بالسلوك العملي لنا، فإننا لن نجدَ مَنْ يُصْغى إلينا وكذلك عصم الله أنبياءه من سائر المنفرات ونشأهم على السلوك الحسن قبل النبوة، وبعدها عَصَمَهُم من الذنوب[1]؛ لأن القدوة الحسنة من أهمِ وسائلِ الدعوةِ، وهي وسيلةٌ عمليةٌ ناجحةٌ تضعُ أمامَ المدعوِّ صورةً حيةً يستطيعَ أن يقتديَ بها، غير أن هذا الأسلوب محفوفٌ بالمحاذيرِ التي منها:

---

(١) الدعوة الإسلامية الوسائل الخطط المداخل (ص: ٧٨).

١- غرور الداعي أو إعجابه بنفسه أو عمله:

إن إعجاب الإنسان بنفسه والنظر إليها بعين الكمال والفخر والتطاول على الناس بالعلم والصلاح أو الجاه أو المال خلق ذميم يجعل صاحبه ممتنعاً عن قبول الإصلاح من جهة، ويزرع العداوة والبغضاء بينه وبين الناس[(١)].

٢- ربط الناس بالأشخاص لا بالمبادئ.

٣- عدم تطابق ظاهر بعض الدعاة مع بواطنهم.

وقد عدّ العلماء هذه الأمور آفة الدين التي تصيب الناس بالشك لا في الدعاة، ولكن في الدعوات ذاتها)[(٢)]، ولكن لكي يتجنب الداعية هذه المحاذير لابد له من عمق الإيمان بالله وحسن الصلة به، ودقة الفهم لعمله ودعوته، والمداومة على العمل الصالح وحب الخير للناس، والتضحية بالوقت والجهد والمال في سبيل الله، والتواضع لله والاعتراف بالتقصير، وحسن الخلق والتأسي برسول الله ﷺ، ومراقبة الله سبحانه وتعالى في كل عمل وقول، والاجتهاد لمصلحة المسلمين ودفع الضر عنهم[(٣)].

الوسيلة الرابعة: إبلاغ الدعوة بالشرح والتفسير لأصول الدعوة:

إن القرآن الكريم في مجمله شرح وتفسير وعرض لأصول الدعوة إلى الله. وفيه جميع الحقائق التي تتصل بذات الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر، والحقائق التي تتصل بالشريعة، والمنهج تَحَدَّثَ عنها القرآن إجمالا وتفصيلا، ومن خلال إثبات هذه الحقائق وذكر حججها وبراهينها؛ يكون عرضها وعرض مبادئها وآدابها.

وهذه أمثلة لما ورد في القرآن من حوارات حول هذه القضايا لشرحها، وتفسيرها:

---

(١) دعوة الإسلام (ص: ٢٠٤).

(٢) طريق الدعوة في ظلال القرآن (١/ ٥٥).

(٣) فقه الدعوة إلى الله (١/ ٢٣٦- ٢٣٧).

١- العقيدة في ذات الله وأسمائه وصفاته وأفعاله والملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر والقضاء والقدر: فقد ذكر تعالى في سورة طه في تفسير موسى وهارون ' لفرعون وشرحهم لمعنى كلمة الرب التي استغلقت عليه قال سبحانه ﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَـٰمُوسَىٰ ﴾ (طه: ٤٩).

٢- العبادة من توحيد وصلاة وصيام وزكاة وحج ونوافل وَقُرُبَات: لقد ذكر تعالى الحوارَ حولَ القبلةِ وتحويلها فقال جل وعلا: ﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُواْ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (البقرة: ١٤٢).

٣- المعاملات الإسلامية من عقود كالزواج والطلاق والبيع والرهن والمواريث وغيرها: وهذه الأحكام قد بينها الله تعالى في القرآن لأن المسلمين كانوا يحتاجون إلى معرفتها، فقد استفتوا رسول الله ﷺ في أمر النساء قال تعالى: ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى ٱلنِّسَآءِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ فِى يَتَـٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّـٰتِى لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ وَأَن تَقُومُواْ لِلْيَتَـٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا ﴾ (النساء: ١٢٧). وقال تعالى: ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَـٰلَةِ ۚ إِنِ ٱمْرُؤٌاْ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ۚ وَإِن كَانُوٓاْ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴾ (النساء: ١٧٦).

٤- الحدود والقصاص وَالحِرَابةُ وقتالُ أهلِ البغيِ والجهاد في سبيل الله. ومن الحوارات في هذه الموضوعات ما ورد في سؤالهم عن الجهاد في سبيل الله تعالى في

الزمان والمكان. إنه شرح مفصل وتفسير لما استغلق عليهم، قال تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ (البقرة: ٢١٧).

٥-كلُّ ما يتصلُ بالفضائل ما فُرِضَ فيها وما ندب: مثل الصدق والوفاء والعفة والأمانة وصلة الأرحام والبر والصبر والشجاعة وإكرام الضيف وغوث الملهوف وعون المحتاج والرضا.

كما بين تعالى بعض الصفات المذمومة التي يجب على الإنسان الابتعاد عنها، فمن الصفات التي ذكرها الله تعالى الرضا، و يشير القرآن الكريم في أكثرَ مِنْ موضع إلى أن الرضا المحمود الجميل الطيب الأثر هو الرضا بما يأتي به الله وبما يأمر به وبما عند الله أمَّا غيرُ هذا مما يخالف أمرَ اللهِ وحكمَهُ فهو رضا مذموم، ولذلك جاء في سورة التوبة على سبيل التعريض والمؤاخذة[1]. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ (التوبة: ٣٨). وجاء فيها أيضا: ﴿ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ ﴾ (التوبة: ٨٣). ويوجه الله المنحرفين إلى طريق الرضا فيقول: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴾ (التوبة: ٥٩).

---

(١) أخلاق القرآن (ص: ٦٤).

فأساليب العرض لم تخرج عن استخدام أحد الأساليب التالية :

١ - الأسلوبُ القصصي للوصول إلى نتيجة معينة للعبرة أو التهديد أو النصح.

٢ - أسلوبُ إثارةٍ بالسؤال لشد انتباه المخاطبين.

٣ - أسلوبُ التسلسلِ لمساعدةِ المخاطبين على فَهْمِ نِقاطِ الموضوعِ والوصولِ إلى النتائج[١].

الوسيلة الخامسة: الرد على الشبهات والمفتريات:

جرت عادة الناس وغلب عليهم منذ أن جاءتهم الأنبياء والرسل بالدين السماوي أن يقفَ عدد كبير أغلبهُمُ من أصحاب الجاه والسلطان موقفَ العناد والرفض والتكذيب للرسل متهمين الحقَّ مفترين عليه ، فما سَلِمَ نبيٌّ من تهمةٍ تُوَجَّه إليه أو إلى ما جاء به ، وتظل هذه الشبه والمفتريات حائلا بين بعض الناس ، والدخول في صفوف الحق ؛ لذلك لابد من دفع هذه الأباطيل حتى يتمكن أصحابُ الفكرِ السوي مِنْ رؤيةِ الحق والتمسك به ، وقد اتبع القرآن الكريم هذا الأسلوب في كثير من المواضع ، ورد على كثير من الأباطيل والمفتريات والشبه التي تثار ؛ والتي قد تكون أحيانا :

١ - مفتريات وأكاذيب من اليهود والنصارى قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ ۗ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ (آل عمران ١٨٣).

وقال سبحانه : ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ (التوبة : ٣٠).

---

(١) طرق الخطابة والألفاظ (ص: ٩٧ ـ ١٠٠)

٢- شبهاتٌ ضِدَّ القرآن الكريم نفسِهِ في أنه من عند غير الله وأنه أساطير الأولين وأنه ملفق من الأديان التي سبقته وأنه مفترى قال تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (يونس: ٣٨).

وقال تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۝ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (هود: ١٣ - ١٤).

٣- شبهات ضد الرسول ﷺ من أنه اختلق القرآن، وطعنوا في الوحي، وأن الذي عَلَّمَهُ القرآن أحدُ الرومِ، وأنه بشر أو أنه لابد أن يكون مَلَكًا . . إلى غير ذلك. ومثال ذلك ما حكاه القرآن الكريم في هذه القضية قال تعالى: ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ۝ وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ (الأنعام: ٨- ١٠).

ونرى كيف رد عليهم القرآن أروع رد؛ لأنه لو كان على هيئة ملك لما استطاعوا رؤيته ولو كان على هيئة البشر ما صدقوه، فالنتيجة واحدة.

وقال سبحانه: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (إبراهيم: ٤).

الوسيلة السادسة: التعهد بالتربية والإعداد:

يقوم هذا الأسلوب على تعهد المدعو وعقد صلة طيبة به وربطه بالدعوة ربطاً وثيقاً وتربيته وفق منهج الإسلام تربية تستوعب كل جوانب شخصيته وتعهده بالنماء والاستقامة.

هذه التربية تُعِدُّ المسلمَ للقيام بكل عمل يطلبه منه الإسلام في أي مجال من مجالات العمل وبالرغم من أن طريقها أطولُ وأسلوبهَا أصعبُ إلا أنه الأسلوبُ الأمثلُ والأهدى والأقدرُ على الوصول إلى الهدفِ بأمانٍ وسلامٍ.

وقد تعهد الله سبحانه وتعالى أنبياءه عليهم السلام بتربيتهم والاعتناء بهم ويكفينا مثالاً على ذلك تعهده لموسى عليه السلام منذ ولادته وأثناء دعوته قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ﴿٣٨﴾ أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ ۖ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ ﴾ (طه: ٣٧ - ٤٠).

إنها عبارات تدل دلالة واضحة على رعاية الله المستمرة لموسى عليه السلام حتى هذه المرحلة ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد حتى عند بَعْثِهِ لفرعونَ وإحساس موسى بالخوف تجيءُ كلمات الله ورحمته؛ لتشد من أزره في هذه المواقف يقول تعالى: ﴿ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَا ۖ إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ (طه: ٤٥- ٤٦). وتستمر العناية الإلهية ويبدو ذلك واضحا عند خوف موسى ساعةَ لقائِهِ بالسحرةِ وتحديهم؛ لِيجيءَ الاطمئنان لقلبه يقول تعالى: ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَىٰ ﴾ (طه: ٦٧ - ٦٨). ولذلك كان موسى عليه السلام في غاية الثقةِ مِنْ مَعيَّةِ اللهِ يقولُ له قومُهُ ﴿ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴾ فيقول عليه السلام: ﴿ قَالَ كَلَّا ۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ (الشعراء: ٦٢).

والله عز وجل يحمي يوسفَ عليه السلام من القتل ويمكّنه من خزائن الأرض، ويقر عينَ أبيه به، وَمِنْ قبلِهِ نوحٌ عليه السلام يحميه فترةَ دعوتِهِ ويكونُ معه عند صناعةِ الفلكِ وينجيه، وهذا يونس عليه السلام يربيه عندما ظَلَمَ نفسَه ويحفظُه في بطنِ الحوتِ وينصرُه،

وإبراهيم عليه السلام مَنَحَهُ اللهُ قوة في الحجة وذكاء للنقاش وحماية من النار وطمأنينة في القلب وعناية مدة الحياة وحفظ له ولذريته.

الوسيلة السابعة: الترهيب والتهديد:

إن الهدف من الدعوة بهذا الأسلوب هو جذبُ الناس على الحق خوفاً من العقاب وخوفاً مِنْ فُقْدَانِ السلامة والأمن، فالنفس البشرية تؤثر السلامة على الخوف والخطر، والرجاء أعلى منزلةً من الخوف، والعملُ على الرجاءِ أفضلُ منه على الخوفِ، لأن أقرب العباد إلى الله أحبهُّم إليه.

ومن الناس من لا يستجيب إلا إذا خُوِّفَ، وَهُدِّدَ. وخوف الله ينبني على العلم به، ومعرفته وأخوف الناس لربهم أعرفهم به فالمؤمن حقاً هو الذي يخاف ربَّه ويرجو رحمتَه وعفوَه.

وقد قال بعض السلف: الخوف سوط الله يسوق به عباده إلى المواظبة على العلم والعمل لينالوا بهما رتبة القرب من الله، وإذا كان الإنسان لا سعادة له إلا في لقاء ربه والقرب منه ولا قرب من الله إلا بتحصيل محبته والأنس به في الدنيا ولا محبة بغير معرفة ولا معرفةَ إلا بدوام الفكر ولا أنسَ إلا بدوام الذكر ولا مواظبةَ على الذكر والفكر إلا بانقطاع الشهوات ولا قطعَ للشهوات بشيءٍ كالخوفِ فهو النارُ المحرقةُ للشهواتِ[1].

وللترهيب طرق عديدة فمن طرقه:

١- التخويف من غضب الله وعذابه في الدنيا وعند الموت، وفي الآخرة عند الحساب وبعده من النار، وما يصيب الإنسانَ في الدنيا من الخوف والجوع والفزع وبيان أحوال الأمم السابقة البائسة، وبالتحذير من عدم نيل الدرجات العالية في الجنة ومرافقة الأنبياء والشهداء والصالحين[2].

---

(١) إحياء علوم الدين (١/ ١٣٩) «بتصرف».
(٢) المنهج الدعْوِي في أصول المحاضرة الدعْوِيَّةِ (ص: ٢٤٩)، وانظر أصول الدعوة لعبد الكريم زيدان (ص: ٤٢١) وما بعدها.

فالخوف وسيلة للرجوع إلى الجادة وترك المعاصي لذلك استخدم شعيب ﷺ مع قومه هذا الأسلوب قال تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴾ (هود: ٨٤).

وَبَيَّنَ اللهُ تعالى عاقبةَ الذين اِدَّعَوْا أن الله هو المسيح بن مريم ﷺ ترهيباً لهم من مقالتهم وتهديداً حتى يعودوا، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ (المائدة: ٧٢).

وأبو الأنبياء إبراهيم ﷺ يبين حُبَّهُ لأبيه وخوفَه عليه ولعل هذه المشاعرَ تكون سبباً في رجوعه إلى الله وخوفه من عذاب الله يقول تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴾ (مريم: ٤١ ـ ٤٧).

٢- ومن أساليب الترهيب ذِكْرُ أهوالِ يومِ القيامةِ وعذابِ النار.

ومن ذلك ما ورد في حوار ابني آدم ﷺ حيث قال: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ

قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (المائدة: ٢٧ - ٢٩).

إنها صورة مرسومة بمنتهي الدقة تنقلنا إلى موقع الأحداث كأننا نرى الأخوين وهما يتحادثان أحدهما تظهر عليه سمات الخير والصلاح ولا يملك إلا لسانه يتحدث به يستثير الخير في أخيه يخوفه بالله، والآخر يتطاير الشرر من عينيه والحقد من حركاته والحسد في لفتاته ويصر على موقفه، فتصف لنا الآيات ذلك: ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ (المائدة: ٣٠). ولنا أن نتخيل طريقة القتل وأن نتخيل ندمه وحسرته وخُسرانه بعد ما اقترفت يداه الإثم.

الوسيلة الثامنة: إبلاغ الدعوة بالإقناع:

يعتبر الإقناع أحد الأساليب التي يستخدمها المحاور في حديثه للتأثير على المتحاورين وإقناعهم بالفكرة وإيجاد الحافز الذاتي للوصول إلى الغاية وتحقيق الهدف. والحافزُ الذاتيُّ هو القوةُ الداخليةُ للإنسان المحركة لعواطفه والموجهة لإرادته والدافعة له حتى يمارس سلوكاً معيناً داخلياً أو خارجياً[1].

الوسيلة التاسعة: إبلاغ الدعوة بإيجاد الحلول:

يُعْنَي هذا الأسلوبُ بتنمية الوجدان والضمير وهذا يحتاج إلى وقت ومثابرة وصبر. ويتضمن هذا الأسلوبُ أيضاً إيجادَ البديلِ عن كل ما ينهاهم عنه المحاورُ لكي يملأ الفراغَ الذي أوجده في النفوس، ويكون بالحلول العملية لا المثالية التي ليس لها وجود. وإن الآيات التي ذكرها الله تعالى عن نبيه لوط ﷺ وقومه لتصف مشاعره وضيقه وتقديمه الحلول لهم وتحريك عقولهم. قال الله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن

---

(١) الأخلاق الإسلامية وأسسها (١/ ٢٠٢).

قَبْلُ كَانُواْ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ قَالَ يَـٰقَوْمِ هَـٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴾ (هود: ٧٧ - ٧٨).

ويكفينا لبيان هذا الأسلوب أن نذهب بجولة مع مؤمن آل فرعون لنرى كيف يتدرج بالإنكار على قومه درجة درجة حتى يفصح لهم في النهاية عن إيمانه الذي كان يكتمه كل هذا بأسلوب يمتلئ بالذكاء ودقة متناهية بالتدرج والإنكار. فبعد قرار فرعون بقتل موسى عليه السلام بقوله: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴾ (غافر: ٢٦).

هنا قام رجل من آل فرعون يكتم إيمانه ليدافع عن موسى وليرد كيدهم عنه بأسلوب ذكي. قام يلاين قومه ويرغبهم من ناحية ويخوفهم من عذاب الله من ناحية أخرى بأسلوب عذب قوي وبتدرج مدروس متقن في جولة مع أصحاب القرار بحوار قد قسمه إلى أقسام ودرجات وأخذهم معه درجة؛ كي يقروا ما يريد إنكاره عليهم[1].

لقد تفنن الرجل المؤمن في عرض حججه فساقها مرة في صورة استفهام ومرة في صورة الدليل العقلي، ويثبت لهم بالأدلة المنطقية أن الذي يدعونه لعبادته ليس له دعوة ولا يستطيع الاستجابةَ لمن دعاه ثم يعذر إليهم بقوله: ﴿ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ (غافر: ٤٤).

الوسيلة العاشرة: استخدام وسائل الايضاح المتاحة:

استخدام وسائل الإيضاح من أهم الأساليب لإفهام الآخرين فكرةً معينةً أو إثبات رأي على حسب قوة الوسيلة ودقة وبراعة المحاور في استخدامها وهي وسيلة لإقناع الطرف الآخر بإفهامه الجزئيات للوصول إلى قبوله للفكرة، وليست هناك

(١) راجع أدب الحوار في الإسلام (ص: ٨٨).

وسائل خاصة بل إن الإنسان هو المحرك لجميع الوسائل، وفي هذا يقول عمارة نجيب: يُعَدُّ الإنسانُ أداةَ الدعوةِ الأولى ووسيلتها وهو كذلك لدى جميع الدعواتِ والمذاهبِ والاتجاهاتِ، وقد يظن أن الوسائل الحديثة أصبحت أكثر تأثيرا وفاعلية من الإنسان وهذا خطأ ظاهر لأن جميع الوسائل القديمة والحديثة المباشرة وغير المباشرة لو اجتمعت دون الإنسان لأصبحت فارغةَ المحتوى لا قيمةَ لها ولا أثرَ[1].

ووسائل الإيضاح قد تكون طبيعية من الكون حولنا، وقد تكون أجهزةً أو تجاربَ علميةً أو أدواتٍ وقد تكون حسيةً أو معنويةً.

وبالنسبة لأنبياء الله كانت وسائلهم الإيضاحية هي معجزاتهم لإظهار قدرة الله تعالى وإقناع المخاطبين بعبادته وتوحيده. ففرعون لم تقنعه هذه المعجزات واعتبرها سحراً قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرَيْنَـٰهُ ءَايَـٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴾ (طه: ٥٦ - ٥٩).

وموسى عليه السلام يظهر وسيلته، ويتحدى فرعون، ويحدد الوقت، والطريقة التي تساعده على إظهار الحق.

وتظل الدعوة إلى الله هي الهدف الأسمى ويظل الحوار أروع وسيلة من وسائلها، ويظل تأثيرها قويا مادام الحوار له هدف وغاية، ومادام المحاورون مخلصين في حوارهم، عندئذ يتعلم الناشئة أدب الحوار، وتُنمِّي لديهم القدرةُ على التفاهم والتحاور دونما جمود على رأي واحد أو فكرة ثابتة.

(١) فقه الدعوة والإسلام (ص: ١٨٥).

الفصل الثاني

ثمرات الحوار في مجال التعليم والتربية

يقومُ الحوار التربوي داخل قاعات الدرس على مجموعة من الأسس تُفْضِي إلى تحقيقِ أفضلِ نتائجَ في التعلم، وثمراتُ الحوارِ نلمسُها بوضوحٍ في المجالِ التعليميِّ وفي المجالِ التربويِّ.

أولاً: ثمرات الحوار في المجال التعليمي:

إن الحوار هو أحد الأشكال الرئيسة للاتصال اللغوي والاجتماعي بالنسبة للإنسان؛ يتحدث به إلى الآخرين، ويتحدث الآخرون إليه باعتباره جزءاً مهماً في الممارسة اللغوية التي يمارسها الأفراد في الحياة؛ فالناس يتحاورون أكثر مما يكتبون، وبقدر ما يكون لدى الإنسان من قدرة على عَرْضِ وجهة نظره بطريقة واضحةٍ وإقناع الآخرين بها، بقدر ما ينجحُ في اتصالِهِ بالآخرين وفي إنجاز الحوار الهادئ الهادف المفيد؛ فهو يعتمد على الحوار بشكل أساسي عندما يريد استمالةَ غيره من أفراد المجتمع والتأثيرَ فيهم؛ فيحملهم على أن يسلكوا سلوكا معيناً، وبدون امتلاكِ مهاراتِ الحوارِ لا يُوَجُد لنا بقاءٌ في عالمِ اليومِ، ولا ننسى أن الإنسانَ في حياته العاديةِ وفي آية مرحلةٍ من مراحلِ العمرِ لديه الميلُ والرغبةُ في أن يتحدثَ، ويُعَبِّرَ عما يفكرُ فيه وعما يفعلُه، وقد يستطيع بأقواله وأفعاله أن يقنعَ السامع، ويسيطر عليه، ويكسب تأييده وثقته.

وإذا كان للحوارِ هذه الأهميةُ، فإننا يجب أن نُولِيَهُ عنايةً كبرى في مدارسنا، وأن نحرص على تدريب التلاميذ على كيفية إتقانِ التحاوُرَ وإتقان الآخرين، وإذا كانت العملية التربوية تعتمد على ما يجري من اتصال بين جميع الأطراف المشتركة في المواقف التعليمية[1] فإن الحوارَ أو الحديثَ هو وسيلةُ هذا الاتصالِ وجوهرُهُ، سواء أكان هذا التحاور بين المعلم والتلاميذ، أم بين التلاميذ بعضهم وبعض.

---

(١) المعلم وإدارة الفصل (ص: ٥٥).

إن الفرد الذي لا يكون قادراً على المشاركة فيما يجري من اتصال في المواقف التعليمية، لا يمكن أن يتعلم على النحوِ المرغوبِ فيه، كما أن التدخلَ المستمرَّ من جانبِ المعلمِ فيما يجري من اتصالٍ بين التلاميذ، يُقَلِّلُ من عائدِ هذه العمليةِ. والمشكلةُ الرئيسة في هذا الشأن، هي أن المعلم يستخدم طرقا تقليدية يعتمد عليها في معظم الأحيان، ويعتبر أن وظيفة الحديث أو الكلام هي نقل الحقائق والمعلومات إلى التلاميذ، وها خطأ جسيم فإن جوهر الاتصال هنا ما يجري من حديث بينه وبينهم من أجل الوصول إلى غابات تفوق تلك الغاية من حيث الأهمية.

وإذا كان تدريب التلاميذ على الحوار يُعينهم على أن يَحْيَوْا حياةً فاعلةً متجاوبةً مؤثرةً - لاسيما في المجتمع المسلم - فإن معظم التربويين يؤكدون أن تنمية قدرة طلاب العلم على التحاور من أهم الأغراض في تعليم اللغة؛ فليس هناك شيء يقتنيه المتعلم في حياته أثمن من تمكنِهِ من لغة أهل بلده، واستطاعتِهِ أن يعبرَ عما في نفسِهِ.

ومن أهم واجبات المدرسة أن تأخذ بأيدي تلاميذها في مجال التعبير، وأن تعودهم الاشتراك في المناقشات الجماعية المنتظمة في أسلوب واضح سليم، يقوم على الإقناع وأن تدربهم عند تعاملهم اللغوي بقاعة الدرس على أن يقدموا أفكارهم دون تقييد أو إكراه؛ لأن قدرة أفراد المجتمع على التحاور الهادئ الرزين النافع، وقدراتهم على الاستماع للآخرين، وعرضهم وجهات نظرهم، ومحاولة إقناع الغير بها من العوامل المؤثرة في تقدم المجتمعات.

وممارسة الحوار يمكن أن يكسب الطلاب مهارات متنوعة من خلال هذه المواقف، تجعلهم قادرين على التحاور مع الآخرين، وعلينا بعد ذلك أن نعدهم للمواقف والأنشطة الحوارية التي يشاركون فيها كدافع لهم على التحاور والإقناع.

فوائد الحوار التعليمي:

١- تنمية اللغة الشفهية عنصرٌ أساسيٌّ بالنسبة لمهاراتِ اللغة الأخرى، كما أن الأطفال الذين يستطيعون تقديم أنفسهم بطريقة فعالة عندهم الفرصة أن ينجحوا في مجالات أخرى من فنون اللغة.

٢- في الحوار فرصة لاحترام رأي الطالب وتشجيعه على التفكير وتقديم الآراء والمقترحات، حتى لو كان فيها ما يغاير المألوف، وإذا استطعنا أن نحترم كل نتيجة يصل إليها الطالب - مهما كان مستواها - بغض النظر عن رأينا فيها، وإذا غرسنا فيه الثقة بالنفس، وعرضناه لمواقف تتطلب التفكير والموازنة، لوصل تدريجياً إلى الاستقلال في التفكير.

٣- يزيد الحوار من القدرة على اكتساب المهارات وتكوين الآراء، واتخاذ القرارات، كما يساعد الحوار على تطوير المعلومات ودعم الروابط والعلاقات الاجتماعية؛ ويساعد أيضاً على اكتساب روح التعاون وأساليب العمل الجماعي.

٤- المشاركة الإيجابية التي تتحقق من خلال الحوار تجعل تعبير الطلاب عن حالاتهم الانفعالية يتخذ شكلاً طبيعياً، يصل بهم إلى القدر المرجو من الاتزان الانفعالي، ويمكن للمعلم أن يدربهم على ضبط انفعالاتهم وتهذيبها في جو من الصداقة والود؛ مستثمراً كل فرصة في تنمية ثقتهم بأنفسهم.

٥- يساعد الحوار على كسر حاجز الخجل والتهيب، ويزيد من قدرته على المواجهة؛ فأثناء التحاور يقف مع زملائه متحدثاً ومستمعاً، وهو باعتياده هذه المواجهة يألف مواجهةَ الآخرين؛ مما يغرس الثقةَ بالنفس. ويساعد الحوارُ على علاج أمراضِ النطقِ التي تعودُ إلى أسباب نفسية أو الإحباط الذي تَعَرَّضَ له الطالبُ في مواقفَ سابقةٍ. وتوجيه النقد والمشاركة الجماعية في الحوار؛ يخفف من درجة توتره وقلقه، ويوفر لديه قَدْراً كبير من التوافق.

٦- اكتسابه أسلوب الشورى القائم على النظام واحترام الرأي المعارض، يشعره بأهمية آرائه، ويزيد من إقباله على الدراسة.

٧- يُعد الحوار تجميعاً للآراء والخبرات المختلفة؛ بحيث يظفر كل عضو في النهاية بحصيلة أكبر من تلك التي كانت لديه؛ وخلق الوعي ودعم الوحدة الفكرية بين أفراد المجتمع، ويمكنهم الحوار من زيادة خبراتهم الشخصية عن طريق منافذ

المعرفة المختلفة؛ لأن هذه الخبرات تمنحهم فرصة للحديث، وتجلب لهم التفات الآخرين، والنظر إليهم نظرة تقدير واحترام، كما تنمى معلوماتهم وثرواتهم اللغوية، وتحثهم على البحث والإطلاع.

٨- يساعد الحوار على تنمية الجانب القيادي لدى الطلاب؛ حيث يشعرهم بكيانهم الاجتماعي وسط إخوانهم، وباستقلال شخصياتهم وتفردها، حين يعبرون عن مشاعرهم، أو حين يتكلمون بدلاً منهم. كما أنه يساعد على اكتشاف الطلاب الموهوبين ومساعدتهم؛ لتنمية تلك الموهبة إلى أقصى حد ممكن.

٩- الحوار فرصة لاكتساب اللباقة في الحديث، واكتساب آداب التحدث مع الآخرين، والسيطرة على الصوت، وتنويع طبقاته، والتدريب كذلك على كيفية الوقوف للتحدث والهيئة التي يكون علها الشخص وهو يقف أمام الآخرين.

١٠- يكسب الحوار بعض المبادئ الأخلاقية، ويمكن المعلم من تعديل بعض الممارسات والسلوكيات غير السوية.

١١- التعود على الارتجال، وسرعة الخاطر، والاعتماد على النفس في الحصول على المعلومات، وحرية النقد[١].

ثانياً: ثمرات الحوار في المجال التربوي:

لعل أوضح ثمرات الحوار في التربية هي أن اعتياد الأبناء والناشئة الحوار يثبت الأفكار لديهم، ويجعلهم يقبلون على المناقشة بحب وشغف، وعندئذ يستمعون أكثر مما يتحدثون، ويتفاعلون بأدب ومراعاة لظروف الآخرين، ويتعلمون آداب الحوار التي عرضنا لها في الباب الأول، ويتعلمون كيفية الحوار مع الذات ومع الآخرين مما عرضنا له في الباب الثالث، ويتعلمون مستقبل الحوار مع الحضارات الأخرى مما عرضنا له في الباب الرابع. وَبَقِيَ للدعاة أن يعلموا خصائص الحوار التربوي وهي:

(١) فاعلية مجموعة من الأنشطة الوظيفية لتنمية مهارات الحوار (ص: ٨٦).

خصائص الحوار التربوي:

١- أن يقوم الحوار على التواضع، أما إذا تعالى كل طرف على الآخر واتهمه بالجهل؛ فسيتحول الحوار إلى نزاع بين الأطراف المتحاورة، ويصبح مجرد صيحات وصراخ. وقد ينتهي بالعداوة والكراهية والإحباط وتبادل الاتهامات ومحاولات الانتصار على الخصم.

٢- الحوار الجيد يقوم على الحب؛ كما يقوم أيضاً على احترام الآراء، ويساعد على نشر الحب، ويجنب أصحابه العنف والانفعال وهذا هو الحوار الناضج.

٣- إعطاء كل الأفراد حق التحاور، مع احترام وجهات النظر المعارضة أي أنه من واجب كل فرد أن يستمع إلى زملائه وهم يتحدثون أو يعبرون عن أفكارهم.

٤- الحوار الجيد يساعد على بناء علاقات جادة بين التلاميذ بعضهم وبعض، وبينهم وبين المعلم، ليكتسبوا ثقة بالنفس، وإدراكاً عميقاً لحقه في الاختلاف مع الآخرين، وحق الآخرين في الاختلاف معه، كما أنه يكسبهم أسلوباً جديداً في معالجة أمور حياتهم.

٥- الحوار الجيد يقوم بين أفراد واعين قادرين على تحليل المواقف بشكل مرن متحرر من التمسك والتعصب بالأفكار الشخصية؛ يساعد فيه المعلم طلابه على أن يفسروا ويستنتجوا؛ معتمدين على معرفتهم بالمعلومات السابقة.

٦- يعتمد الحوار الجيد على لباقة التلاميذ المتحاورين، وكياستهم وإحساسهم بالمسئولية نحو أنفسهم ونحو الجماعة.

٧- يتسم الحوار بالبعد عن الاتجاهات الجدلية، وكذلك البعد عن السفسطة التي لا طائل من ورائها؛ مما يساعد كذلك على إصلاح الأفكار الخطأ الهدامة، وترسيخ الأفكار البناءة المثمرة.

٨- الحوار الجيد تتوافر فيه الدوافع النفسية التي تثير حماس الطلاب، وتصور عبارته وأفكاره حسب مشاعرهم، وتنبع من نشاط تفكيرهم لا تفكير غيرهم، وتبرز ميولهم في صدق وإخلاص[1].

٩- في الحوار الناجح يجب أن يتكلم الطلاب أكثر من المعلم، على أن يتم تبادل الأفكار الموجهة نحو تحقيق هدف معين.

(١) فاعلية مجموعة من الأنشطة الوظيفية لتنمية مهارات الحوار (ص: ٩٣)

الفصل الثالث

ثمرات الحوار في التعامل مع الأمم الأخرى

أولاً: الحوار وأثره في علاقة الإسلام بالغرب:

لا يخفي علينا أن بعثة رسول الله ﷺ بالإسلام كانت منعطفاً تاريخياً في حياة الناس جميعاً، وتحولاً حضارياً متميزاً في نهج حياتهم وتعاملهم. تَحَوَّلَ الخطابُ فيه من قوميةِ الأديانِ ومحدوديةِ مقاصدِها، إلى عالميةِ الإسلامِ وشموليةِ دعوتِهِ وتكاملِ مقاصدِهِ، ومن عزلة المجتمعات البشرية وتضادها وتصارعها إلى وحدة الأسرة البشرية وتعاون مجتمعاتها. حيث سمع الناس لأول مرة فكرة المجتمع الواحد، كما سمعوا أيضا لأول مرة فكرة التعايش السلمي بينهم من غير تمايز بينهم على اختلاف أقوامهم وأجناسهم وأعراقهم وأوطانهم[١].

والإسلام الحنيف لا يكتفي بمحو أسباب التفرق والنزاع بين الناس؛ بل يدعو إلى التسامح العام، ولشأن التسامح يداوى القلوب المكلومة، ويجتذب النفوس النافرة.

فالإسلام منهج للناس جميعا، ومقاصده لخيرهم وفلاحهم، وخطابه لهم على اختلاف أقوامهم، وأجناسهم، وأعراقهم، وأديانهم.

فهو تحول حضاري شامل ينتقل بالناس من ضيق القوميات، والأعراق، والأجناس، إلى سعة الأسرة البشرية، وتعاون مجتمعاتها في إطار منهجية المجتمع الإنساني الواحد، وفي إطار منهج التعاون بين الناس جميعاً على أساسٍ مِنْ قِيَمِ ربهم[٢].

ولا شك أن للغرب وحضارته علاقات ولقاءات بالمسلمين وحضارتهم على مدى التاريخ. وقد يكون مفهوما لدى الباحثين أن المصالح الاقتصادية، والعلمية، والتقنية تتداخل لدرجة أن المصالح السياسية أحياناً تبدو متشابكة بل ومشتركة في بعض الميادين.

---

(١) الإسلام والنظام العالمي الجديد (ص: ٦٧ — ٦٩).

(٢) الإسلام والنظام العالمي الجديد (ص: ١٤٤).

ومما لا يخفي أن الإسلام قدم نظرة شاملة للكون والحياة والإنسان. وأن هذه النظرة تبقي أساسية وصالحة للبشر في كل زمان ومكان.

وهذه النظرة تشمل الأخلاق، والاقتصاد، والاجتماع، والسياسة، ومن هذه المنطلقات قامت الحضارة الإسلامية على مبدأين مهمين: هما التغيير والاستشراف.

ولعل فواتح كتب الرسول ﷺ إلى إمبراطور الروم وكسرى الفرس توضح هذين المبدأين.

فقد جاء في رسائل الرسول ﷺ بعد المقدمة: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ (آل عمران: ٦٤).

وهذه الآية الكريمة جاءت لتقرر مبادئ هامة في علاقات المسلمين بأهل الكتاب:

- مبدأ الاعتراف بالآخرين.
- مبدأ الحوار وأهميته.
- مبدأ احترام المشيئة الذاتية لدى الآخر.
- مبدأ استشراف المستقبل في ظل علاقات محدودة وسامية.

وإذا كان الإسلام يدعو إلى الحوار مع الغرب واللقاء بالغربيين؛ فقد كان هناك لقاء عملي تم بين الشرق الإسلامي والغرب المسيحي من خلال المؤسسات العلمية التي قامت في الأندلس.

حيث جاء أبناء الغرب من الجزر البريطانية، ومن فرنسا، وألمانيا، والأراضي المنخفضة وغيرها يأخذون عن المسلمين علومهم، وعادوا بها إلى بلادهم حيث استطاع الغرب بذلك أن يؤسس نهضة صناعية وزراعية.

وقد أرسل الملك جورج ملك بريطانيا وفداً من بناتِ الأشرافِ الإنجليز؛ مكوَّناً من ثمانيَ عشرةَ فتاة برئاسة ابنة أخيه الأميرة: دوبونت.

ورافق الوفد أحد كبار موظفي القصر الملكي البريطاني هو النبيل سيف ديك، ومع الوفد هدية ثمينة للخليفة.

وجاء في رسالة الملك جورج إلى الخليفة الأموي بالأندلس بعد مقدمة ودية: لقد سمعنا عن الرقى العظيم الذي تتمتع بفيضها الصادي معاهد العلم والصناعات في بلادكم العامرة. فأردنا لأبنائنا اقتباس نماذج من هذه الفضائل؛ لتكون بداية في اقتفاء آثاركم لنشر أنوار العلم في بلادنا. وقد أرسلنا ابنة شقيقنا الأميرة (دوبونت) على رأس بعثة من بنات الأشراف الإنجليز، لتكون مع زميلاتها موضع عناية عظمتكم، وحماية الحاشية الكريمة، وعطف اللواتي سيتوفرن على تعليمهن. وقد أرفقت الأميرة الصغيرة بهدية متواضعة لمقامكم الجليل، وأرجو التكرم بقبولها مع التعظيم والحب الخالص.

وعند وصول البعثة أمر الخليفة باستضافة جميع أعضائها والمرافقين في قصره وإحاطتهم بكامل الضيافة، وتخصيص نفقة مالية لكل منهم من بيت مال المسلمين. وبعث الخليفة هشام السادس آخر الخلفاء الأمويين في الأندلس بخطاب جوابي إلى الملك البريطاني جاء فيه: لقد اطلعت على التماسكم فوافقت على طلبكم بعد استشارة مَنْ يَعْنِيهم الأمرُ. أما هديتُكم فقد تلقيتُها بسرورٍ زائدٍ، وبالمقالة أبعث لكم بغالي الطنافس، وهي من صنع أبنائنا وهدية لحضرتكم وفيها المغزى الكافي للتدليل على اتفاقنا ومحبتنا، والسلام لله[1].

والمتأمل ـ أعماقاً وأبعاداً ـ في علاقة الإسلام بالغرب. يجد أن المسلمين عندما شعروا بالتأخر الذي أصاب بلادهم بعد سقوط الخلافة العثمانية، وجدوا أن الفرصة مناسبة لتعلم علوم الغرب، ولذا كانت هناك محاولات تطويرية قامت في مصر عَلَى يدِ مُحَمَّد على، وامتدت بعد ذلك إلى كثير من بلاد المسلمين.

وقد سافر بعض الشباب المسلمين إلى أوربا، وأخيراً إلى أمريكا لطلب العلم؛ حيث استطاع كثيرون أن يكتسبوا علوماً، ونظماً، وطرائق في مجالات الفيزياء،

---

(١) الإسلام والغرب حوار لا صراع (ص: ١٣ — ١٥).

والكيمياء، والرياضيات، والطب والتربية، والإدارة، وعادوا إلى بلادهم يَدْعُونَ إلى التقدم في مجالات الطب، والزراعة، والصناعة، والتعليم، والتنظيم الإداري[١].

وَإِنَّ وجودَ أقلياتٍ إسلاميةٍ في المجتمعاِ الأخرى، وفي الغربِ بالذاتِ. يساعدُ المسلمين على تحقيقِ حوارٍ حضاريٍّ. وذلك بأن تكونَ الأقلياتُ عنصرا فاعلا في النسيجِ الاجتماعيِّ في كل بلد تعيش فيه هذه الأقلياتُ. وذلك من خلال الإخلاص في العمل، والصدقِ في القولِ والوعدِ، والمبادرةِ إلى فعلِ الخيرِ للآخرين، وإشاعةِ روحِ المودةِ في المجتمع الذي يعيشون فيه.

كذلك المراكز الثقافية الإسلامية تؤدى دورا كبيرا في تقريب وجهات النظر.

ولابد أن نمد يد الصداقة لمؤسسات ومعاهد وجامعات في الغرب تعنى بدراسة التراث الإسلامي وطريقة التفكير لدى المسلمين. مثل جامعة هارفارد، وجامعة ييل في أمريكا، وكامبردج، وأكسفورد، وجامعة لندن في بريطانيا، والسوربون ومعهد العالم العربي في فرنسا.

ولهذا كان على أمتنا الإسلامية أن تنظر إلى الغرب من خلالِ فقهِ العلاقاتِ الدوليةِ، وفقهِ المصالحِ المشتركة ِوفقهِ التعايشِ البشريِّ. في إطارِ التدافعِ الإنسانيِ لتحقيقِ المصالحِ، وصرفِ الفسادِ عن الأرضِ: وفْقَ منهجيةِ السياساتِ الشرعيةِ لفقهِ الأولوياتِ، وفقه الموازناتِ، وفقهِ المصالحِ، وفقهِ الضروراتِ، وفقهِ الرخصِ والعزائمِ وغيرِها[٢].

وإذا تم النظر إلى الغرب من خلالِ هذه المعالم أدركنا أن هناك عناصر اتفاق، وإحساسا مشتركا يُكَوِّنَانِ في النهاية بنيةً أخلاقيةً تحتيةً لحركةِ المجتمع البشريِّ، وهذا يأخذنا إلى توضيحِ دورِ حوارِ العلماءِ الفعالِ المثمرِ في تحقيقِ التفاعلِ الحضاريِّ مع الأممِ الأخرى.

---

(١) الإسلام والغرب حوار لا صراع (ص: ١٥).
(٢) الإسلام والنظام العالمي الجديد (ص: ٥٧).

ثانياً: حوار العلماء لدعوة غير المسلمين:

هناك نماذج من علماء الإسلام الذين حاوروا أهل الكتاب وفق الموضوعات التي قررها القرآن، والتي تخدم الأهداف الشرعية ولنأخذ أمثلة منها:

١- أبو الحسن العامري: وله كتاب الإعلام بمناقب الإسلام، قارنَ فيه بين الإسلام واليهودية والنصرانية وبعضِ الملل الأخرى، وَبَيَّنَ من خلالِ ذلك فضائلَ الإسلام، المتنوعة، وفي نهاية الكتاب رَدَّ على شبهات أهل الأديان الأخرى تجاهَ الإسلام وبشارة الكتب السابقة بالنبي محمد ﷺ.

٢- أبو حامد الغزالي، وله كتاب الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل، وتناول في كتابه: طوائف النصارى وجهلهم، ثم الموضوع الرئيس وهو الرد عليهم في دعواهم التثليث، واتخاذ عيسى إلهاً من دون الله.

٣- ابن حزم الأندلسي، وله كتاب الفصل في الملل والأهواء والنحل، وقد أطال الكلام حول بيان تناقض كتب أهل الكتاب وما فيها من المنكرات، كما أثبت نبوةَ المسيح وكونَه عبدا لله.

٤- أبو الوليد الباجي، وله رسالة جيدة رد فيها على راهبِ فرنسا في وقته بعد أن بعث الراهب رسالة إلى ملك الأندلس يدعوه فيها إلى النصرانية، وقد تضمنت رسالةُ الباجي إبطالَ التثليثِ وإثباتَ نبوةِ محمدٍ ﷺ.

٥- أبو المعالي الجويني، وله كتاب شفاء العليل في بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل، والموضوع الرئيس للكتاب كما هو ظاهر من العنوان إثباتُ تحريفِ التوراةِ والإنجيلِ.

٦- أبو عبيدةَ الخزرجي، وله كتابٌ في الرد على النصارى ويركزُ فيه على بطلانِ ألوهيةِ المسيحِ من أناجيلهم.

٧- أحمد القرافي، وله كتاب الأجوبةُ الفاخرةُ على الأسئلةِ الفاجرةِ، يرد فيها على شبهاتِ النصارى وَيُثْبِتُ فضلَ الإسلامِ وكمالَهُ.

٨- ابن تيمية، وله كتاب الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، وهو من أفضل الكتب المصنفة في هذا الباب وأجمعها، رد فيها على شبهات النصارى وأثبت من خلاله فضلَ الإسلام، وعمومَ بعثةِ النبيِّ ﷺ، وساق الدلائلَ المختلفةَ على صحةِ رسالتِهِ، كما أبطل التثليثَ، وَبَيَّنَ تحريفَ الأناجيلِ.

٩- عبد العزيز بن معمر، وله كتاب منحة القريب المجيب في الرد على عُبَّاد الصليب، وهو رد على كتابٍ لنصراني في البحرين مَلِيءٍ بالشبهات على الدين الإسلامي، فرد في كتابه على هذه الشبهات مبيناً فيها فضلَ الإسلام وكمالَهُ.

١٠- رحمت الله الهندي، وله مناظرات كثيرة في الهند مع النصارى هناك أشهرها المناظرة الكبرى مع القس فندر، وبحث فيها موضوعات النسخ والتحريف، ثم انسحب القس عن استكمال بقية الموضوعات، وهي إثباتُ بعثةِ النبيِّ ﷺ، وصحةِ رسالتِهِ، وإبطال التثليث، كما أن له كتابه المشهور وهو من أحسن ما ألف في هذا الموضوع وهو إظهار الحق وبتناول خمسة موضوعات رئيسة وهي: التحريف، والنسخ، ورد فيهما على اليهود والنصارى وأثبت تحريف كتبهما ونسخهما. وإبطال التثليث، وإثبات كون القرآن كلام الله، وإثبات نبوة محمد ﷺ من خِلالِ البشاراتِ في العهدين.

١١- أبو الأعلى المودودي، وله مكاتبات مع البابا بمناسبة اليوم العالمي للسلام أشار فيها إلى أن المسلمين يؤمنون بالتوراة والإنجيل، ولكنهم يؤمنون أنها محرفة، كما ذكر دَوْرَ جمعيات التبشير في زعزعة السلام، وانتقد أساليبَهم المنافيةَ للأخلاق والدين، وَدَوْرَ النصارى في وجود إسرائيل[1].

١٢- أحمد ديدات، وله مناظرات كثيرة و مشهورة مع النصارى في عصرنا الحاضر أشهرها مناظرته مع القس (سوجارت)، كما أن له كتباً كثيرة مثل: ماذا يقول الكتاب المقدس عن محمد؟ والمواضيعُ الأساسيةُ التي يتناولُها في كتبه ومناظراته

---

(١) طائفة من قضايا الأمة الإسلامية في القرن الحاضر (ص: ٢٣٩ — ٢٤٤).

إثباتُ رسالة محمد ﷺ من كتب النصارى، وإبطالُ التثليث من كتبهم، والردُّ على شبهاتهم المختلفة.

هذه نماذج مضيئة من العلماء القدامى والمعاصرين ممن التزموا بالقواعد المحققة للأهداف المشروعة للحوار، فإن المسلم لا يمتنع عن الحوار إذا ترجحت مصلحته وإن لم تكتمل فيه الشروط، لأن المسلم مأمور بدعوة غيره إلى الإسلام، فيدعو بقدر علمه وإمكانه، أما إذا لم يتمكن منه أو خشي على نفسه الفتنةَ فإنه يمتنعُ عنه.

و ليس معنى وجود الشروط في المحاور أن يحاور على أي حال كان، بل لابد من النظر في المصلحة، فقد يكون الأفضلُ تركُ الحوارِ أمامَ جمهور العامةِ لأنهم يَقْصُرون عن فهم كثير من المعاني، وتلتبس عليهم المصطلحات، ولا فائدة لهم منه، وقد يفهمون الشبه وَيَعْجِزون عن فهم الرد عليها، فيكون في هذا الظرف تركُ الحوار أمامهم أولى. وربما يكون العكس صحيحاً فيكون الأولى حدوث الحوار أمام عامة الناس لحاجتهم إليه، لكونهم كفاراً أو مسلمين في بلاد الكفار، ويفهمون ما يقال فيكون الحوار دعوة للكفار، وتثبيتا للمؤمنين.

وهكذا فإن للحوار أَثَرَهُ الفعالَ في تعريف الآخرين بالإسلام، ويأتي هذا من خلال محاورين دارسين، أَعدو العدةَ لهذا، ولديهم درايةٌ كاملةٌ بالأديان الأخرى، وعندئذ يكون الانفتاح عليهم بابا للأخذ بأيديهم من الظلمات إلى النور، وتأكيداً لذلك فإن ما فعله الداعية الإسلامي أحمد ديدات آتى ثماراً عظيمة في دخول الكثير منهم في الإسلام، ونأمل أن تتسع قاعدة الحوار مع غير المسلمين؛ ليكون من أبواب الهداية لهم، ولعل الهيئات والمؤسسات القائمة على الدعوة في بلاد المسلمين تُعد دعاة مثقفين بِفِكْرِ الآخر ولغتِهِ؛ فضلاً عن تمكنهم من علوم الشريعة، وعلوم العصر، وتلك مهمة شرعية تحتاج من ينهض لها لنشر هذا الدين العظيم.

❊ ❊ ❊

الخاتمـة

بعد هذا العرض لأبواب الكتاب الخمسة، وفصوله المتعددة في موضوع **الحوار في الإسلام**، وبيان استمداد مشروعيته من الكتاب والسنة، وبيان كمال الشريعة، وَسُمُوِّها في إرشاد الناس على وجه تفصيلي إلى أحد أرقى أساليب الدعوة إلى الله، بالمحاورة والمناظرة، وفق ميزان عادل تنتظم به جميع أنواع المحاورات، وبإرشاد من طلب الحق بهذه الطريقةِ طريقةِ الحوارِ مع الغير باستخدام آدابِ الحوارِ الكثيرةِ، والبعدِ عن الأسبابِ التي تمنعُ من تحقيقِ المقصودِ، وبمعرفةِ فوائدِ الحوارِ المتعددةِ: من تمييز الحق من الباطل، ومن تنشيط الذهن، ومذاكرة العلم، وكف أذى المعاندين، وشحذ الهمم، والتدريبِ على مواضع الخلافِ، وإظهارِ الدينِ، والتحررِ من التقليدِ، وَتَفَهُّمِ العلوم واستخراجِ الخفيِّ منها، إلى غير ذلك.

يتضح لنا بعد كل هذا أن الاحتياج شديد لمعرفة طبيعة الحوار، وأصوله، واستيعاب العلوم التي تعين على فهمه، خاصة أَنَّ الموضوعات المتعلقة به لم يسبق أن تعرضت لها الكتب التي صنفت فيه قديمها وحديثها بهذا التفصيل والتحليل.

وقد أنعم الله علينا بالمادة العلمية التي أَثْرَتْ المعالجةَ، وذلك من خلال تَلاَقُحِ الأفكارِ، ودوامِ المدارسةِ والتنقيبِ والبحثِ والاستقصاءِ، فالحمد الله الذي بنعمته تتم الصالحات.

هذا ولعل المطَّلعَ على هذا الكتاب يتمنى إضافةَ موضوعاتٍ أخرى متممة له من أهمها:

- مواقف الحوار والحجاج في القرآن الكريم (وهو كتاب جديد تم جمع مادته العلمية، في سبيل ظهوره قريباً إن شاء الله تعالى).
- جوانب الهداية من الإقناع والتوجيه في الحوار النبوي الشريف.

وغير ذلك من الموضوعات المتعلقة بهذه القضية، والتي نأمل أن تنهض بها الهيئاتُ والمؤسساتُ العلميةُ والدعْوية في بلاد المسلمين لإبراز الصورة الصحيحة لهذا الدين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المراجـع والمصادر

١) الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي.

٢) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي.

٣) الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن حسن حبنكه الميداني.

٤) آداب البحث والمناظرة ، محمد الأمين الشنقيطي.

٥) أدب الاختلاف في الإسلام، طه جابر فياض العلواني.

٦) أدب الحوار في الإسلام، سيف الدين شاهين.

٧) أدب الحوار والمناظرة، علي جريشة.

٨) أدب الحوار، صالح بن حميد.

٩) أساس البلاغة ، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري.

١٠) أسرار البلاغة. عبد القاهر الجرجاني.

١١) أسس الحضارة الإسلامية ووسائلها، عبد الرحمن حسن حبنكه الميداني.

١٢) الإسلام والبعث الحضاري، أحمد عبده عوض.

١٣) الإسلام والحضارة الغربية محمد محمد حسين.

١٤) الإسلام والعولمة، مؤتمر عن العولمة والصراع بين الإسلام والغرب، القاهرة، ١٩٩٩م، أحمد عبد الرحمن، وآخرون.

١٥) الإسلام والغرب حوار لا صراع، سعيد عطية أبو عالي.

١٦) الإسلام والنظام العالمي الجديد ، حامد أحمد الرفاعي.

١٧) أصالة الفكر العربي، محمد عبد الرحمن مرحبا.

١٨) أصول الدعوة ، عبد الكريم زيدان.

١٩) أضواء على الحضارة الإسلامية أحمد عبد الرحيم السايح.

٢٠) إظهار الحق، رحمت الله الهندي.

٢١) الاعتصام، إبراهيم بن موسى الشاطبي.

٢٢) إعجاز القرآن ، مصطفي صادق الرافعي.

٢٣) أعلام الموقعين عن رب العالمين محمد بن أبي بكر ابن القيم.

٢٤) الإعلام في القرآن الكريم، عبد القادر حاتم.

٢٥) إفحام اليهود، السَّمَوْءَل بن يحيي المغربي.

٢٦) اقتضاء الصراط المستقيم، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية.

٢٧) الإيمان، عبد المجيد الزنداني، وآخرون.

٢٨) بدائع الفوائد، محمد بن أبى بكر ابن القيم.
٢٩) البداية والنهاية، إسماعيل ابن كثير الدمشقي.
٣٠) بديع القرآن، ابن أبى الإصبع المصري.
٣١) بروتوكولات حكماء صهيون، محمد خليفة التونسي.
٣٢) بصائر الحق في سورة الأنعام، عبد الحميد محمود طهماز.
٣٣) تاريخ الأمم والملوك، أبو جعفر بن جرير الطبري.
٣٤) تاريخ الهند أو تحقيق ما للهند من مقولة في العقل أو مرذولة، محمد البيروني.
٣٥) التعريفات، عبد القاهر الجرجاني.
٣٦) تفسير القرآن العظيم، إسماعيل ابن كثير الدمشقي.
٣٧) التفسير الواضح، محمد محمود حجازي.
٣٨) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله أحمد الأنصاري القرطبي.
٣٩) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية.
٤٠) الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية، توفيق الراعي.
٤١) الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة، يحيي محمد زمزمي.
٤٢) الحوار الحضاري ضرورة إنسانية، أحمد عبد الرحيم السايح.
٤٣) الحوار بين الجماعات الإسلامية، محمد سيد أحمد المسير.
٤٤) الحوار في القرآن، سناء محمود عبد الله عابد.
٤٥) الحوار لغة القرآن والسنة النبوية، إبراهيم أحمد الوقفي.
٤٦) الحوار مع أهل الكتاب، أسسه ومناهجه، خالد بن عبد الله القاسم.
٤٧) الخطابة في صدر الإسلام، محمد طاهر درويش.
٤٨) دعوة الإسلام، سيد سابق.
٤٩) الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها، أحمد غلوش.
٥٠) دعوة جمال الدين الأفغاني في ميزان الإسلام، مصطفي فوزي غزال.
٥١) الرد على المخالف، بكر بن عبد الله أبو زيد.
٥٢) رسالة راهب فرنسا، أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي.
٥٣) رياض الصالحين، أبو زكريا يحيي بن شرف النووي.
٥٤) زاد المعاد في هدى خير العباد، محمد بن أبى بكر ابن القيم.
٥٥) سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد ابن ماجه، القزويني.
٥٦) سنن أبى داود، سليمان السجستاني أبو داود.
٥٧) سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي.

٥٨) سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي.
٥٩) السيرة النبوية عبد الملك ابن هشام.
٦٠) سيكولوجية القصة في القرآن، التهامي نقره.
٦١) شرح ابن عقيل أبو عبد الله ابن مالك.
٦٢) شفاء العليل في بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل، أبو المعالي عبد الملك بن عبد الملك الجويني.
٦٣) الصحاح، إسماعيل بن حماد الجوهري.
٦٤) صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري.
٦٥) صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري.
٦٦) صفحات من أدب الرأي، محمد عوامة.
٦٧) ضرب الأمثال في القرآن، أهدافه التربوية وآثاره عبد المجيد البيانوني.
٦٨) طائفة من قضايا الأمة الإسلامية في القرن الحاضر، أبو الأعلى المودودي.
٦٩) طريق الخطابة والإلقاء ، راكان عبد الكريم حبيب.
٧٠) عالمية الدعوة الإسلامية، على عبد الحليم محمود.
٧١) العقيدة والسلوك والانفصام بينهما، أحمد عبده عوض.
٧٢) علل وأدوية، محمد الغزالي.
٧٣) علم آداب البحث والمناظرة، أحمد مكي.
٧٤) الغزو الصليبي والعالم الإسلامي، على عبد الحليم محمود.
٧٥) الغزو الفكري وهم أم حقيقة، محمد عمارة.
٧٦) غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، يوسف القرضاوي.
٧٧) فاعلية مجموعة من الأنشطة الوظيفية لتنمية مهارات الحوار لدى تلاميذ المرحلة الإعدادية، بثينة محمد محمود.
٧٨) فتح الباري في شرح صحيح البخاري، الحافظ ابن حجر العسقلاني.
٧٩) فتح القدير، محمد بن على بن محمد الشوكاني.
٨٠) فقه الدعوة والإسلام، عمارة نجيب.
٨١) في أصول الحوار، الندوة العالمية للشباب.
٨٢) في ظلال القرآن، سيد قطب.
٨٣) القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقو ب الفيروز آبادي.
٨٤) القرآن الكريم هدايته وإعجازه في أقوال المفسرين، محمد صادق عرجون.
٨٥) القرآن والملحدون، محمد عزة دروزة.

٨٦) قصص الأنبياء، عبد الوهاب النجار.
٨٧) القواعد الحسان لتفسير القرآن ، عبد الرحمن السعدي.
٨٨) الكشاف ، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري.
٨٩) كيف تحاور ، طارق بن علي الحبيب.
٩٠) لسان العرب أبو الفضل جمال الدين محمد ابن منظور.
٩١) ما يعد به الإسلام، روجيه جارود.
٩٢) مباحث في علوم القرآن، مناع القطان.
٩٣) مبادئ التعايش السلمي في الإسلام، عبد العظيم المطعني.
٩٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية.
٩٥) مختار الصحاح ، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي.
٩٦) معالم الحضارة الإسلامية ، مصطفي الشكعة.
٩٧) المعلم وإدارة الفصل، فارعة حسن محمد.
٩٨) مفاتيح الغيب ، فخر الدين محمد الرازي.
٩٩) المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم محمد الأصبهاني.
١٠٠) مقومات الداعية الناجح، على بادحدح.
١٠١) الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني.
١٠٢) من أجل الحوار بين الحضارات، روجيه جارودي.
١٠٣) المناظرة الحديثة في علم الأديان بين الشيخ ديدات والقسيس سوجارت، أحمد حجازي السقا.
١٠٤) مناهج الاجتهاد في الإسلام، محمد سلام مدكور.
١٠٥) مناهج الجدل في القرآن الكريم زاهر عواض الألمعي.
١٠٦) المنقذ من الضلال، أبو حامد الغزالي.
١٠٧) منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله ، محمد سرور زين العابدين.
١٠٨) منهج الجدل والمناظرة في الفكر الإسلامي، بركات محمد مراد.
١٠٩) منهج الدعوة النبوية في المرحلة المكية علي بن جابر الحربي.
١١٠) منهج القصة في القرآن، محمد شديد.
١١١) نشأة الفقه الاجتهادي وأطواره، محمد على السايس.
١١٢) هذا هو الإسلام سماته وحاجة الإنسانية إليه، أحمد عبد الرحيم السايح.

فهـرس الكتـاب